روايات عبير

www.rewity.com

كاي كروز

نَعَمْ أحِبّه .. !

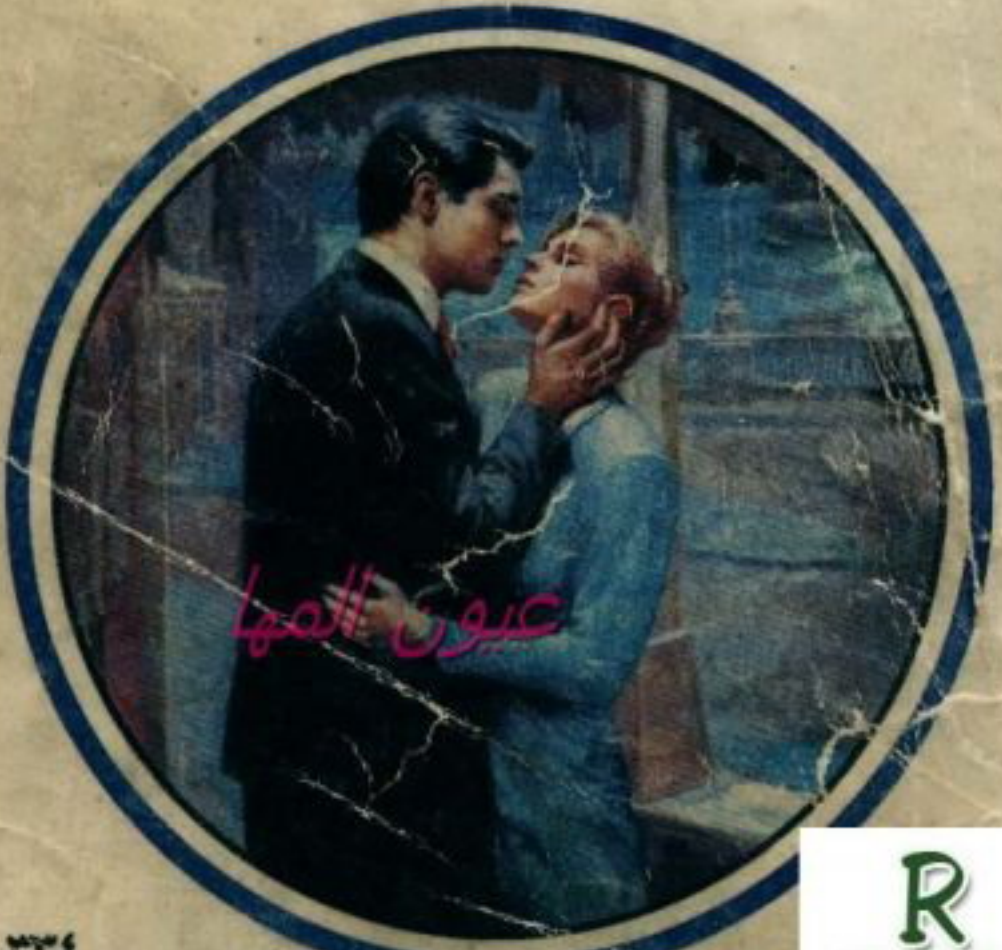

عيون المها

٣٣٤

R
WWW.REWITY.COM

روايات عبير

www.rewity.com

ABIR - No 334

قال " دون فيليب "

" اريد ابنا . "

كانت هذه الكلمات اول ما اوحى لـ"جان" بان تلك الورقة التي وقعت عليها لم تكن عقدا عاديا للالتحاق بوظيفة تتعلق باعمال السكرتارية .

لماذا سمحت لنفسها بان تسقط في الفخ ؟

اوضح "دون فيليب دي ريمانوس" ان اقتحام "جان" نظام حياته إنما كان لهدف محدد . ما إن يتحقق حتى تستبعد دون ادنى تفكير.. فلم يكن راغبا في اغلال الزواج وقيوده ..

-"الحب في ابلغ معانيه عاطفة مبالغ في تقييمها." هكذا قال لـ"جان" بنبرة حازمة . بدا ان لا اهمية لمشاعرها على الإطلاق ...

عيون الهوى

ثمن النسخة

لبنان	١٣٠٠٠	الكويت	٧٥٠ ف	مصر	٣ ج
Canada	5 $	الإمارات	١٠ د	المغرب	١٠ د
U. K.	1.5 £	البحرين	١ د	ليبيا	١ د
France	15 F.F	قطر	١٠ ر	تونس	١.٥ د
Greece	125 Drs.	مسقط	١ ر	اليمن	٥٠ ر

REWITY
WWW.REWITY.COM

الفصل الأول

تستقل حجرة المكتب هذه بفئة لا تنازعها فيها سواها .. هكذا كان تقييم "جان" لتلك الحجرة الفخمة التي زيّن جدرانها وسقفها النقوش والحلي المعمارية الفاخرة ، وناءت الأرفف الأنيقة بها بما تحمله من الكتب والمراجع .. حتى الثريا القيمة التي تدلت في وسطها واكبتها المصابيح المصنوعة من الحديد المشغول التي لم تكن قد اضيئت بعد في هذه الساعة المبكرة من بعد الظهيرة . كانت هناك اريكتان من الجلد على كلا جانبي المدفأة هما في عداد تحف الأثاث بينما كاد المكتب الذي كانت واقفة بجواره ينفرد بدقة النقوش التي تحتت على جوانبه .

" دون فيليب " سوف يلقاها خلال لحظات قليلة .. هكذا اخبرها الخادم الذي كان قد ادخلها إلى تلك الحجرة . أملت أن يكون المقابل الإسباني لعبارة "لحظات قليلة" مطابقا للمعنى الذي اعتادته ، رغبة منها في الانتهاء من هذا اللقاء الأول بأقرب ما يمكن ...

ليس لأن هناك مشكلة من أي نوع ، إذ إن " رين " قد اخبرته بان "جان" سوف تحضر لتحل محلها في هذه الوظيفة التي كانت قد وصفتها لها بانها فرصة من بين مليون من الفرص . لم تر " جان " حتى هذه اللحظة ما يحملها على أن تناقش هذا التقييم .. بهرتها نظرتها الأولى إلى هذا القصر ذي الأعمدة الناصعة البياض التي اتخذت مواضعها عند مدخله ، وفي شتى أروقته بينما أتاحت الجبال الساحلية الخلفية التي جعلته يحاكي ما ورد في كتب التسفار المصورة .

دون شك إن العمل في مثل هذا المكان نقلة موفقة إلى أبعد الحدود بالمقارنة بذلك المكتب الذي عملت به حتى وقت قريب جدا . لم يكن "جاري " موافقا على قبول استقالتها من العمل بادئ الأمر ولكنه اضطر في النهاية إلى أن يذعن إلى رغبتها .. أما هي فاضطرت إلى التخلي عن تلك الوظيفة لأنه كان مستحيلا عليها أن تتورط في علاقة غرامية مع صاحب ذلك العمل المتزوج .. ابغضت "جان" التفكير في الأمر .. حمداً لله إنها قد عادت إلى صوابها قبل أن يصل بها الأمر إلى حد يتعذر عليها التراجع عنده . حتى لو لم تاتها " رين " بهذا العرض السخي فما كانت تستطيع البقاء بذلك العمل ؛ لأنها ارادت أن تنأى

بنفسها عن كل العلاقات حتى تلتقي بالشاب المناسب غير المرتبط الذي يبادلها مشاعرها .

التفتت في اتجاه النافذة فرات رجلا يعبر الفناء الداخلي . كان اطول قامة من الإسباني العادي في بنطلون ركوب الخيل وقميص حريري ابيض كاد يلتصق بصدره . وقد علا شعره الأسود المائج وجها يحاكي الصقر بعظامه الدقيقة الأنيقة . كانت " رين " قد ذكرت لها انه في أوائل الثلاثينات .. لو كان هذا الرجل هو " دون فيليب " فلن تكون الوظيفة المعروضة من ذلك النوع الذي يحتمل التراخي .. لأنه بدا من ذلك النوع الذي يأمر متوقعا لتعليماته التزاما دقيقا وفوريا ..

" جدير بها الا تتوقع الصعاب مسبقا .. إنها في بلد غريب ، ذي اساليب معيشية لم تألفها .. هكذا كانت تحدث نفسها وهي تراقبه حتى غاب عن بصرها .. لتتيح لنفسها فرصة النجاح .. الا يستحق منها فوزها بوظيفة مهمة تجعل منها سكرتيرة خاصة لـ " دون فيليب دي ريمادوس " إجراء بعض التغييرات والتعديلات ؟ لابد أن " رين " مقتنعة جدا بزواجها من ذلك الرجل وإلا لما تنازلت لها عن هذه الوظيفة ذات المزايا النادرة ...

القت نظرة على اقرب المرايا ذات الأطر الذهبية كي تطمئن إلى حسن هندامها فرات شكلا بشريا نحيلا متوسط الطول في رداء باللون الرمادي الحائل . كان أنيقا في مستهل ذلك النهار ، ولكنه اصبح الآن على اثر طول المسافة التي قطعتها إلى هنا اقل اناقة .. ليس بوسعها ما تفعله .. ولابد أن "دون فيليب" على علم بمشقة الرحلة وبعدها فيلتمس لها العذر . احتفظ شعرها متدرج الطول مع ذلك باناقة تصفيفه . كان مصفف الشعر قد اقترح عليها إضافة بعض الوان الصبغة إليه بما يؤكد لونه الذهبي الداكن إلا انها لم توافق مكتفية بذلك الأسلوب الجديد في تصفيفه الذي اضفى على وجهها تغييرا واضحا ، لاح في عينيها الزرقاوين بريق يشوبه الاضطراب والتوتر .

فتح الباب من خلفها والتفتت متماسكة الأعصاب لتلتقي عيناها بالرجل الواقف في مدخله . تقارب حاجباه وبدت في عينيه السوداوين نظرة استفسار حادة ولكنه بادرها بنبرة هادئة :

- " بغض النظر عمن تكونين فلست الآنسة " بريسلي " ! ماذا إذن

أنت فاعلة هنا بالضبط ؟

لاحظت " جان " كم كان يتكلم الإنجليزية بطلاقة . قطبت بدورها نحوه قائلة :

- " إنني لا افهم ما تعنيه .. اتصلت " رين " بك واخبرتك بانني ساحل في هذه الوظيفة محلها . وقد ـــــ "

سال بنبرة فولاذية :

- لم أتلق منها رسالة بهذا المعنى . هل تقولين إنها لن تعود ؟ "

- " هذا ما اعتقده . " شعرت " جان " وكان قلبها قد غار إلى اقصى الاعماق . لقد كذبت " رين " عليها .. لابد انها قد كذبت ! لم تتمكن من التوصل إلى مبررات كذبها عليها .. بدات مرة اخرى تتحدث :

" إنني اسفة . لابد ان خطا ما قد حدث . تصورت ان شقيقتي قد حصلت على موافقتك على هذا الإحلال . "

سالها رافعا احد حاجبيه قليلا إلى اعلى : " شقيقتك ؟ " الشبه بينكما يكاد يكون معدوما . "

- " رين " اختي من زوجة ابي . تزوجت والدتها من ابي الذي تبنّى "رين" بصفة رسمية . لهذا السبب نحن مشتركتان في اللقب . " توقفت قليلا لتستطرد بهزة من كتفيها . " إنني في مثل حالك من الدهشة يا سيدي . لانه على حد معلوماتي فإن كافة الترتيبات اللازمة قد اتخذت لإلحاقي بالعمل لديك عوضا عن اختي . "

- لم يجر اي اتصال بيني وبين اختك هذه منذ عودتها إلى انجلترا منذ ما يقارب الاسبوعين . قال لم يبق امامها سوى يومين آخرين قبل ان استعد لاتخاذ إجراءاتي . "

- " لاسترداد السلفة التي صرفتها لها من حساب المرتب .. هذا ما تعنيه ؟ " قالت "جان " وهي تبذل ما بوسعها للإبقاء على هدوء اعصابها . " لقد سلمتني ذلك المبلغ ايضا وسوف اعيده إليك إذا ما قررت عدم صلاحيتي لتلك الوظيفة . "

تفحصت عينا " دون فيليب " قسمات وجهها متنقلة إلى سائر جسدها بما كاد يشبه مهمة طبية .. حملت " جان " نفسها على ان تظل هادئة تحت نظراته .

سال بنبرة غريبة .

- " هل انت على علم كامل بالشروط التي تحكم العقد ؟ " .

- " بالتاكيد . " لم تكن لديها ادنى فكرة عن تلك الشروط التي كان يشير إليها . كما لم تكن لديها الرغبة في ان تقامر بالوظيفة إلى ابعد من ذلك . ربما وضعتها " رين " في هذا المازق لاسباب غير واضحة ، ومع ذلك فإن مثل هذه الوظيفة تستاهل ان تحارب للحصول عليها . " إنني مؤهلة من جميع النواحي . " اضافت " بما في ذلك إتقاني لغة بلدك إلى حد معقول . "

قال كاشفا لاول مرة عما يعتمل في نفسه من غضب . " - سوف اتاكد من ذلك . " لماذا قررت شقيقتك ان تنكث اتفاقنا ؟ "

رفضت ان تسمح لنفسها بان تخشى سؤاله الحاد فقالت بهدوء :

- " لانها سوف تتزوج . "

- " تتزوج ؟ " تلاشى الغضب ليفسح مكانا لمشاعر اخرى من الصعب تحديدها " من ؟ "

اوشكت ان تجيبه قائلة " رجل " ولكنها كبحت هذه الإجابة بعد جهد وقالت :

- " شخص تعرفه منذ برهة طويلة ، ولكنها لم تتوقع ان يعرض عليها الزواج . "

- " زواج حب ؟ "

شعرت " جان " بالدفء يصعد إلى وجنتيها لسماع النبرة التي قال بها ذلك .

- " وهل هذا امر غير محتمل ياسيدي ؟ الناس في جميع انحاء العالم يعرفون الحب ويقعون في الغرام . "

- " كما تقفز الغالبية العظمى من بينهم إلى خارجه وبسرعة مذهلة . "

قالت وقد فشلت في كبح هذا التعليق : " إنها وجهة نظر ساخرة . "واضح انك لم تحب ابدا " . تجعد فمه قائلا :

- " ملاحظة جيدة ، وإن افتقرت إلى رقة الدبلوماسية . على اي حال هذا ليس المجال لمناقشة عاداتي ، عاطفية كانت ام غير ذلك . لقد وقعت شقيقتك معي تعاقدا وهذا يعطيني حق المطالبة بتنفيذ ما انطوى عليه . "

- لقد بذلت ما في وسعها لتوفر لك بديلا عنها ساعمل على الوفاء بكل ما يطلب مني . امنحني الفرصة فقط لإثبات جدارتي . "

كان " دون فيليب " قد اغلق الباب لدى دخوله وكان واقفا وظهره إلى

المكتب ذي النقوش الفائرة . فحصها مرة اخرى من خلال عينين طارفتين . كانت قد بدات تفقد الأمل عندما تحدث اخيرا :

- " يجب أن ادرس الموضوع . وفي تلك الاثناء ساكلف احدهم بان يصطحبك إلى حجرتك . "

ظلت مكانها بينما اتجه هو إلى حبل الناقوس بجوار المدفاة . لم يرفضها على الاقل ... بدات عيناها تقيمان عرض منكبيه القويين - عندما رفع إحدى ذراعيه ليمسك بالحبل - مع تحول جسده الرشيق . لم يكن وسيما بمعنى الكلمة ولكنه كان ينطق برجولة اوحت لها رؤيتها الاولى له انه اشبه بالصقر . واكدت رؤيتها الجانبية لوجهه بذلك النتوء الأنفي القوي والفك الصارم انطباعها الأول عنه . رات ان ذلك الفم من المحتمل ان يكون قاسيا فشعرت بالارتعاد يسري في فقراتها .

- " يقدم العشاء في التاسعة وسوف تسعدينني بصحبتك . "

سالت بجراة .

- " هل ستكون قد توصلت إلى قرارك ؟ " ورات ذلك الراس الاسود يميل إلى الامام .

- " ربما . فهناك الكثير مما يجب ان يؤخذ في الاعتبار . "

فاتها ان تعرف السبب . وطبقا لما يقال فإنه من الصعب الحكم على الكعكة قبل تذوقها . فإذا لم يرق له اداؤها فباستطاعته ان يطلب منها الرحيل . ومن جانبها لم تنفق اي مبلغ من تلك السلفة التي سلمتها إليها " رين " . لذلك لن يكون هناك ما يحول دون إعادتها المبلغ كاملا إليه . إذا كان ذلك مايراه . كل ما طلبته هو ان تتاح لها الفرصة لإظهار مهاراتها .

كان الخادم الذي أجاب نداء " السيد " هو ذاته الذي ادخلها هذه الحجرة منذ وقت قصير . اصغى إلى " تعليمات سيده " بإيجابية كاملة ثم اشار إلى "جان" بان تصحبه . شعرت بنظراته الثاقبة تتجه إلى ظهرها وهي تتبع الخادم إلى خارج الحجرة حتى كلفها مواصلة السير معتدلة مرفوعة الراس جهدا غير قليل مهما كان حكمه عليها فسوف تتقبله بكبرياء .. فهي كل ما تبقى لها الآن.

كانت الحجرة التي اصطحبت إليها متاخمة لمنبسط الدرج المزين بالصور واللوحات مباشرة وجعلتها فخامة الحجرة تتامل رياشها

الفاخر في صمت تام فضلا عن انه على الرغم من شدة حرارة جو ذلك اليوم من أيام اغسطس بالخارج كان من خلف جدران المنزل السميكة رطبا إلى حد مبهج غطى ارضية الحجرة السجاد الوثير الذي اتسق لونه الأزرق القاتم مع اغطية الفراش ذي الأعمدة الأربعة وستائره ذات اللون الأزرق الزاهي . بينما اتاحت ستائر النافذة ذات اللون المماثل التي ضمت إلى جانبيها بحبال مفتولة إطارا لمنظر الريف البديع المحيط بالقصر .

كان بالحجرة مقصورة لاستبدال الملابس تحدها خزائن الملابس من أحد جانبيها وتنتهي بحجرة استحمام جميلة . كاملة التجهيز تحتوي على حوض استحمام شبه غائر يتم الوصول إليه بمقتضى درجتين .

كانت " رين " ستشغل هذا الجناح لو التحقت بهذه الوظيفة . فإن " دون فيليب " لا يضن على العاملين لديه بوسائل الراحة .. هكذا قالت " جان " لنفسها متاملة .

بدا الشك يحل محل شغفها الأول للالتحاق بهذه الوظيفة على ضوء اعتراضه غير المتوقع . خاصة وان " دون فيليب " كان خارج نطاق خبرتها بهذا الجنس. هل هي مرحبة حقا بالعمل لدى رجل من الواضح انه اعتاد التحكم في من في البيت ؟

تلقي الأوامر يختلف كثيرا عن ان يكون المرء تحت كامل سيطرة الغير. تذكرت انها لم تقبل بعد لشغل هذه الوظيفة . إذا تصورت ان هذا الإحلال قد جاء مفاجئا له . ففي ذلك تخفيف للوطاة . لكن ما الذي كانت " رين " تهدف إليه من وراء ذلك ؟ لم يكن هناك مجال لسوء الفهم لانها ذكرت بالتاكيد انها قد اتصلت بالرجل ورتبت معه كل شيء . وفي هذه الظروف لا يعني هذا الكذب شيئا .

لكن من ذا الذي يمكنه ان يتوصل إلى ما ترمي " رين " إليه بهذا السلوك الغريب ؟ لم تكن بينهما ابدا تلك المودة التي تحكم العلاقة بين الشقيقات . ربما كانت " جان " على قدر كبير من السذاجة حتى تلقى فيها فلم تكن هذه هي المرة الأولى التي تقحمها فيها في مثل هذه المواقف السخيفة .

كانت " جان " قد بذلت مافي وسعها لترحب بدخول زوجة ابيها حياتها عندما كانت في العاشرة من عمرها عاجزة تماما عن ان تتذكر

امها التي توفيت وهي بعد في عامها الثالث . ولم يكن ذلك بالأمر اليسير كما لم يكن راجعا إلى قسوة هذه المراة الأخرى عليها في اية ناحية ولكن لمجرد عدم اهتمامها بها فقد حصلت " رين " بمفردها على جميع القبلات والعناق والثناء عندما تفوقت في دراستها وكانت "رين" هي التي تنجو من العقوبة على الأخطاء التي ترتكبها لسبب مقبول هو أن والدتها كانت تعتقد انه من المستحيل أن ترتكب ابنتها اية أخطاء . اعتقدت " جان " أن الوضع ما كان " ليختلف لو لم تكن كلتاهما متساويتين في العمر تقريبا ، لكن تفهمها الأمور الآن بعقلية فتاة الثالثة والعشرين جعلها تتراجع عن هذا الراي .

حتى والدها لم يكن مبعث طمانينة لها ، فقد استوعب عمله كل وقته وتفكيره . ومع ذلك كان حزنها على وفاته وهي في الثامنة عشرة من عمرها شديدا . ثم تلقت الصدمة التالية عندما تبينت انه كان يوشك أن يفلس ، لم يترك وراءه سوى المنزل الذي قامت زوجته ببيعه على الفور لتشتري عقاراً اقل مساحة حديث الطراز يضمن لها دخلا ثابتا ، بمجرد أن حصلت " جان " على عمل معقول انتقلت لتعيش بمفردها اما " رين " التي لم ترض الاستقرار طويلا على اي شيء فقد انغمست في التجوال و السفر ، وبذلك اعتادت " جان " على تلقي بطاقات بريدية من جميع انحاء اوروبا ، وعلى استقبال شقيقتها مرة كل بضعة اشهر ، لتقص عليها مجموعة من أحدث مغامراتها ، اما ما كانت تقوم به لقاء المال فلم تدر " جان " عنه شيئا . علمت فقط انها لم تعان نقصا في الموارد ابداً.

كانت زيارتها الأخيرة منذ اسبوع ، التي عرضت خلالها هذه الوظيفة على "جان" بمثابة المن النازل من السماء . لم تسمح " جان " لنفسها بمجرد مناقشة ذلك العرض ، بل قبضت على هذه الفرصة المتاحة بكلتا راحتيها . كانت تلك الدفعة المقدمة البالغ قدرها خمسة الاف جنيه . التي توازي اجر ستة اشهر امرا غير عادي ، ولكن المبلغ كان مغريا إلى الحد الذي ينتفي معه كل اعتراض. وقد امكن تحويل تذكرة السفر بالطائرة إلى اسمها بسهولة ، وهاهي ذي قد حضرت إلى هنا .. وهنا يجب أن تبقى ما امكن ذلك .. هكذا قررت بل واصرت مرة اخرى . سواء كان هناك خطا او لم يكن فقد قطعت على نفسها طرق " تراجع جميعا لتظفر بهذه الوظيفة ، التي كانت على استعداد لأن

تخوض قتالا من اجل أن تحتفظ بها .

ومع ذلك فإن تفريغ حقيبة ملابسها هو بمثابة تجربة من العناية الإلهية . لا .. لن تخرج من حقيبتها اكثر مما تحتاج إليه لذلك المساء ، تاركة محتوياتها على ماهي عليه حتى تتاكد من موقفها .

جاءت صينية الشاي المحتوية على بعض انواع الكعك اللذيذ التي احضرت إليها في الرابعة والنصف مثل مفاجاة سارة حاولت التحدث مع الفتاة التي حملتها إليها لكن هذه الأخيرة كانت إما خجولة إلى الحد الذي جعلها تحجم عن الاستجابة لها ، وإما انها قد حذرت من الاختلاط حتى إن إجاباتها كانت جميعها من ذات المقطع الواحد .

نظرا لشعورها بالإرهاق على اثر تلك الرحلة التي قطعتها إلى هنا وحيث كانت لاتزال امامها عدة ساعات حتى يحين موعد العشاء ، قررت " جان " أن تنام قليلا . رغم قدم طراز السرير ذاته إلا ان الحشية كانت تحاكي احدث الصيحات مزودة بالـ " سوست " التي وفرت لها الراحة المنشودة . استلقت "جان" بملابسها الداخلية فوق الملاءة بعد أن طوت الغطاء الحريري للفراش بالعناية اللازمة فشعرت بالتوتر الذي تعرضت له على مدى اليوم يفارقها .

قررت أن تنام ساعة او حوالي ذلك القدر حتى إذ ما نالت قسطا من الراحة تكون بحالة تمكنها من مواجهة الموقف الذي ينتظرها .

بدا لها عندما فتحت عينيها مرة اخرى انها لم تغمضهما إلا دقائق معدودة ولم تتبين أن ظلام الحجرة كان مرجعه الى حلول المساء حتى اعتدلت في جلستها على الفراش تتثاءب . نظرت إلى ساعة يدها فدهشت .. لقد اشارت الساعة إلى الثامنة مساء !

لقد نامت ما يزيد على الثلاث ساعات .

إنه لحسن الحظ انها قد استيقظت عندئذ .. قالت محدثة نفسها وهي تسرع واقفة على قدميها .. لأن حضورها متاخرة الى العشاء من شانه أن يترك انطباعا سيئا عنها . تذكرت بهبوط مفاجئ في روحها المعنوية انها لم تخبر بعد بانها قد قبلت لشغل الوظيفة . رات انه من الصعب إغراء " دون فيليب " بتغيير رايه طالما اتخذ القرار ، لذلك كان كل ما ترجوه هو أن يكون قراره في صالحها .

احتوت حجرة الاستحمام على وحدة انيقة " للدش " إضافة إلى حوض الاستحمام . رات " جان " صورتها تنعكس على وجوه المرايا

المثبتة في جميع جوانب الحجرة . لابد ان ذلك التصميم قد اعد بمعرفة او من اجل شخص نرجسي . هكذا رات وهي تشعر بالخجل إزاء صورتها العارية المتكررة .

تبينت ايضا ان زجاج المرايا كان معالجا ضد تكثيف البخار على سطحه عندما حانت الثامنة والنصف كانت متاهبة لحضور العشاء في ثوب حريري ليموني اللون ، بينما انسدل شعرها الحريري اللامع حول وجه يحمل لمسة خفيفة من مستحضرات التجميل . كان اللؤلؤ الذي كان يوما ما ملكا لامها والساعة الذهبية هدية والدها لها في عيد ميلادها الثامن عشر ، كل ما ارتدته من قبيل الجواهر لان " جان " لم تحب التبرج إذ كان مبدؤها الإقلال من الشيء مع مراعاة جودته . القت نظرة اخيرة إلى المراة قبل مغادرة الحجرة وهي تتساءل عما إذا كان ثوبها الاسود انسب لهذا الظرف لكن الوقت كان قد تاخر جدا على السماح لمثل هذه الشكوك ان تراودها . على اي حال لو كان تقييمها لـ " دون فيليب " صحيحا فلن تؤثر مثل هذه التفاصيل الثانوية على قراره بشانها.

اتخذ الدرج انحناء رشيقا حيث انتهى في الرواق الفسيح . وإذ وصلت إلى هناك وقفت " جان " متحيرة دقيقة او اثنتين تتساءل اي من تلك الابواب العديدة تفتح اولا . ظهرت تلك الخادمة الشابة التي كانت قد انتها بالشاي في وقت سابق لتطلب منها ان تتبعها .

دخلت الصالون الفخم الذي ظهرت فوق نوافذه الضخمة شباك مزخرفة من الحديد المشغول . كانت تتامل تمثالا موضوعا فوق المدفاة عندما دخل " دون فيليب " الحجرة يرتدي بنطلونا قاتما وقميصا حريريا اسود مفتوحا عند الحنجرة ليكشف عن وميض ذهبي . بدا سيد هذا القصر بحق .

- " إنك دقيقة في مراعاة المواعيد على الاقل " قال ونظراته تنزلق فوق قوامها النحيل بينما هي تلتفت نحوه " امر غير معهود في النساء " .

اجابت بكل مالديها من رقة :

- " لم يكن من الحكمة الا اراعي المواعيد في هذه الظروف ياسيدي " .

اضاءت لمحة سحرية عابرة عينيه السوداوين وهو يقول :

- " هذا صحيح . هل لك في بعض من الشراب ؟ "

وقد اوشكت ان ترفض هذا العرض ولكنها غيرت رايها فجاة ، فقد شعرت بحاجة إليه حدث شرابا إسبانيا ولكنه اختار لها نوعا افضل من الشراب الإسباني من إنتاج مصانعه .

راقبته يفتح إحدى الخزائن ويخرج منها كاسين . شعرت بإعجاب عميق باسلوب حركته الرشيق . بدا موفور الصحة دون ما ادنى زيادة في وزنه . احتفظت بتوازنها حتى احضر الشراب إلى حيث وقفت مقدما لها الكاس بإيماءة طفيفة ساخرة .

شعرت بالدفء بعد تناول ذلك الشراب بينما لايزال " دون فيليب " محتفظا بمكانه قريبا منها .. قريبا باكثر مما ينبغي هكذا ادركت بذعر لم تعتده . لقد كان الرجل طاغي الرجولة ينبض بجانبية صارخة .

- " هل لاتزالين جادة في ان تحلي محل اختك ؟ " سال دون ان يحول نظرته عن وجهها .

ترددت " جان " قليلا ، لم تكن واثقة كلية من ذلك الآن ، ولكنها سالت:

- " هل هذا ينطوي على انك تعرض علي الوظيفة ؟ " في محاولة لكسب الوقت فاجابها :

- " هذا يعني استعدادي لمنحك الفرصة حتى تثبتي ملاءمتك بذات الاسلوب الذي اثبتت به اختك " .

تجعد حاجباها قليلا وهي تسال .

- " وما ذلك الأسلوب ؟ "

- " سوف يطلب منك إجراء فحص طبي شامل على يدي طبيبي الخاص لانه لابد لي من التاكد من لياقتك . "

- " لا باس في ذلك " قالت محاولة ان تبدي له ان ذلك بالأمر العادي . رغم كونها مجرد سكرتيرة ولن تشغل وظيفة تنفيذية على مستوى عال !

ومع كل ذلك مادامت تلك هي مقتضيات شغل الوظيفة فلن يسعها إلا الموافقة على هذا الإجراء . ولم تساورها ادنى شكوك بشان حالتها الصحية لذلك لن يضيرها التاكد .

- " ومتى يكون ذلك ؟ "

- " صباح غد حتى إذا ما تم التاكد من ان حالتك الصحية مرضية من جميع الجوانب ، فسيكون العقد معدا لتوقعي عليه . "زاد بريق عينيه في هذه اللحظة وهو يؤكد : " وسوف يكون محتواه نافذا هذه

المرة ! "

بذلت " جان " جهدا حتى تتماسك . لم تكن تتوقع منه كل هذه الرقة بعد ما سبق أن قاله لها .

- " بالتأكيد . " إن وعدي بذلك ملزم لي . "

- " حسنا - " كان يوشك أن يضيف شيئا ما . " ولكنه توقف عند سماع صوت ناقوس " اتركي كاسك هنا " قال موجها متجاهلا أن ما كان به يزيد على نصفه .

كانت حجرة الطعام على الجانب الآخر من الرواق . أعدت المائدة المزينة بالنقوش الرقيقة - التي اتسعت لأكثر من عشرين شخصا براحة تامة - لعشاء شخصين فقط . أعد مكان " جان " ليكون عن يمين دون فيليب " حيث كان في مواجهتها مجموعة من الأواني الفضية والبلورية تكفي لإقامة مأدبة كاملة . سكبت المشروبات في الكؤوس ، معلنة بدء وجبة مكونة من عدد من الأطباق لم تعرفه بالضبط بعد تناولها الأول والثاني منها .

قال مضيفها معلقا عندما لاحظ اسلوب تعاملها مع طبق السمك المقلي الذي أمامها . - " إنك تأكلين بمقادير ضئيلة . " " ألا يروق لك الطعام ؟ "

قالت أملا في تخفيض الكميات التي تقدم إليها منه . " - إنها مجرد الكمية الكبيرة منه . " لم أعتد تناول أكثر من ثلاثة أنواع ، وهذه في المناسبات الاستثنائية فقط . " ثم أضافت وهي تحاول أن تبتسم وهي قليلة في حياتي . "

- " ربما يكون هذا هو السبب في نحول قوامك . لن يضيرك إضافة بضعة جرامات إلى وزنك . "

- " النحول من سمات الأناقة هذه الأيام . " قالت معترضة : " ويجعل المرأة أكثر صحة أيضا . "

هز كتفيه مستخفا برأيها :

- " سوف نرى " قال ثم أومأ إلى ذلك الخادم ذي الحلة السوداء الذي خاطبه في وقت سابق باسم " خوان " ليحمل طبقها ، مضيفا تعليمات باللغة الإسبانية بأنهما سوف يتناولان القهوة بعد هذا الطبق لقد ذكرت أنك تتقنين لغتي . " قال مخاطبا " جان " بتلك اللغة " أين تعلمتها ؟ "

تحولت ببراعة إلى الرد عليه بهذه اللغة :

- " في مدرسة مسائية . كانت أمامي فرصة الانتقال إلى مكتب الشركة التي أعمل بها في " مدريد " . لكن لسوء الحظ أن أوفد سواي إلى ذلك المكتب . "

- " خسارة . فأنت تتقنين اللغة بالفعل . "

- " ليس بالقدر الذي أتقن به الإنجليزية . "

رفرفت ابتسامة على شفتيه .

" أتممت تعليمي في " أكسفورد " . وبمجرد أن يتعلم المرء النطق السليم لا يفقده أبدا . أعتقد أنك من " بكنجهام شير " ؟ "

- " هناك ولدت ونشأت " التفتت تشكر " خوان " عندما وضع القهوة أمامها منتزعة منه نظرة دهشة . " وأسرتي أيضا . " أضافت وهي تنظر مرة أخرى في اتجاه رأس المائدة فبادرها :

- " أخبرتني أختك أن والدها لم يعد على قيد الحياة فهل كانت تعني بذلك والدها الحقيقي أم والد أنت ؟ "

- " كليهما على ما أعتقد . فقد توفي والدي منذ خمس سنوات عندما كانت " رين " مثلي في الثامنة عشرة من عمرها . "

- " هل أنتما في نفس العمر ؟ " سأل مندهشا " اعتقدت أنك أصغر منها . "

هل حكمه هذا عليها من واقع تصرفاتها أم مظهرها ؟ هكذا تساءلت وهي لا تعلم أيهما كان أفضل لها .

- لماذا لم تتزوجي حتى الآن ؟ " سأل على غير المتوقع مستنبطا منها إجابة غير مدروسة :

- " لأنني أعتقد أن هناك ما هو أهم من الرومانسية " .

- " هذا يناسب تفكير الرجال لا النساء . " وبدت نظراته متفهمة جدا " أعتقد أنك قد تعرضت إلى جرح عاطفي في الآونة الأخيرة . "

قبضت على نظرته وهي تجيبه :

- " ربما لا يؤثر على عملي هنا ياسيدي . " فأجابها :

- " هذا مجرد رأي . "

لم يمتد الصمت طويلا وعلت وجهه تعبيرات مبهمة . " هل ربطتك بذلك الرجل علاقة خاصة جدا ؟ "

علت وجنتيها حمرة الخجل ، وبذلت جهدا كبيرا للإبقاء على نبرات

صوتها هادئة :

- " لا اعتقد أن هذا من اختصاصك ياسيدي . "

- " كل شيء واي شيء يتعلق بمستخدميّ هو من صميم اختصاصي . "

قرر بما لا يدع مجالا للبس . " هل أفهم من ذلك أن إجابتك بالإثبات ؟"

قالت ولم تستطع أن تتحمل ظنونه التي اطلقها بهدوء " لا . لم تربطني به أية علاقة كهذه ! "

كانت قد عادت تلقائيا إلى الحديث باللغة الإنجليزية حتى تؤكد براءتها من مثل هذه العلاقة . واستطردت بذات اللغة " ربما كان العمل الذي تعرضه عليّ مناسبا ، إلا أن حياتي فيما سبق هي من شأني وحدي . إذا لم تستطع أن تتقبل ذلك فالأفضل لنا أن نفترق في التو واللحظة ! "

ارتفع حاجباه دهشة ليسفرا عن شخص مستبد :

- " لا تتحدثي معي بهذا الاسلوب ! " .

كبحت " جان " غيظها بمجرد قوة الإرادة . وتذكرت أنه ينتمي إلى حضارة مختلفة . يجب أن تجد وسيلة ما لمعالجة الموقف حتى لو كان ذلك ينطوي على بعض التنازلات من جانبها .

- " إني أعتذر عن ذلك . لم يكن من الواجب أن أستسلم للغضب إلى هذا الحد . والسبب يرجع باختصار إلى أن مواطني البلد الذي جئت منه لا يوجهون إلى غيرهم مثل هذه الأسئلة . "

أوما إيماءة طفيفة وهو يقول :

-"اعتذارك مقبول ."

سألت " جان " فجاة فرات فمه ينفرج :

-" الا تناسبك إحدى فتيات بلدك اكثر مني ؟ "

قال بنبرة مختلفة جادة :

- " عناصر التفضيل ليست للدم . " " إذا كنت قد انتهيت من احتساء قهوتك فإني اقترح عليك ان تاوي إلى فراشك مبكرا حتى تنالي قسطا كافيا من النوم لتكوني متاهبة في الصباح . سيكون دكتور "فالديس" هنا في الثامنة "

- " قبل موعد الفطور ؟ "

- " بالتاكيد قبل الفطور ؛ لأن بعض الاختبارات واجبة الإجراء

عندما تكون المعدة خاوية تماما ويمكنك أن تاكلي قدر ما تشائين بعدما ينتهي من مهمة فحصك . وسوف يوافيني بتقريره بنتائج الفحص في موعد الغداء . "

- " اعتقد أن النتائج ستكون مرضية للغاية . " على حد معرفتي انني اتمتع بصحة جيدة من جميع النواحي . " ثم قالت وهي تنهض من أمام المائدة غير راغبة في أن تضيف شيئا :

- " طاب مساؤك ياسيدي . "

نهض معها في ذات الوقت . تساءلت علي نحو عابر .

هل هذه ظلال " اكسفورد " ؟

- " طاب مساؤك . " .

عندما انفردت بنفسها في حجرة نومها بدات تتساءل .. هل ترغب بحق في أن تعمل لدى هذا الشخص المستبد ؟

هذا صحيح . لكن لمن ؟ ولماذا تعود مرة أخرى ؟ جاءت الإجابة الحتمية. لم يكن ذلك العام من العمل المتعاقد عليه بالزمن الطويل جدا. فضلا عن أن حصولها على مبلغ خمسة الاف جنيه اخرى ، بالإضافة إلى المبلغ الذي حصلت عليه بالفعل سيمكنها من العيش على نحو مريح حتى تجد عملاً آخر . من الغريب أن " دون فيليب " لم يطلب دليلا على حصولها على تلك المؤهلات . ولكنه سوف يطالبها بذلك قبل التوقيع على العقد . وفي هذه الأثناء من الأفضل أن تقوم بما نصحها به ، وتنال أكبر قسط من النوم .

جدد الصباح شكوكها التي لم تبددها سوى المناظر الطبيعية المبهجة تحت أشعة الشمس التي امكنها الاستمتاع بها من خلال نافذة حجرتها . بدا لها أن مزارع الكروم التي مرت بها أمس تمتد بضعة كيلومترات . واوضحت المنارة البيضاء لإحدى الكنائس ، والأسقف الحمراء من حولها وجود قرية بحجم لا باس به على مسافة ليست ببعيدة جدا عن القصر .

كانت متاهبة في ثوب قطني فضفاض عندما أعلن عن وصول دكتور "فالديس" مع دقات الثامنة . كان في أوائل الخمسينات ذا اسلوب مرض وإن كان محايدا . فحصها بادق اسلوب رأته في حياتها . استغرق ذلك منه ساعة كاملة تركها بعدها تشعر بانه لم يترك ركنا من اركان جسدها دون فحص .

لا شك أن هذا الفحص سوف يطمئنها إلى أنها سوف تعيش عددا لا بأس به من السنوات في صحة تامة .

أحضرت تلك الخادمة الشابة - التي يبدو أنها قد خصصت لخدمتها - الفطور إلى حجرتها على الفور تقريبا . علمت " جان " أنها تدعى " يولا " ، وأنها ابنة " خوان " كبير الخدم . لم يتجاوز عمرها الثمانية عشر عاما ومع ذلك لم يبد عليها الحماس الأنثوي للاستمتاع بالحياة ، صامتة أكثر مما يجب ، هكذا رأت " جان " . بل وقررت ضرورة أن تتخذ مايلزم بشأنها لو أتيحت لها الفرصة .

لم يكن هناك ما يدل على وجود " دون فيليب " عندما هبطت أخيرا إلى الطابق السفلي في العاشرة . عندما سألت عنه أخبرها " خوان " بأنه سوف يعود في موعد الغداء في الساعة الثانية . وأنه حتى ذلك الحين لها أن تفعل مانشاء .

قضت الساعة التالية أو ما نحو ذلك تتجول من حجرة فخمة إلى أخرى فاقدة قدرتها على الاحتمال بين الحين والحين . رأت أنه من الغريب أن يستقل رجل واحد بكل هذا ، وزاد ذهولها كلما زارت حجرة أخرى ، فقد اشتمل القصر على قاعة احتفالات أيضا ، على مستوى فائق الجمال وإن بدا واضحا أنها نادرا ما تستعمل .

وجدت طريقها إلى الخارج مصادفة حيث خرجت من الرطوبة الظليلة إلى ضوء الشمس المبهر والحرارة الحارقة . رأت مساحات شاسعة من المروج البراقة بقطرات الماء المنبعثة من جهاز الرش الأوتوماتيكي . مرت في طريق حجري مقنطر ، فوجدت نفسها عند حافة حمام سباحة صمم ليبدو وكأنه من صنع الطبيعة تحفه الزروع والأشجار . كانت قد أحضرت معها ثوب السباحة أملا في أن يتسع لها الوقت وتسنح أمامها فرصة زيارة الساحل . لكن هذا الحمام أفضل بكثير !

كفى تعديداً لمميزات هذا المكان - قالت لنفسها محذرة - لأنك لست واثقة بعد من الفوز بالوظيفة .

كانت المياه زرقاء اللون شديدة الإغراء .. لن يعترض " بون فيليب " بالتأكيد على استمتاعها بالسباحة بعض الوقت . عادت مسرعة إلى حجرتها لتبدل ملابسها وترتدي ثوب السباحة ذا الأقلام البيضاء والسوداء ، ومن فوقه ثوب قصير من نسيج الوبريات ، وفي قدميها

خف مناسب .

لم يكن هناك من يراها وهي تتسلل عبر الفناء الخلفي الفسيح ، ولم يكن في الطريق المقنطر سوى بستاني يعتني باحواض الأزهار المحيطة بالمعشى الظليل وآخر يقلم بعض الأغصان المرتفعة. خلعت الثوب الوبري والقت به جانبا وانزلقت إلى الحمام عند الطرف الذي تبينت أنه الجزء الضحل من الحمام وسبحت إلى الطرف الآخر منه دون مجهود يذكر. استمتعت بدفء المياه الذي لا يدع مجالا للمتاعب عند الخروج منه مع كونه مجددا للنشاط في ذات الوقت .

أرادت أن تبقى في الحمام مدة طويلة .. استلقت على ظهرها لتطفو على صفحته بعد برهة . من ذا الذي يرفض أن يعيش ويعمل في هذا الجو البديع ؟! ربما كان " دون فيليب " من النوع المستبد بعض الشيء، ولكن يمكنها المواءمة لمدة عام . أليس كذلك ؟ لا يتطلب الأمر أكثر من قليل من الدبلوماسية . حقيقة أنه لم يكن لديها الاستعداد لذلك ، إلا أن الأمر يستاهل منها بعض التدرب عليه بالنظر إلى المكاسب التي من الممكن أن تعود عليها .

تبينت بعد انقضاء برهة قصيرة وعيناها نصف مغمضتين في ضوء الشمس المبهر أن ذلك الظل المعتم الذي سقط على حافة الحمام لم يكن لشجرة أخرى . فقد وقف " دون فيليب " هناك واضعا يديه في جيبي بنطلونه الأبيض ، بينما فتح قميصه الأزرق القاتم حتى منتصفه ليكشف عن الشعر الكثيف الذي يعلو صدره تتوسطه ميدالية صغيرة من الذهب.

سألها :

- " هل تستمتعين بالماء ؟ " .

اعتدلت " جان " مستعينة بيديها وقدميها لتحتفظ بجسدها طافيا بينما نظرت إلى طول قامته الرشيقة النحيلة .

- " لم استطربت مسرعة " جدا . أرى أنه ربما كان من الواجب أن أسالك إذنا بذلك لكن — "

قال وفي صوته نبرة دهشة " - " الحمام هنا ليستعمل . "

ولا يلزم الحصول على إذن مسبق بشأنه . إلا أن الوقت قد حان لننتهي من تسوية أمورنا . "

قالت متجهة إلى أحد جانبي الحمام : - " بالتأكيد . "

خفق قلبها بشدة عندما تحرك من حيث كان واقفا ليبسط يده نحوها فبادرته هي معترضة " سوف تبتل . "

قال وهو يهز كتفيه " - " لابتل إذن " اقبلي . "

شعرت بقوة أصابعه عندما قبضت على يدها . وبقوة ذراعيه عندما رفعتاها من الماء بسهولة ويسر. تسمرت أمامه لحظة تحدق عيناها في صدغه ويرتعد جسدها بمشاعر لم ترغب في التعرف عليها عن قرب.

- " شكرا لك . " امكنها أن تقول ذلك مبتعدة عنه وهي تعد يداً تمسك بها ذلك الثوب القصير الذي كانت قد القت به فوق احد المقاعد الحجرية . لم تستطع النظر إلى عينيه حتى اخفت جسدها بداخله وثبتت حزامه بإحكام حول خصرها " عندما تقول " ننتهي من تسوية امورنا " هل تعني بذلك الاستغناء عني ؟ "

قال بانفعال : " - " لا . " لقد مررت بالدكتور " فالديس " في طريقي إلى هنا واكد لي انك تتمتعين بحالة صحية ممتازة . "

خفق قلبها مرة اخرى ليس ارتياحا كلية :

- " هل هذا يعني فوزي بالوظيفة ؟ "

- " يبدو ذلك . إذا رغبت في ارتداء ملابسك الآن فسيكون لدينا متسع من الوقت لاستيفاء الإجراءات قبل الغداء . "

- " نعم . بالتاكيد . " سارت بجانبه في اتجاه الممر المقنطر محاولة أن توحي بالثقة . فبمجرد التوقيع على العقد سيبدأ التزامها به . شعرت فجاة بان ذلك العام المتعاقد عليه يمثل جزءا كبيرا يقطع من عمرها. يجب أن تكف عن هذا التردد.. لأن فرصة كهذه ربما لن تتكرر لها مرة اخرى. لن يسعها رفضها بسبب افتقارها إلى بعض الشجاعة.

تركها "نون فيليب" عندما بلغا الرواق طالبا منها أن تلحق به في حجرة المكتب بمجرد أن تستطيع ذلك .

بمجرد أن دخلت حجرتها اتجهت إلى الحمام حيث اغتسلت وارتدت "جونلة" انيقة من نسيج قطني ، مع قميص مناسب باللون الأزرق المنقوش الذي يضارع لون عينيها . كان قرارها الآن ثابتا لا رجعة فيه.. سوف تقبل هذا العمل مهما كان . ربما كان " دون فيليب " صارماً لكن ربما كان عادلاً ايضا . كانت شبه واثقة من ذلك تماما .

كان واقفا عند النافذة عندما دخلت حجرة مكتبه بناء على دعوته لها.

التفت إليها يتامل ملامحها وتعبيرات وجهه غامضة تماما ثم

بادرها قائلا :

- "العقد فوق المكتب... هل تحبين مراجعة شروطه قبل التوقيع عليه؟"

هزت " جان " راسها . مهما كان الامر فلن تتراجع الآن بعد كل هذا الشوط الذي قطعته .

- " إنني اعرف كل ما احتاج إلى أن اعرفه فيه . " امسكت بالقلم الذي كان معداً للاستعمال بجانب العقد وكتبت اسمها في المكان المحدد لذلك .

واعادته إلى مكانه مطلقة زفيرا هادئا . " ها هو ذا موقع عليه ومختوم ! "

واقترب منها ليمسك بالورقة وينظر إلى التوقيع :

- " إلام يرمز الحرف " ج " . "

- " جانباين " . إلا أن الجميع يدعونني " جان " من قبيل الاختصار . "

لم يعلق على ذلك بشيء ووضع العقد بداخل درج المكتب الذي اغلقه قائلا :

- " والآن لنتناول طعامنا . "

كان الغداء وجبة اخف بكثير من العشاء ، وحمدت " جان " الله على ذلك . شعرت بالجوع على اثر السباحة وتناولت طبقا من الجمبري الذي قدم كفاتح للشهية . تناولت بعض المشروبات التي كانت متاحة ببذخ وشعرت ببعض الارتياح تحت تاثيرها .

- " اعتقد انه من المناسب أن اعرف الآن المهام التي يتعين عليّ القيام بها بمقتضى هذه الوظيفة . " " ومن المؤكد انني متاهبة للبدء بالاضطلاع بها على الفور . "

رمقها " دون فيليب " بنظرة تعجب قائلا :

- أمل ذلك الليلة اسرع ما يمكن . "

جاء دور " جان " في التعجب . تقارب حاجباها وهي تسال :

- " الليلة ؟ "

- " بالتاكيد " : " مالم تفضلي بعد ظهر اليوم .

بدا الشك يتفاقم بداخلها ، حملقت في وجهه بعينين ازدادتا قتامة ، وشفتين مفتوحتين قليلا كما لو كان ذلك طلبا لمزيد من الهواء .

- قالت اخيرا :

" إنني غير واثقة من انني افهم شيئا . "

تفحصها بهدوء على مدى فترة طويلة وقد تغيرت تعبيرات وجهه بعمق حتى إنه عندما تحدث اخيرا كان ذلك بنبرة اثارت اعصابها :

- " ماذا كان مضمون هذا التعاقد في اعتقادك ؟ "

- " ماذا ؟ اعمال السكرتارية بالتاكيد . " . " فقد اخبرتني " رين " بانك بحاجة إلى سكرتيرة خاصة . "

قال بنبرة غاضبة يشوبها شيء اخر لم تستطع تحديده . - " هل اخبرتك بذلك بالفعل ؟ " .

يبدو أن أختك هذه لا تتوخى الصدق بالقدر المعقول . "

- " لماذا ؟ " انطلق السؤال منها عندما عجز عقلها عن ان يدرك البدائل المحتملة لمهام تلك الوظيفة التي اعتقدت انها قد فازت بها وإذا لم تكن بحاجة إلى تعيين سكرتيرة خاصة لك فما الذي تريده إذن؟"

وجاءتها الإجابة بعد فترة صمت وجيزة وكانت كل كلمة فيها مطرقة تسحق قلبها :

- " إنني اريد ابنا . "

الفصل الثاني

لم تعرف " جان " كم من الوقت ظلت تحملق في وجهه . فقد دار عقلها وتخترت أحاسيسها ثم قالت مترددة بعد طول صمت :

- " هل هذه مزحة ما ؟

لم تستحق الفكرة على ضوء النبرة التي قيلت بها حتى ان تؤخذ مأخذ البدعة. ولكنه اجابها :

- إنني لا امزح في مثل هذه الأمور . واختك على علم بكل المتطلبات.

- " لا أصدق ذلك . "

" من المستحيل ان تكون على علم بشيء كهذا ! "

- " لقد ثبت كذبها في أحد الأمور كما لم يثبت في اخر ؟ " فانفجرت قائلة :

- " لانه لا أحد في كامل قواه العقلية - واولهم انا - يتوقع ما تقترحه ! "

" قال بصعوبة " :

- " لقد وقعت على العقد بالفعل . طلبت ان تحتلي مكان اختك وهذا ما سوف تفعلينه . "

- " مستحيل ! " هبت واقفة على قدميها يتسارع نبضها ويخفق اليها بقسوة تمزق ضلوعها " سوف اغادر هذا المكان على الفور . "

قال وقد نهض في ذات اللحظة معها :

- " لن تفعلي ذلك . بيننا اتفاق واجب التنفيذ من جانبك . " برقت عيناه كفصين أسودين في بشرته السمراء الجذابة.

- " قالت مرتعدة ويدها تتشبث بالمسند الخلفي للمقعد حتى ابيضت سلامياتها تماما " ليس بمقدورك ان تحملني على ذلك ثم اضافت مؤكدة" لن تاخذ اية محكمة في الوجود بهذه الورقة التي وقعت عليها!"

" قال داحضا حجتها " :

- " اية محكمة في انجلترا .. ربما لكن هنا إسبانيا.. وطني . "

- " ومع ذلك ـــــ "

قاطعها بإشارة تدل على نفاد صبره وهو يقول :

- " بغض النظر . عليك أن توفي بالتزاماتك .. هذا ما يسعني أن اقوله لك . وقد حذرتك من عدم تحملي اي تراجع اخر في تنفيذ العقد . "

- " قالت متراجعة في يأس " لم أعرف ما نص عليه العقد . " عليك أن تصدقني . "

- قال بهدوء شديد بعد ان سيطر على غضبه . " إنني واثق من صدق قولك." هذا ما يجب ان تقوليه لاختك لا لاحد غيرها. منحتك الفرصة الكافية لقراءة العقد قبل التوقيع عليه ولكنك اخترت الا تفعلي ذلك . "

" اجابته بمرارة " :

- " مما يكشف عن حماقتي . لا بل عن بلاهتي ! . إذا كنت تنشد ابنا فلماذا لا تحاول إنجابه بالاسلوب الطبيعي من خلال زوجة لك ؟ "

" قال مؤكدا " :

- " ليست لدي الرغبة في الزواج كل ما اريده هو الطفل الذي بدونه سوف يؤول الجاه والممتلكات إلى ابناء خالتي الذين لا يحملون لقب العائلة "ريمادوس".

وهنا هزت " جان " راسها بإصرار قائلة :

- " لا تهمني اعذارك . ولا يهمني اي شيء مما تعرضه عليّ ! سأعود

الآن إلى وطني وليس بمقدورك ان تمنعني ! "

" قال بنبرة ناعمة ملؤها الخطر " :

- " هل هذا ما تعتقدين ؟ وما مقترحاتك بشان كيفية الرحيل من هنا ؟ "

- " بالطريقة التي اتيت بها . "

- " بالسيارة ؟ من الذي يقودها لك ؟ مستخدمي يكتون لي كل ولاء . ولن يفعلوا مالا ارتضيه . "

- " أسير إذن إلى القرية حيث استقل وسيلة مواصلات من هناك . "

قال :

- " جميع سكان القرية في عداد مستخدمي . " ولن يسدوا إليك اي عون . وتقع " جيريز " على بعد عشرين كيلومترا من هنا . هل تعتقدين ان بمقدورك السير كل هذه المسافة ؟ "

رفضت عيناها الزرقاوان ان تخض الطرف امام هذه السخرية القاتلة .

- " سافعل كل ما يلزم كي اغادر هذا المكان ! "

- " كفى ! " لو كانت لديه اية قدرة على التحمل فقد نفدت الآن كلية :

" اجلسي واكملي وجبتك ، وبعد ذلك سنناقش الامر مليا . "

حملقت نحوه في صمت ، وقد عرفت النهاية التي تتوقعها والتي لم تكن على استعداد لتقبلها . كان الموضوع برمته امراً لا يمكن تصديقه ان تحمل في احشائها طفل هذا الرجل مقابل تعاقد مدفوع الاجر امر لا تستطيع مجرد التفكير فيه !

- " سيكون الابن غير شرعي على هذا الوضع . "

لاح في عينيه بريق فولاذي وهو يجيب :

- " من المؤكد انني سوف اتخذ الإجراءات القانونية الواجبة لتبنيه. إثر ولادته تتسلمين مبلغ العشرة الاف جنيه المتبقية لك مع تذكرة سفر مجانية للعودة إلى انجلترا . "

بدا عقل " جان " يدور مرة اخرى . كانت لا تستوعب كلماته الاخيرة عشرة الاف ؟ "

- " كان هذا المقابل المتفق عليه . عشرون الف جنيه إسترليني سدد نصفه مقدما. "

لم تكذب " رين " عليها إذن بشان الصفقة باكملها فحسب ، بل اقتطعت لنفسها خمسة الاف جنيه .. هكذا تبينت " جان " مما جعلها

تشعر بالإعياء . المال لا يهم لكن كيف يتسنى لـ " رين " ان تبرر ذلك الموقف الذي وضعتها فيه؟

كان واقع الامر انه فيما يتعلق بـ " رين " فإن مبداها هو "الغاية تبرر الوسيلة" ، وطالما تبعت هذا المبدأ وإن لم تجنح من قبل إلى هذا الحد الحالي .

اخذ " دون فيليب " يراقبها من خلال نظرات طارقة . لم يفت دقة إدراكه الا تلاحظ التغيير الجذري الذي طرأ عليها .

- " افهم انها قد خدعتك في هذا ايضا ؟ " ولا غرابة في ذلك . "

- " لقد جانبك الصواب . " انكرت على الفور بدافع من غريزتها . " كنت افكر في ان مبلغ عشرة الاف اخرى يبدو حقيرا جدا كمقابل لما نطلب " .

تجاهل كلا من الإنكار والإهانة وقال :

- " ولاؤك لاختك موضع تقديري . وعلى اي حال فهذا امر يسوى بينك وبين شقيقتك . " توقف قليلا ثم قال بنبرة تهديد " اتجلسين كما طلبت منك ام اجلسك انا ؟ "

وكان من الممكن أن يفعل . لم تشك في ذلك لحظة واحدة . فضلت جان " الإبقاء على كرامتها على فقدها فاستعادت مقعدها شاعرة بعجزها . لابد ان تجد طريقها إليه . لا شيء مما يجري كان نتيجة لخطا من جانبها . فمن ذا الذي كان يمكنه ان يتكهن بان هذه الوظيفة لم تكن في واقع الامر مابدت ان تكونه ؟

سالت بعد انقضاء لحظة او اثنتين :

- " ما الذي كان سيحدث لو لم تبعث بي " رين " إلى هنا لاخذ مكانها؟ "

" اعني انه من غير الممكن لك المطالبة بتنفيذ العقد في ظل قوانين بريطانيا. "

- " لم اكن لالجا إلى القانون . " كانت سوف تحمل على العودة إلى هنا . "

- " باختطافها ؟ "

- " إذا لم يكن من ذلك بد . "

- " حتى لو اعادت إليك المبلغ ؟ "

- " المبلغ ليس اصل الموضوع . لانها على خلاف وضعك قبلت العرض وهي على علم كامل بما سوف يطلب منها . ولو لم يكن لديها

من بعد النظر ما جعلها تقدم البديل المقبول لسرعان ماعانت شدة غضبي .

- ياله من مهرب ! " جاء التعليق التهكمي بمثابة دفاع " هل تعتقد حقا أن اختفاءها يمر دون تعليق ؟ "

- " مما عرفته عن اسلوب حياة اختك تكون الإجابة عن هذا السؤال "نعم". توقف قليلا وبدا التهكم على شفتيه وهو يستطرد : " لقد استوفيت كافة المقاييس الصحية والجسمانية ، وإن كانت قاصرة في بعض النواحي لانني عندما اجربك سوف أؤكد ثقتي بان رجلا لم يقربك قبلي . وهذا في حد ذاته يساوى خمسة آلاف إضافية . "

شعرت " جان " بوجهها يتوهج فصاحت بمرارة :

- " عليك اللعنة . ليس من حقك — "

- " بل من حقي . وانت التي منحتني إياه . وكلما بكرت في الاقتناع بالامر كان افضل لجميع الأطراف المعنية . تناولي طعامك الآن . "

لو كانت ستوشك على الموت جوعا لما استطاعت في تلك اللحظة ان تضع شيئا من الطعام في فمها . شعرت بعجزها عن فهم الموقف كلية . اي نوع من الرجال هذا الذي يمكنه التفكير في مثل هذه الترتيبات ؟ والاهم من ذلك كيف يمكنها الخروج من هذا المازق ؟

وكما لو كان بناء على أوامر محددة فتح الباب في هذه اللحظة ليدخل منه "خوان" حاملا صينية محملة باطباق أخرى . اشار إليه دون فيليب " بإزالة الأطباق التي أمامها . والتي لم يؤكل ما عليها . فكرت " جان " في الاستعانة بهذا الخادم لكن سرعان ماتبدد هذا الامل بنظرة واحدة إلى تلك الوجه الأسمر الواجم . هل يعرف ما ينتويه سيده بشانها ؟ لم تجد الإجابة عن هذا السؤال وإن رات ان مساعدته لها قد تفقده عمله وعمل ابنته لدى هذا السيد . وهذا ينطبق على سائر الخدم بل وعلى جميع أهل القرية. لابد ان تتصرف بمفردها إذن. "

قالت بعد مغادرة الخادم الحجرة :

- " لو حدث أن جاء الطفل انثى ؟ " هذا لن يؤدي الغرض بالتاكيد. "

- " لم يولد لاسرة " ريمادوس " على مدى ما يزيد على المائتي عام سوى الذكور " هكذا جاءت الإجابة الواثقة " واشك في احتمال تغييري هذا الطراز في الوقت الحالي . ومع ذلك ففي حالة وقوع هذا الحدث بعيد الاحتمال يجري تجديد صلاحية العقد بنفس شروطه ليغطي

ميلاد طفل آخر . "

- " وكل ما علي أن افعله هو الاستمرار في إنجاب الإناث حتى يطلق سراحي. "

- " لحسن الحظ أن العامل المتحكم في نوع المولود لا دخل للانثى فيه . " قال بنبرة جافة " ربما افادتك بعض الدروس في علم الأحياء . "

قالت صارخة في وجهه عندما خانتها قدرتها على التحكم في اعصابها:

- " الموضوع برمته مثير للتهكم ! " . " هل سمعت عن المثل القديم بشان قيادة الفرس إلى الماء ؟ "

ابتسم فجاة وهو يقول :

- " تعنين أنني ساضطر إلى استعمال القوة ؟ "

منعت الحمرة أن تعلو وجهها بقوة إرادتها وحدها :

- " نعم . "

- " لا اتوقع ضرورة لذلك . " ولكن إذا لم يكن من ذلك بد ... " لم يدع اسلوب هز كتفيه مجالاً للشك فيما يعني .

قالت صارخة في وجهه :

- " إنك فاسق . هل تعلم ذلك ؟ "

لاحت النظرة الفولاذية في عينيه مرة اخرى:

- " لك أن تعتبريني كذلك إذا كان هذا يريحك . ولكنني افضل أن اطلق على ذلك مسمى النفعية على اساس انه بمقدورك ان توفري لي ما انا في حاجة إليه. "

- " ولو ثبت أني عاقر . هل فكرت في هذا الاحتمال ؟ "

- " احتمال بعيد . لم يجد دكتور " فالديس " سببا واحدا لذلا تنجبي عشرة من الأطفال الأصحاء بينما لا أطلب سوى ابن واحد "

- " اعوذ منك بالله " ثم صمتت لحظة تستجمع شجاعتها قبل ان تستطرد "وبغض النظر عن اي شيء آخر هل تعتقد ان من الممكن ان اوافق على الرحيل بعد ذلك ؟ تذكر أن الطفل سيكون ابني ايضا . "

- " لقد تضمن العقد هذا الشرط ايضا وينص على أن تتنازلي عن كافة حقوقك في مقابل استلام المبلغ المتفق عليه . "

رات ان مناقشة هذه النقطة لن تكون إلا مضيعة للوقت . وعلى اي حال فقد كان سؤالها هذا افتراضيا لانها لن تدع الأمور تتطور إلى هذا

الحد .

- " سيتم إعادة المبلغ إليك وهذا من شانه ان ينهي صلاحية العقد بالنسبة لي . "

- " المبلغ كاملا ؟ " ابتسم بينما عضت هي شفتها " وما قيمة المبلغ الذي سلم إليك على وجه التحديد ؟ "

- " هذا لا يهم . " حاولت ان تجد شيئا اخر تتحدث فيه " ولماذا اخترت "رين" ؟ الم يكن من الأفضل لك - وهذه خطتك - ان تحافظ على نقاء الدم بالأسرة ؟ "

- " انا ايضا تجري في عروقي دماء إنجليزية من جانب والدتي . ولا مانع لدي من قدر اخر من التخفيف لأن البيئة هي التي تصنع الشخصية . سيكون ابني إسباني الفكر والقول والفعل مهما كان لونه. هذا فضلا عن انه يصعب علي العثور على امراة مناسبة من بين بنات جنسيتي تكون راغبة في ان تشاركني إنجاب هذا الطفل . "

- " لكنني ايضا غير راغبة ! هل لا يعني ذلك شيئا لك ؟ "

قال بنبرة تدل على ان صبره قد بدا ينفد واتخذ فمه وضعا منذرا : " كانت شقيقتك راغبة - او هكذا بدت بالتاكيد إنك تدورين في حلقة مفرغة . هل عليّ ان اظل اكرر ما سبق قوله ؟ "

- " وهل عليّ انا ذلك ؟" زودها الشراب الذي احتسته ببعض الشجاعة او اطلق لسانها على الأقل . برقت عيناها بشدة وضربت النضد بقبضة قوية جعلت الأدوات الزجاجية تتنبذب من فوقه . " ساقتل نفسي قبل ان ادعك تمسسني ! "

- اجابها غير متاثر بذلك المشهد : " الحياة حلوة . اعتقد انك ربما تغيرين رايك الليلة وكل ليلة حتى اتاكد من حدوث الحمل . سأتي إليك إذا رغبت في ان اكون رقيقا معك فيجب ان تتصرفي معي بمثل ما تنشدين من الرقة وإلا ... "

وتوقف هنا موحيا بانه قد انهى حديثه عند هذا الحد .

جلست " جان " ساكنة تماما . جف حلقها .

إن الرجل يعني كل كلمة قالها .. لم يعد هناك اي شك في ذلك . كيف يمكن ان تكون " رين " هي التي فعلت بها كل هذا ؟ وكيف كان من الممكن ان توافق على امر يصل إلى هذا الحد ؟ اخذت تتامل وتتساءل وهي تعرف ان ذلك لن يجدي ولن يخلصها من هذا المازق .

قالت بصعوبة من خلال شفتين جافتين : اريد ان اكون بمفردي . " هل لديك اي اعتراض في ان اذهب إلى حجرتي ؟ "

- "يمكنك ان تذهبي حيثما تشائين بشرط الا تحاولي مغادرة المكان "

قال ذلك بنبرة جادة " وإذا اردت شيئا فما عليك إلا ان تطلبي احد الخدم فلديهم التعليمات بان يقدموا لك كل مساعدة . "

قالت لنفسها "باستثناء الخروج من هنا" . نهضت وغادرت الحجرة مارة بـ"خوان" الذي اتى حاملا " الحلو" براس مرفوع . كان امامها بقية اليوم لتخرج فيه بخطة ما . بخطة تمكنها من الهرب !

بدت الحجرة رغم كبر مساحتها مثل زنزانة حبس . فإذا ما اغلق الباب البلوطي الثقيل امكن سجنها هناك . لم تشك لحظة في ان " دون فيليب " من الممكن ان يلجا إلى ذلك عند الضرورة ... بإمكانه ان يفعل اي شيء .

وابة مناشدة لمشاعره ان تكون إلا مضيعة للوقت . ومن وجهة نظره فإنه قد اشتراها وسدد ثمنها فاصبحت له .. يفعل بها ماشاء .

تبددت اية جانبية من الممكن ان تكون قد شعرت بها تجاهه . بدات تراه فاترا غير مبال لاشرف له . مجرد التفكير فيما سوف يكون لو لم تنجح في الخروج من هذا المكان وتر كل عصب في جسدها .

قالت تحث نفسها بضراوة " فكري ! "

عندما حضرت " بولا " في الرابعة والنصف حاملة لها شاي ما بعد الظهيرة وجدتها مستلقية بفتور بعرض الفراش . لم تتحدث الفتاة الإسبانية إلا قليلا . إلا ان شيئا ما في نظرتها جعل " جان " تتساءل عما إذا كانت تلك الفتاة مدركة المازق الذي هي فيه . فكرت في الاستعانة بها . إلا ان فرص النجاح كانت محدودة بما لا يشجعها على المغامرة . لم يصبح امامها إلا ان تلجا إلى محاولة كسب الوقت وإن لم تعرف السبيل إلى ذلك .

عندما يحل المساء ستكون متاهبة لان تجرب اية وسيلة . اتخذت طريقها إلى الطابق السفلي في ثوب من الكتان الأبيض قاصدة الصالون . وجدت ان اسرها قد سبقها إلى هناك . نهض عندما دخلت الحجرة وكانت الحلة الخفيفة التي ارتداها صدى للثوب الذي اختارت ان ترتديه لونا ونسيجا . حتى النظرة التي رمقها بها عندما راى ذلك شابها ما يشبه الدعابة.

قال معلقا :

- " تطابق نادر ! " "هل لك في مشروب ؟ "

- طلبت بارتياح مشروبا مثلجا .

سكب لها المشروب الذي طلبته واضاف إليه بعض مكعبات الثلج من إناء فضي معد فوق الصينية . اتاها بالمشروب حيث جلست على اريكة مريحة ملتقطا كاسه ايضا ليجلس إلى جوارها .

قال :

- " اعتقد ان الوقت قد حان ليتفهم كل منا الآخر . "

ضغطت " جان " على نفسها حتى تجلس في هدوء ولا تحاول الابتعاد عنه شعرت بالدفء المنبعث منه واشتمت رائحة عطر مابعد حلاقة النقن . كانت تلك اليد الممسكة بشرابه نحيلة طويلة الأصابع ذات معصم قوي يكسوه طرف كم القميص. كانت ساعة يده الذهبية التي في مثل سمك الرقاقة " رولكس " ... لم يعن المال شيئا لهذا الرجل الذي عاش كل حياته في وفرة منه .

قالت : "التفهم الوحيد الذي انشده هو ان تتركني أمضي . " ولكنه هز راسه مجيباً :

- " هذا يعيدني إلى حيث بدات . يجب ان يظل الاتفاق قائما . ربما كنت عنيفا بعض الشيء في حكمي فيما سبق . ولكنني على استعداد لان امنحك الوقت اللازم لتتواءمي مع ماهو متوقع منك . "

نظرت إليه مسرعة وهي تسال بلهفة .

- " كم من الوقت ؟ "

- " بضعة ايام . "

- " ياله من كرم ! "

دل التنهد الذي صدر عنه على قوة احتمال واهنة :

- " إنني احاول ان اكون كريما معك . لكن امام ما تفضلين يمكننا العودة إلى الفكرة الأصلية . "

ضبطت اعصابها .. اي تاجيل افضل من لا شيء ، لان بضعة ايام من المهلة سوف تمكنها على الاقل من تدبير شيء ما .

- " لست في عجلة من أمري " .

قال موافقا على رايها .

- " ولا مبرر لذلك في الوقت الحالي " " اخبريني . هل ما تخشينه هو ملاطفتي لك ، أم ملاطفة جنس الرجال على الإطلاق ؟ "

سقطت نظرات العينين الزرقاوين على الكاس تتاملان محتوياته بينما اجابت متحكمة في نبرات صوتها وتعبيرات وجهها :

-كل ما في الأمر انني اعتبر الحب عنصرا اساسيا في ممارسة الحب "

- " ليس الحب ... لكن الجاذبية . فلو لم اجدك جذابة للبصر لما قبلت البدل "

قالت بحدة من خلال شفتين مرتعشتين :

-واضح انك قد وجدت "رين" جذابة للعين ايضا " كيف التقيت بها؟"

قال: اصطدمت سيارتها بسيارتي امام بوابة القصر تقريبا . ماكان في وسعي سوى ان اخذها إلى الداخل حتى تعود إلى حالتها الطبيعية ؟

ثم استغرق إصلاح سيارتها اسبوعا . "

- " وقد اغريتها خلال تلك الفترة بقبول اقتراحك ؟ "

هز كتفيه باختصار قائلا :

- " لم تكن في حاجة إلى الكثير من الإغراء . وقد افهمتني انها لابد ان تعود إلى انجلترا لتسوية بعض الامور ، ولم تذكر ان رجلا ما كان ينتظر عودتها "

اجابت " جان " :

- " عرض " الان " الزواج عليها . كان امرا مفاجئا . " " ولا يمكنك ان تلومها لانها قد فضلت الزواج على ما تعرضه انت عليها . "

نظرت إلى وجهه وهي تسال " هل كنت لتتبعها حقا ؟ "

قال مؤكدا بعنف " بذات التصميم الذي اتبعك به لو حاولت الهرب .

وبنفس النتائج التي كانت سوف تتعرض لها لو كانت قد اعيدت إلى هنا . "

هكذا قالت محدثة نفسها ! لو تمكنت من الهرب لن تعيدها قوة ما على الارض فاول مكان تلجا إليه هو مركز الشرطة . فهذا العقد لا يساوي ثمن الورقة التي كتب عليها !

كانت اليد التي امسكت بنقنها لترفع وجهها إلى اعلى مصرة على

هدفها . وخارت فوق ركبتيها إزاء النظرة التي راتها في عينيه .

قال محذرا : مهما كان ذلك الشيء الذي تخططين له في عقلك هذا .

" لا تحاولي تنفيذه . لان تهديداتي ليست واهية "

قالت بنبرة تحد مقاومة تاثيره عليها :

- " ماذا تفعل لو حاولت ؟ ناهر بضربي ؟ "

- " تضربين نعم . لكن بيدي لا بيدي غيري "

- " ومما لاشك فيه انك سوف تتلذذ بذلك ! "

- " ليس بالاسلوب الذي تعنينه . لانك تتمتعين باحاسيس قوية " ثم اضاف بنبرة اكثر رقة " وإني اكره ان امسسها بسوء . اطيعيني ولن تكون هناك حاجة إلى ذلك . "

كبتت " چان " الكلمات القاسية التي تدافعت إلى شفتيها لانها لن تبلغ ماربا بتحديه . لانه طبقا لتقديره يتعين ان تكون النساء من الجنس الخاضع . لجات إلى اسلوب التحايل بغض النظر عن مقدار المرارة التي تشعر بها لو حاولت التظاهر بشيء ، غير تلك الكراهية التي احستها نحو الامر برمته .

فقالت بعد تفكير :

- " يبدو انك قد وضعتني في موقف حرج يا سيدي "

اجابها مصححا .

- " فيليب " ادعني " فيليب " من الآن فصاعدا . "

كان من المستحيل ان تعرف ما إذا كان متقبلا خضوعها البادي . وإذ كان لايزال ممسكا بذقنها احنى راسه ليضع شفتيه فوق شفتيها بحركة جعلت الاحاسيس تسري في عروقها بمثل حرارة النار . توترت رغما عنها ، وانقبضت راحتاها ، نظرت إليه عندما اطلقها نظرة الواقع تحت مخدر ما .

قال بهدوء :

- " ربما لم تتاري بعد ولكنك غيرمفتقرة إلى التجاوب الطبيعي .

" لا اعتقد انه ستكون هناك ضرورة لاستعمال القوة معك عندما يحين الوقت يا عزيزتي . "

بدات " چان " ايضا تشك في ان يكون هناك ما يدعو إلى الالتجاء إلى القوة عندماتبينت المشاعر التي اثارها بداخلها . فبغض النظر عن

الاعتقاد الذي طالما اعتزت به لم يكن العقل مرتبطا بالجسد بذلك الرباط الوثيق وهذا ما يؤكد الضرورة إلى فرارها . فنيل هذا الرجل إياها امر سيء جدا . اما اكتشافها انها تتجاوب مع ملاطفاته لها فهو مالا تحتمل مجرد التفكير فيه !

بذلت مافي وسعها على مائدة العشاء لتجعله يعتقد انها قد اقلعت كلية عن فكرة الفرار . كان ممتع الصحبة بصفته متحدثا ممتازا حملها بحلاوة اسلوبه بين الحين والحين إلى حافة نسيان السبب في وجودها في ذلك المكان .

بدا الارتياح عليه ايضا . وإذ فارقته الحدة التي ارتسمت على وجهه في اول لقاء بينهما بدا اصغر سنا واكثر جاذبية . تصورت انها كانت ستجده مكتسحا في ظروف غير هذه . كان بالتاكيد مختلفا عن اي رجل اخر التقت به من قبل .

تمتمت بفضول اثناء تناول القهوة :

- " دائما ما اعتقدت ان الاسر اللاتينية تميل إلى ان تعيش معا . وهذا القصر يبدو فسيحا جدا على ان يقطنه شخص واحد . "

- " توفيت والدتي اثناء ولادتي ، ولم يتزوج ابي مرة اخرى . اما هو فلقي مصرعه في كارثة جوية منذ عدة سنوات . والخالات والاخوال الباقون على قيد الحياة واولادهم لهم بيوتهم الخاصة بهم . "

- " ولا احد منهم قريب لك بالدرجة التي يمكن ان ترشحه لان يكون خلفا لك؟"

- " لاحد ممن يحملون اسم العائلة . سبق ان قلت لك ذلك . فقد توفي شقيقا والدي على اثر إصابتهما بانفلونزا وبائية عندما كانا صغيري السن جدا غير تاركين نسلا لهما . "

قالت بمشاعر تعاطف صادقة :

- " لقد واجهت عائلتك الكثير من المآسي . "

إلا انه هز كتفيه مخففا وهو يقول :

- " لابد ان نموت جميعا في وقت ما . "

- " ومن الافضل ان يكون ذلك الوقت آجلا لا عاجلا . " ثم سالت بجدية :

- " هل سبب عدم زواجك انك لا تحب النساء بحق ؟ "

ارتفعت زاوية فمه الى اعلى قليلا وهو يسال :

نَعَمْ احِبّه ..!

- " هل تتهمينني بميول اخرى ؟ "

كان هذا اخر ما كانت " جان " تتوقعه من هذا الرجل بالذات فاجابت:

- " لا . لا للحظة واحدة . "

-"لقد استرحت الآن" صمت قليلا ونظراته تتفحص وجهها. "اسباب عدم زواجي شخصية ، ولكنها لا تنطوي على أي كراهية للنساء على وجه العموم .

على العكس اعتقد ان الصحبة النسائية بالغة الاهمية . "

نظرت إليه دون تردد :

- " اعتقد انك تعني في فراشك ؟ "

قال بإعجاب تشوبه الحدة .

- " ارى انك تتجاوزين حدود اللياقة . "

- " ليس باكثر مما تفعل . "

- " باستثناء ان ذلك يحق لي . "

-"من وجهة نظرك دون غيرها. يتاتى للمال ان يبتاع لك الجسد دون الروح !"

- " تعبير شاعري في عالم غير مثير عادة . " اصبحت نظرته متاملة فجاة :

" ارى ان بك ما يفوق ذلك الذي يوحي به مظهرك البادي للعين . وربما اسفرت علاقتنا عن إثمار في نواح اخرى إضافة إلى تلك المنصوص عليها بالعقد . لا.. لن تستمر علاقتهما إلى الحد الذي يؤتي اية ثمار .. هكذا قالت " جان " تطمئن نفسها في محاولة لعدم الاعتراف برد الفعل التلقائي الذي حكم حديثه إليها . بإمكانه ان يجعل صوته رقيقا ونبرته حسية إذا ما شاء .. وعندما يمارس الحب مع امراة ما - تسلل إليها هذا الفكر - لابد ان يفعل ذلك بكل رقة وحرارة . شعرت بعدم الارتياح يغزو جسدها ممزوجا بمرارة لم تستطع تجاهلها مع وخز اهتياج في جلدها . لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تعرف فيها الجاذبية الجسدية ولكنها لم تشعر ابدا بمثل ذلك . راودها ايضا إغواء عابر بان تجعل الامور تجري في مسارها .

إلا ان الاشمئزاز تولد على الفور على اثر هذا الشعور الاخير . كيف يمكنها ان تفكر هكذا ؟ لا يكن " فيليب دي ريمادوس " لها اية مشاعر فردية هي له مجرد وسيلة يحقق بها غاية .. كان من الممكن ان يكون مع

" رين " زوجا ممتازا فكلاهما متحجر القلب كلية فيما يتعلق بمصالحهما الخاصة .

قال على غير المتوقع ليضع نهاية للصمت :

- " الجو ممتع الليلة هلا تناولنا شرابا في الهواء الطلق في الخارج ؟ "

- " لا اعتقد انني في حاجة إلى ذلك . شكرا لك " كل ما كانت في حاجة إليه في تلك اللحظة ان تكون بمفردها مرة اخرى بعيدا عن وجوده المقلق . " إضافة إلى انني لست من هواة هذا النوع " .

-"شيء اخر إذن" لم يكن ليدعها تمضي عنه بسهولة .. هذا ما اكدته نبرات صوته. "هل كنت تفضلين الا اترك لك الخيار في الامر ؟" سالها بتلك النبرة الناعمة التي بدات تتعرف عليها وتحذرها" قليل من الهواء الطلق سوف يفيد كلينا "

استسلمت لرغبته متنهدة :

- " إذا كان هذا رايك فلا باس . إلا انني لا ارغب في مشروب اخر "

قبل رفضها هذا دون نقاش . استدعى " خوان " بان ضغط على زر الناقوس المثبت بالنضد وامره بان ياخذ شرابه إلى الخارج ثم نهض على قدميه . وقال مخاطبا إياها .

- " تعالي "

كان من الممكن الوصول إلى ذلك " التيراس " من خلال اي من الحجرات الواقعة إلى الخلف . كانت مسقوفة عند احد اطرافها بعوارض خشبية مكسوة بالنباتات المتسلقة كثيفة الأوراق . التفت المقاعد المريحة فيها حول نضد منخفض . احضر " خوان " الشراب على الصينية ومضى في الحال . لم يعكر صفو الليل إلا أزيز بعض الحشرات . غزت انف "جان" مجموعة من الروائح المختلفة المنبعثة من احواض الأزهار القريبة . وكان الجو جميلا بعد ان فارقته شدة الحرارة والرطوبة اللتين سادتا ساعات ضوء النهار .

قالت متعجبة :

- " الجو مدهش هنا " وقد نسيت في سعادتها بهذا الجو المنعش رفضها المجئ في بادئ الأمر " قلما تتاح لنا فرصة الجلوس خارج المنزل في الأمسيات في انجلترا "

اجابها " فيليب " .

- " حتى هنا توجد بعض العوائق . إلا انه يبدو ان الناموس متغيب الليلة. هل انت واثقة من انك لن تغيري رايك بشان المشروب ؟ إنه من نوع جيد جدا ."

تساءلت ولم لا ؟ سيمنحها على الاقل ما يمكن ان تفعله بيدها ..

- " حسنا . " قالت لكن بقدر قليل جدا ."

ملأ لكليهما كاسا واضعا الكاس ذات المقدار الاقل امامها . ثم استند إلى الخلف في مقعده يدحرج كاسه بين راحتيه برهة قبل ان يتذوق محتوياته ارتشفت "جان" بحذر فشعرت بتوهج فوري بمجرد ان انزلق السائل برقة فوق لسانها ليخفف من حدة توترها بعض الشيء . لم يكن من المواقف السيئة ما لا يمكن التغلب عليه او تلافيه .. كل ما تحتاج إليه هو بعض الوقت .. وقد سمح لها به .

كان من الصعب عليها ان تفكر فيه كـ " فيليب " الذي عرفته . استرقت نظرة إلى شكل وجهه الجانبي الحاد وتساءلت كيف يكون شعورها نحوه لو انها اتخذته صديقا لا عدوا . حتى كلمة " عدو " لم تكن الصفة الصحيحة له . كان يتصرف باسلوب يتسم باعلى مقاييس الشرف من واقع فلسفة حياته الخاصة. لن يجدي إغراؤه بان يرى الامور من حيث تراها في الوقت الذي لا يعترف فيه بخطأ تصرفاته . ومع ذلك فإن قبول تعليماته ينافي جميع المبادئ التي اقتنعت بها . فالطفل ليس سلعة تباع وتشترى على مناضد المساومة .. إنه كائن بشري له احتياجاته وحقوقه الخاصة به . لن يتغير رايها في هذا التقييم ولا بانقضاء مليون سنة .

قال بنبرة ساخرة ايقظتها من حلمها " لقد اخبرتك بالفعل انه ليس ثمة ما يخيفك مني الليلة . " لذلك يمكنك ان تكفي عن إلقائك علي بنظراتك الجانبية الجزعة . "

قالت متمهلة :

-"في الواقع" كنت احاول ان اقرر ما إذا كنت حقا تاخذ امراة رغما عنها."

- " هل الامر كذلك ؟ " بدا صوته وكانه مستمتع بما يقول " وما قرارك ؟"

- " لم يمكنني التوصل إلى اي شيء "

- " ساوفر عليك إذن جميع تصوراتك للامر . سيكون الاختيار لك

بصفة مطلقة . "

- "هل تعني انه لو اصابني اذى فسيكون ذلك مترتبا على خطا من جانبي؟"

- " بالتاكيد . "

لم يتم إضاءة اية اضواء حتى لا تنجذب الحشرات . كانت عيناه في الظلال فلم تتمكن من قراءة تعبيرات وجهه . " من غير المحتمل ان تكون المرة الأولى بتلك الالام التي يتصورها البعض دائما . ومن المفروض ان يكون اي رجل كفيلا بان يعامل فتاته بكل رقة وحرص . فاقدو الإحساس فقط هم من يرون في السرعة ميزة . "

نبض صدغها وتدفق الدم داخل اذنيها . طرق موضوع كهذا مع رجل ما كان جديداً عليها .. اثارها وافقدها هدوء اعصابها . جعلها تشعر وكان جيشا من النمل يتحرك تحت سطح جلدها . ارادت الاستزادة من حديثه .. ان تظل تستمع إلى صوته هذا بنعومته ورقته التي كادت ان تكون - في حد ذاتها - تمسيدا لفؤادها - تطلب انسحابها إلى خارج منطقة الخطر جهدا كبيرا .

قالت بصوت خشن :

- " لايبدو لي ان الإحساس وارد في راس قائمة افضلياتك . "

وضعت كاسها فوق النضد ونهضت . سارت لتنظر إلى الاشياء في ضوء القمر محاولة ان تهدئ من نبضها المتسارع . لم يكن من الصواب ان تمكنه من ان يؤثر عليها إلى هذا الحد بينما رفضت جميع غرائزها ما ينتويه .

شعرت بحاجة إلى ان تجري بعيدا وتظل تجري في اي اتجاه وإلى اي مكان تكون فيه بعيدة عن هنا !

لم تسمع صوتا لحركته ولكنه كان خلفها فجاة .. بداه الدافئتان فوق كتفيها تجذبانها إلى صدره . تحسست شفتاه النبض الذي مازال يخفق في صدغها لتتخذا ممراً رقيقاً إلى وجنتيها . دفع شعرها الكثيف المنسدل على كتفيها جانبا ليغزو الجلد الرقيق خلف شحمه اذنها . لم تستطع المقاومة .. لم تستطع إلا ان تظل واقفة تحاول ان تحتفظ لنفسها ببعد كاف عن تلك المشاعر التي تهدد باكتساحها . لو تحركت فلن يسفر ذلك إلا عن اقتراب اكثر من ذلك الجسد الصلد الدافئ الواقف خلفها تماما .

قال متمتما :

-كما ترين لن يكون الأمر صعبا إلى الحد الذي تتصورينه ربما على الأقل—"

- " لا . ارجوك ! " خشيت أن يقترح التراجع عن تلك المهلة التي كان قوامها بضعة ايام فقط " لقد وعدتني ببعض الوقت ! "

- " هكذا فعلت . " قال بنبرة مغايرة اصبحت ساخرة مرة اخرى مسقطا يديه من عليها " اسبوع ثم ننفذ صفقتنا سواء اكنت مستعدة ام غير ذلك " .

"بعد اسبوع من الآن لن تكون هنا " .. هكذا قالت لنفسها وهي تعالج جفاف حلقها . لن تجرؤ على ان تبقى .. فقد بدأت تتبين كم كانت قواها العقلية غير كفيلة بمقاومة المطالب المحتملة .

الفصل الثالث

عرفت " جان " خلال الأيام التالية طريقها إلى مختلف ارجاء المنزل والأراضي الملحقة به ، كما بدأت تدريجيا بعد محاولات عديدة تجنب يولا " خارج قوقعة صمتها رغم ان تلك الفتاة لم تكن على استعداد للاشتراك في اي حديث اكثر من لحظات معدودة قبل ان تجد عملا تؤديه . كان من الصعب على "جان" ان تعرف ما إذا كانت الفتاة مدركة حقيقة موقفها ، ولم تتمكن من ان تستفسر منها بطريقة مباشرة عن مرجع ذلك فلم تستطع الاستدلال على الأسلوب الذي تصوغ به ذلك السؤال . لم يكن لديها ادنى شك بالنسبة لبقية المستخدمين . فاينما ذهبت وقع بصرها على واحد منهم او اكثر .

لم يبذل "فيليب" اية محاولة للاقتراب منها على نحو ودي منذ ذلك المساء الذي جلسا فيه في الشرفة . ومع ذلك ضبطته في بعض الاحيان يراقبها بعينين متأملتين . قضى معظم اوقات الصباح خارج المنزل ليعود في موعد الغداء الذي كثيرا ما امتد حتى فترة طويلة من بعد الظهيرة ثم يختفي مرة اخرى حتى يحين وقت العشاء . لم يكن لدى "جان " ادنى فكرة عن المكان الذي يذهب إليه او ما كان يفعله خلال تلك الساعات . لم تكد تراه جالسا إلى مكتبه ومع ذلك من ذا الذي يعلم ؟

فمن غير المستطاع التنبؤ باي شيء فيما يتعلق بمحتجزها هذا

ازداد يأسها بانقضاء نصف المهلة التي منحها إياها . قررت ضرورة الفرار ليلا . كانت الخيول في حظائرها التي لم تبعد عن المنزل الرئيسي باكثر من عدة مئات من الياردات . ان تسرج احد الأفراس وتخرج ممتطية صهوته اسهل عليها من ان تحاول سرقة مفاتيح إحدى السيارات . كانت خبرتها بركوب الخيل محدودة ولكنها كافية بالتاكيد لأن توصلها إلى " جيريز " حيث يمكنها ان تستقل وسيلة انتقال حتى "سيفيل" ثم طائرة إلى الوطن .

لحسن الحظ ان كان معها من الشيكات السياحية ما يكفي عودتها إلى انجلترا . ستضطر بالتاكيد إلى ان تترك وراءها الجزء الأكبر من امتعتها فذلك ثمن زهيد لحريتها .. وبمجرد ان تطأ ارض الوطن تعمل على ان توفر لنفسها الأمن والأمان من ان يتبعها احدهم بان تلجأ إلى الشرطة . إنها واثقة على الأقل من شعورهم إزاء هذا الموضوع .

وتتوجه بعد ذلك إلى السيدة " رين " لتسترد منها المبلغ الذي كانت قد تقاضته ثم ترد المبلغ باكمله لتسوية الحساب نهائيا . عندئذ فقط يمكنها ان تتنفس بحرية مرة اخرى .

لم يكن اختفاء جواز سفرها من حجرتها امرأ متوقع الحدوث .

انكرت " يولا " بقوة علمها بمكانه عندما سئلت ولكنها تحاشت لقاء نظرات "جان"

كان " فيليب " قد دخل حجرة مكتبه بعد الغداء . رفع راسه دهشا من خلف المكتب الذي كان مشغولا بكتابة شيء ما فوقه عندما اندفعت إلى الداخل قال مقطبا حاجبيه :

- " لم اسمع قرعا على الباب . "

- " ربما لانني لم اقرع . " كانت منفعلة إلى الحد الذي تغاضت فيه عن مقتضيات الذوق السليم " لقد اخذت جواز سفري ! "

اجاب بهدوء .

- " هذا صحيح . . . يمكنك ان تعتبري ذلك تامينا لعدم رحيلك "

- " لم اكن اخطط للرحيل . وكيف يمكنني ذلك وقد وضعت من يراقبني طوال الوقت ؟ "

قال باختصار وهدوء متجاهلا ذلك السؤال الأخير "

- " وفي هذه الحالة لا حاجة بك إلى جواز السفر " سيحفظ في

الامان . اطمئني . " توقف قليلا ثم سال " هل لديك شيء آخر تودين ان تقوليه ؟ "

اجابت بمرارة .

- " لا شيء مما يروق لك ان تصغي إليه . "

- " في هذه الحالة لدي من الامور ما يتطلب اهتمامي . " نظر إليها وقد بدا عليه بعض التراجع ثم استطرد " فيما بعد عندما تستقر الأمور بيننا يمكننا الذهاب إلى " جيريز " في إحدى الامسيات لمشاهدة الفلامينكو .. هل تحبين مشاهدته ؟ "

سالت وهي تشعر نحوه بكراهية شديدة على اقتراحه ذلك "جزاء على حسن السلوك ؟ لا تعتمد على شيء . "

اجابها بصوت اكثر حدة : " بقي لك ثلاثة ايام اخرى . ام يجب ان اقول لك ثلاث ليال ؟ من الافضل لك الا تمعني في إغضابي . مالم ترغبي في ان تفقدي بقية المهلة . "

- " عليك اللعنة ! " صرخت بقوة واغلقت الباب مستندة عليه لحظة حتى تستعيد ما يشبه السيطرة على مشاعرها . لن يمنعها من الرحيل. ليس بهذا الاسلوب . من المؤكد وجود قنصل بريطاني في سيفيل " وعليهم ان يسدوا إليها ما تحتاج إليه من مساعدة .

إذا كانت هناك سلوى واحدة يمكن ان تعود عليها نتيجة لمصادرة "فيليب" جواز سفرها فهي ان "فيليب" لن يتوقع اية تحركات من جانبها. حسنا . سوف يرى. بل سيرى جميعهم! ولابد ان يكون ذلك الليلة !

لم تتخذ إلا ترتيبات قليلة . وضعت الأشياء القليلة التي امكنها ان تحملها معها في اكبر حقائب يدها التي تعلقها في كتفها . واخفتها خلف خزانة الملابس.

كان المسؤولون بمدرسة تعليم ركوب الخيل التي كانت قد التحقت بها فترة ، يصرون على ان يفعل الطلاب كل شيء بانفسهم .بما في ذلك سرج وتلجيم الركائب . سوف تفيدها هذه الخبرة الآن . كان جل همها هو ما إذا كانت هناك حراسة على الحظائر ليلا . كانت الخيول مزيجا من الأنواع العربية والإسبانية والإنجليزية كما اخبرها "فيليب" من قبل واسعارها مرتفعة جدا . كان قد عرض عليها ركوب احدها لكنها نفت اية قدرات لها في هذا المجال . املت ان تكون في طريقها إلى " سيفيل " قبل اكتشاف امر اختفاء احدها .

مرت بها لحظات غريبة في الامسيات القليلة الماضية كانت تنسى فيها وضعها. فقد كان بمقدور " فيليب " ان يسحر الطيور ويبعدها عن اشجارها إذا ما بدا له ان يستثمر تلك الخاصية النادرة من شخصيته. لم تسمح لنفسها الليلة باي قدر من ذلك الارتياح .

تناولت عشاءها في صمت تام تقريبا مجيبة افتتاحياته الحوارية بكلمات وحيدة المقطع .

اجابته عندما نفد صبره معها اخيرا : - " يمكنك ان تبقيني هنا . ولكن لن يمكنك ان تجعلني احب ذلك . " " لست واحدة من اتباعك الذين التصقوا بالأرض ليخدموا سيدهم ! إنني رعية بريطانية وساتصرف كإنسانة ! "

قال بجراة " إنك سليطة وسوف استمتع وانت تكشرين عن انيابك الصغيرة الحادة . "

قالت بنبرة حادة " لن اجادلك إذا كانت تلك هي امالك " لانه عند اخذ القوة البهيمية في الاعتبار من الواضح انني لم اجبل لانافسك وعلى خلاف رايك الذي لا اشك فيه ، هذه هي الناحية الوحيدة التي ينفوق فيها الذكور ! "

تغلبت السخرية لحظة على الغضب الذي وضح في عينيه :

- " لن اناقش ذكاءك بل استغلالك له . هل من المنطق ان تتحدي سلطتي في الوقت الذي يتضح لك فيه مدى سيادتي في هذا المجال ؟ "

اجابت على الفور " وهل من المنطق ان تتوقع من امراة اجنبية ان تتقبل ما تمليه عليها لمجرد ان هذه هي رغبتك ؟ وهل من المنطق ان تعتقد انه يمكنك ان تستبقيني محتجزة هنا دون ماتنب ؟

ولو فرضنا انني سانفذ شروطك فما الذي يحول دون التجائي إلى السلطات - بعد ان تقذف بي خارجا - والمطالبة بإعادة طفلي إليّ ؟ "

تقلصت العضلات حول فمه منذرة مرة أخرى :

- " لا شيء على الإطلاق باستثناء انني ساحتفظ بموافقتك المكتوبه لن تحكم اية محكمة هنا بالحضانة لام توافق على تاجير رحمها مقابل العائد المادي بغض النظر عن انها قد غيرت رايها بعد ذلك او لم تغيره "

- " توافق " هذه هي الصياغة المواتية . الامر كله مجرد سوء تفاهم وانت تعلم ذلك ! "

فاجابها بقسوة :

- " لن تجدي واحدا من مستخدميّ على استعداد لأن يشهد ضدي . "

لم يات بجديد . لم يتوقع ذلك لكن قوله إياه اكد شكوكها .. لن يصل الامر إلى ذلك بالتاكيد. لن يكون هناك طفل ولا عقد . لن تراه بعد الليلة.. تقلصت احشاؤها لهذه الفكرة .

قالت بازدراء موجه إلى ذاتها لشعورها بانفه الالام إزاء فراقها إياه.

- " انت فاسق . "

- " انا اشياء كثيرة . " " اما في هذه اللحظة فإنني موشك على ان اعاملك بنمط تصرفي مع اية امراة تجرؤ على ان تخاطبني بهذا الاسلوب . "

إنه قادر ولاشك على تنفيذ تهديداته .. هكذا رأت بينما أن التراجع ليس من سماتها .. لكنه افضل في هذه الحالة من ذلك البديل .

قالت رغما عنها : - " إنني آسفة تماديت في مشاعري ، لا يمكنني ان اكون مثل واحدة من نسائك ، وعليك الا تتوقع مني ذلك "

لم يلن على اثر اعتذارها بشكل واضح ، واجاب :

- " لقد تهاونت معك اكثر مما ينبغي .. لكن لا مزيد . عليك أن تبدئي اليوم تنفيذ التزاماتك . "

قالت وقد شعرت بضرورة تصحيح خطئها : " لا ! لقد وعدتني اسبوعا!"

بدا نفاد الصبر في نظرته :

- " ما الفرق الذي يمكن ان تاتي به ثلاثة ايام اخر ؟ "

اجابته دون تفكير مسبق واع :

- " ربما انت بفرق كبير . إذا كنت اقاوم شيئا فهو مشاعري ... فانا في حاجة إلى بعض الوقت لاتواءم معها . هذا هو كل مافي الامر . "

فكر ملياً فيما قالت قبل ان يجيبها ، وقد طرأ على تعبيرات وجهه تغير لم يمكنها تحديده :

- " اتحاولين ان تخبريني بان تودي إليك ربما لا يكون بغيضا لك إلى الحد الذي تبديه ؟ "

- " وهل هذا من الصعب تصديقه ؟ " " لقد علمت كم اثرت فيّ قبلتك ذلك المساء . لم - لم اعرف ابدا رجلا مثلك من قبل .

- " لم تعرفي ابدا رجلا ... " اجاب :

" ربما عرفت مجرد صبية لم يعلموك شيئا . "

توقف قليلا ليستطرد : " اربني إذا " كيف تشعرين . تعالي إلى هنا واعيدي إليّ قبلتي . "

إذا رفضت فسوف تكشف عن حقيقة مشاعرها بالتاكيد . نهضت وقلبها يخفق بشدة جعلتها تتنفس بصعوبة متناهية ، مخترقة المسافة الضيقة التي فصلت بين مقعديهما . انحنت تطبع قبلة على وجنته السمراء . لم يتحرك لحظة ثم امتدت راحتان في صلابة مطرقتين من الصلب فامسكتا بذراعيها وجذبتها إلى ركبتيه ليقبض عليها مريحا راسها إلى ذراعه وهو يقول :

- " هذه يا حبيبتي هي القبلة . "

كانت شفتاه شعلة اكتسحت قوة إرادتها ، وقلبت عالمها راسا على عقب ، انفرجت شفتاها ، وسرعان ما انزلقت ذراعاها تطوقان عنقه وتجذبانه اقرب إليها ، وقد غاب كل فكر عن ذاكرتها إلا ذلك الدفء المتدفق في شرايينها .

لم يشكل لمس يده صدمة فقد ارادتها على جسدها، على كل جزء منه. سمع اناتها فوق شفتيه عندما تحركت انامله الحسية . تاقت للمسته المباشرة لجلدها، متصورة شعورها إذا مافعل شعرت بالحرمان في اللحظة التي رفع فيها يده وشفتيه عنها، لينظر إلى وجهها بعينين ميهمتين . كان هو ايضا يتنفس بصعوبة وإن كان مسيطرا على نفسه بالكامل .

- " قال : " إما انك تتعلمين بسرعة جدا ، وإما انني قد اخطات في تقييمي إياك . كم من المرات سمحت لرجل ما أن يمسد جسدك بهذا الاسلوب ؟ "

قالت بصدق :

- " ولا مرة . "

هز راسه قائلا :

- " من الصعب علي ان اصدق ذلك . لقد كنت راضية بل تواقة إلى المزيد - الكثيرلو اردت لكنت قد اخذتك دون مقاومة . هل تنكرين ؟ "

لم يكن باستطاعتها الآن إنكار اي شيء .

قالت بنبرة رقيقة :

- " لا . " " إن الامر كما شرحته لك . إنك تجعلني اشعر باشياء لم

www.rewity.com

يستطع أي رجل أن يثيرها في " حاولت أن تبتسم فجاءت ابتسامتها مرتعدة واهية . " حتى إنني ظننت أحيانا أنني ربما أكون فاترة . "

سأل برقة .

- " حتى مع ذلك الرجل الذي أحببته ؟ "

أجابت :

- " لم أحبه أبدا . " وتبينت أنها صادقة في ذلك أيضا لأن "جاري" تولى أمر توجيه علاقته بها ولم يتجاوز دورها مجرد مسايرته . ولم تثر قبلاته فيها شيئا من هذه العواطف المشتعلة . " لقد كانت غلطة "

لم يبذل "فيليب" أية محاولة ليعيدها إلى الوقوف على قدميها محتفظابذراع ثابتة خلف راسها . تمكنت "جان" من حيث كانت راقدة من أن تتامل تفاصيل فمه القوي المنظر ، مستعيدة شعورها به على شفتيها بارتجاف لم يمكنها ضبطه. لو كان قد استمر ربما كان كل شيء قد انتهى الآن . وكيف يكون شعورها إزاء ذلك ؟ إنها على الأقل لاتزال تحتفظ بقدر من الكرامة .

- " قال متمتما : إذا كان الوضع كما تقولين فلماذا ترغبين في تاجيل ما لابد أن يكون ؟ "

لم تكن لديها الإجابة المنطقية عن هذا السؤال ، لكن الضرورة قد أصبحت ملحة لأن ترحل الليلة .. هكذا فكرت أملة ألا تبوح عيناها باسرار نيتها .

قالت :

- " لانني مازلت أجد صعوبة في قبول وضعي في هذه اللحظة التي أعدتها "أي نوع من النساء أكون لو كان من السهل عليّ إنجاب طفل ثم التخلي عنه؟"

تجمدت لمحات وجهه مرة أخرى :

- " هذا هو مشمول الاتفاق . "

- " مع "رين" وليس معي . "

قال وهو ينهض فجاة موقفا إياها على قدميها بقليل من الاعتبار :

-"هذا لا يهم" أختك ليست هنا بينما انت هنا... التركيني الآن . أريد أن أكون بمفردي."

غادرت الحجرة دون أن تنظر خلفها وعقلها في حيرة . الرحيل هو الحل الحكيم الوحيد ، إلا أن جزءا منها كان تواقا إلى أن يبقى .

بداخل هذا الهيكل الظاهري العنيد ، رجل يمكنها أن تتعلم كيف تحبه لو أتيحت لها أدنى فرصة .

لكن لن تكون هناك الفرصة .. أليس الوضع كذلك ؟ لم يكن لـ"فيليب" أية رغبة فيها بخلاف تلك التي لدى أي رجل لأية امرأة كما لم يكن بحاجة إليها إلا لتلك المهمة المنصوص عليها في العقد وبمجرد أن تمنحه مايريده منها ينتهي كل شيء.

بدلت ملابسها لترتدي "جينز" وقميصا من القطن قبل أن تستلقي على الفراش لتستريح حتى يحين وقت الرحيل . ضبطت جهاز التنبيه بساعة يدها الرقمية على الواحدة صباحا . سيسود السكون بحلول ذلك الوقت .

ولن يمضي أقل من سبع ساعات كاملة قبل اكتشاف " بولا " عدم وجودها عندما تاتيها بقهوة الصباح ، ربما يتم التفتيش على حظائر الخيل قبل ذلك الموعد إلا أن المغامرة كانت واجبة . عشرون من الكيلومترات ليست بالمسافة الطويلة . وبمجرد أن تصل " چيريز " يمكنها أن تستقل سيارة أجرة تصل بها إلى " سيڤيل " .

افترضت إمكان العثور على مثل هذه السيارة في ذلك الوقت من الليل لأن هذا يحول دون شعورها بالهزيمة قبل أن تبدأ المغامرة إن لم تتوفر سيارة الأجرة فلابد من أن تكون هناك أية وسيلة مواصلات أخرى . بمجرد أن تغادر هذا المكان لن تعود إليه ثانية من أجل أي شيء أو أي إنسان !

أيقظها صوت جهاز التنبيه من نوم لم يكن كافيا ليشعرها بانها قد استراحت. لم تجرؤ على إضاءة مصباح حجرتها . غسلت وجهها ونظفت أسنانها ثم مشطت شعرها مسرعة بحجرة الاستحمام . عادت إلى حجرة نومها حيث ارتدت سترة وعلقت الحقيبة فوق كتفها عبر صدرها ولبست حذاء منخفض الكعب ليناسب هذه المهمة . إذ تذكرت أن من الممكن أن تحتاج إلى أن تسير على قدميها بعض المسافة . لم يكن قد مضى على وصولها إلى هناك أكثر من أربعة أيام . بدا ذلك مستحيلا . فقد جاءت إلى هنا سعيدة تتطلع إلى عمل جديد .

لا جدوى من التفكير في ذلك .. قالت لنفسها .. فلديها الكثير مما يشغل عقلها في هذه اللحظة .

لم تسمع صوتا عندما فتحت الباب بحذر ، خيم الظلام على كل

شيء . كانت حذرة ، حيث اغلقت الباب خلفها ثم اتجهت إلى الدرج .

كانت عيناها قد اعتادتا الرؤية في الظلام حيث مكنها من السير بثقة نسبية في الامتداد الفسيح .

أحدث وقع كعبيها المطاطيين صوتا خفيفا على ارضية الممر المؤدي إلى الرواق . اخترقت الممر المؤدي إلى الحجرات الخلفية وباب الخدم الذي كانت قد لاحظت وجوده من قبل - مارة بحجرة المكتب - آملة في الا يكون ذلك الباب مغلقا وجدته مغلقا لكن المفتاح كان هناك بالقفل . خرجت واغلقته مرة اخرى تاركة المفتاح على الجانب الآخر من الباب .

لم يستغرق وصولها إلى حظائر الخيول إلا دقائق معدودة . كانت الأفراس طليقة في حظائر فردية . وكانت حجرة حفظ المعدات في الطرف البعيد من الصف ، ومن خلفها حجرات المخازن يليها مكان مبيت حارس الحظائر .

كانت "جان" قد قضت حوالي الساعة في اليوم السابق تتحدث إلى ذلك الشاب وتستدرجه للحديث عن مميزات افراد عهدته المحببة حتى تعرف منه أيا منها تختار . استقر رايها في النهاية على فرس جوزية اللون تدعى "سانتينا" اشتهرت بالاتزان والهدوء وبدت ودودا إلى حد كبير . اعتمدت " جان " على حسن الحظ أن تتناسب معلوماتها بالفروسية ومهمة إعداد الفرس والخروج بها من حظيرتها دون إيقاظ "كارلوس" .

حملت كل صهوة وكل لجام في حجرة المعدات بطاقة باسم الفرس الخاصة به لذا كان العثور على المعدات الخاصة بـ " سانتينا " سهلاً ، اما حمل تلك المهمات الجلدية الثقيلة فكان شيئا مختلفا تماما . همهمت الفرس بصوت خافت عندما فتحت " جان " باب مقصورتها بخفة ولكنها لم تات اية حركة سوى التفاتة استفهامية من راسها عندما وضعت " جان " السرج بطريقة او باخرى على ظهرها ثم ثبتت الأحزمة .

توقفت لحظة لتلتقط انفاسها قبل ان تحاول وضع اللجام شاكرة حسن حظها عندما تقبلت الفرس ذلك دون اعتراض . حتى الآن كان كل شيء على مايرام . لم يبق امامها سوى ان تغلف حوافر الفرس بقطع النسيج التي احضرتها معها لتخفي صوت وقعها حتى تبتعد بمسافة كافية وما يتبقى هو السير السريع نحو غايتها .

استغرق إتمام تلك الإجراءات وقتا فاق ما قدرته له ، هذا ما تبينته بالنظر إلى واجهة ساعتها المضيئة . حيث كانت الثانية إلا ربعا ولم تكن بعد خارج القصر ! مالم تسر الفرس باقصى سرعتها على طول المسافة إلى المدينة - وهو امر غير عملي ليلا في طريق لم تعرفه - فسيبزغ الفجر قبل أن تبلغها . قد ييسر ذلك الأمور من جهة ما ، ولكنه يقلل فرص وصولها إلى " سيفيل " قبل أن يكتشف فرارها .

سينجح " فيليب " بالتاكيد في معرفة الاتجاه الذي سلكته . ربما حاول ايضا اللحاق بها . لماذا لا تتجه بدلا من ذلك إلى " كاديز " على الساحل ؟ هناك البحر والبواخر ، وحيث إن جواز سفرها ليس بحوزتها فلا باس من ان تكون جهة وصولها احد الموانى الإسبانية . لكن إذ استطاعت الوصول إلى " برشلونة " مثلا فمن المحتمل ان تجد معونة من اي نوع . لم تستبعد بعد الالتجاء إلى السلطات الإسبانية لانه لابد ان يكون من المسؤولين من يصغي إليها .

قادت الفرس إلى خارج منطقة الحظائر قبل ان تمتطي صهوتها مختبرة مدى استجابتها لحركة اللجام . وجدت انه لا مشكلة في ذلك ، وحمدت الله على إطاعة تلك العضلات المرنة اوامرها بدون تردد .

فصل القصر نفسه والاراضي الملحقة به عن مزارع الكروم جدار حجري مرتفع به بوابتان مزدوجتان من الحديد يدخل منهما الآتي من الطريق العام . تمكنت " جان " من فتح إحداهما دون ان تهبط من فوق ظهر الفرس التي حثتها على المرور من خلال تلك الفتحة ثم اغلقت البوابة من خلفها . بدا الريف مختلفا تماما في ضوء القمر .. امتدت كروم العنب كديفة معتمة على كلا الجانبين . توقفت لإزالة قطع النسيج التي غلفت بها حوافر الفرس بعد ان قطعت مسافة ثمانمائة متر تقريبا وربتت عنقها شعورا منها بالامتنان لها وهي تخاطبها .

- " إنك جوهرة ثمينة . " وتلقت إجابتها في شكل تمسيد ودي بانف الفرس امتطت صهوتها مرة اخرى ، وحثت الفرس على العدو مسرعة ملتزمة بالحافة المزروعة بالعشب تيسيرا عليها . كان كل شيء ميسرا إلى حد كبير حتى كادت تشعر بتفاهة المغامرة .. ومع ذلك لم تزل المسافة طويلة امامها .. تذكرت ذلك وبدات عضلاتها تتوتر . ركوب الخيل من الرياضات الواجبة الممارسة بانتظام حتى يعتاد الراكب البقاء فوق الصهوة متوازنا على الوجه اللازم .. لكن "جان" لم تمتط

جوادها على مدى عام تقريبا ... سوف تعرف إذا ما وصلت إلى "كاديز".. قالت لنفسها لأنها قد سمعت عنها منذ مدة طويلة .

تبينت أن " الجينز " لم يكن حماية حقيقية من احتكاك جلد الركاب . جعل الفرس تسير يخفف من وطأة الموقف إلا أنه يزيد من الوقت المطلوب لهذه الرحلة بقدر مخيف . لم يسعها إلا أن تأمل أن يظن فيليب " إذا ما اكتشف فرارها في وقت مبكر عما توقعت أنها قد قصدت إلى " سيفيل " وأن يتخذ ذلك الاتجاه حتى إنه بحلول وقت اكتشاف خطئه تكون هي قد استقلت إحدى العبارات مبتعدة عن قبضته . وليحاول عندئذ العثور عليها .

حتى الحشرات الليلية كانت غائبة في تلك الساعة ، فكان الليل صامتا تماما إلا من بعض أصوات الحيوانات بين الحين والحين أو هبوب الرياح المسائية على أشجار الزيتون التي اصطفت الآن على الطريق . سمعت صوت محرك على مسافة بعيدة .

غار قلب "جان" ، ولم يسعها إلا أن تحمل الفرس على الخبب غير مبالية بمتاعب الركوب عندما فاجأها الخوف . لم تشك كثيرا في أن قائد تلك السيارة القادمة هو " فيليب " ، ولم يكن أمامها مكان تتجه إليه فرارا من اكتشافه إياها .

ولا سبيل لأن تسبق سيارة .. ولكن ذلك لن يثنيها عن المحاولة .

لم يكن في وسعها تحاشي السقوط . شعرت بـ " سانتينا " تتعثر واندفعت في اللحظة التالية إلى الأمام لتنزلق فوق عنق الفرس وتستقر على الأرض بقوة ربما فقدت الوعي بضع ثوان لأن أول شيء تنبهت إليه بعد ذلك كان حرارة تنفس الحيوان والرطوبة المترتبة عليه فوق عنقها . شعرت بالألم في كل مكان من جسدها لكن أمكنها على الأقل تحريك جميع أطرافها .

دفعت الفرس جانبا وحاولت أن تجلس معتدلة وهي تلهث والألم يمزق صدغها . لابد أنها قد أصابت رأسها وإن لم يبد أن دماء قد سالت منها دوى صوت المحرك في أذنيها وتوقفت السيارة بصوت كبح مفاجئ بجانبها في اللحظة التي كانت تحاول فيها الوقوف على قدميها .

كان " فيليب " قد غادر السيارة ووقف يطل من فوقها قبل أن تتمكن من أن تأتي حركة أخرى .. وساعد ضوء القمر على تأكيد تجهم وجهه .

قال آمرا : - " اسكتي تماما ! " ربما أنك قد أصبت بكسر ما . "

قالت "جان" بصلابة من خلال شفتين مبتسمتين ومرارة الشعور بالهزيمة تتغلغل في داخلها" - "لا كسور ." ولا شيء يستحق منك القلق على أي حال."

- " أنا الذي بوسعي أن أقرر ذلك . " جذبها لتقف على قدميها ثم لفت رأسها بيد قوية وضعها تحت ذقنها ليزيح الشعر إلى الخلف بيده الأخرى ويتحسس فروة رأسها برفق " هذا الورم في حاجة إلى عناية."

قالت بازدراء : - " اهتم بالفرس أولا . " إنها أغلى ثمنا مني ! "

أدارت تلك اليد - التي لم تزل ممسكة بها - رأسها نحوه لتواجهه فأذابت نظرات عينيه روحها .

- " احفظي لسانك ! " " إلى أي مدى كنت تأملين أن تبتعدي أيتها الحمقاء الصغيرة ؟ "

قالت بازدراء مطلقة العنان لمشاعرها الثائرة : - بالقدر الذي يحررني منك . " لقد كرهت كل لحظة من الوقت الذي اضطررت إلى أن أمضيه معك ! هلا تفهم ذلك ؟ "

أيقظ التواء شفتيه كل عصب في بدنها :

- " لم يكن ذلك ما أوحيت لي به مساء أمس . "

- " إنني ممثلة بارعة إذن . غرورك يجعلك سهل الاقتناع بما تريده ! شعرت برغبة ملحة في أن تمحو تلك الابتسامة التي ارتسمت على وجهه وأن تمزق تلك البشرة السمراء الناعمة بأظفارها حتى تدمي . ارتفعت إحدى يديها لتنفيذ الفكرة فأدركتها قبضة فولاذية دفعتها خلف ظهرها مرة أخرى لتجذب جسدها أقرب إلى صدره . ثم بادرها فيليب " بازدراء قائلا :

- " حواسي ليست متبلدة أو ميتة . كنت الليلة الماضية ملكا لي بوسعي أن أفعل بك ماشئت .. بل وتاق جسدك كله إلى لمساتي . "

ألمها ما قال لأنه كان أقرب إلى الحقيقة ، ولكنه لم يسعها أن تدعه يعرف ذلك فأجابته بادعاء :

- " لو كنت قد ارتعدت فهذا مبعثه الاشمئزاز لا الرغبة . كنت على حافة الغثيان ! "

اتقدت العينان السوداوان وهو يقول بعنف :

- " لتغثي الآن . "

وفاجاها بقبلة لم تبد إزاءها اية مقاومة ، بل أبدى عقلها الباطن استجابة لم تكن هي نفسها تتوقعها .

فجاة دفعها بعيداً عنه وهو يقول : " لاداعي للإنكار ، سوف نعود إلى القصر" . كيف سمحت لنفسها بتقبل مثل هذه الإهانة ؟ هكذا اخذت تفكر بلب شبه مخدر .. لقد فعل ذلك عمدا ليعرفها من هو سيد هذا المكان .. وقد اثبت لها .. اليس كذلك ؟ اصبحت الآن غير قادرة على الإبتعاد عنه كما لم يكن باستطاعتها تفادي لمساته .. لم يكن امامها بديل لقبول نصيبها .

لكنها لم تقبله كاملا .. هكذا قررت بضراوة . إذا قدر لها أن تلد ذلك الطفل فلابد أن تاخذه معها إذا ما حل موعد رحيلها !

بلغا القصر مع بزوغ الفجر . كان " فيليب " قد رفع السرج من فوق ظهر الفرس ، وتركها تعود إلى القصر بسرعتها العادية . استنتجت جان " أن سرقة الخيول لا تمثل مشكلة في ذلك الجزء من العالم .

ترك السيارة عند قاعدة الدرج الرخامي المزدوج المؤدي إلى المدخل الرئيسي واصطحبها إلى حجرتها ، ومنها إلى حجرة الاستحمام الملحقة بها طالبا منها الجلوس هناك حتى ياتيها ببعض القطن والمحلول المطهر .

المها ذلك المطهر عندما عولج به الورم تحت شعرها دافعا الدموع إلى عينيها رغما عنها . نفضتها عنهما مسرعة رغبة منها في الا يرى ضعفها .

قال متهكما :

- " إذا كنت تشعرين بالغثيان مرة أخرى . فساعد لك جرعة من دواء مناسب."

قالت كذبا : " انا بخير . " وتساءلت عما إذا كان من الممكن ان يوقظ احد مستخدميه لو كانت إجابتها بغير ذلك . لكن لم لا ؟ فهم جميعا هنا ليكونوا في خدمته بغض النظر عما إذا كان الوقت ليلا ام نهارا .

قال وهو يدع الشعر يعود إلى مكانه .

- " ساستدعي دكتور " فالديس " فيما بعد ليلقي نظرة " .

قالت معترضة : " لا داعي لذلك . لانني في الواقع —- "

- " انا الذي اقرر ماهناك داع لاتخاذه . عودي الآن إلى فراشك لتنالي مافاتك من النوم . " قابل نظرتها الخاطفة إلى اعلى بابتسامة سطحية

" إنك في مامن من ملاطفاتي حاليا . لانني في حاجة إلى النوم ايضاً " .

عندما التفت ليمضي انطلق منها سؤال :

- " كيف اكتشفت رحيلي بهذه السرعة ؟ "

قال دون تغيير في تعبيراته : " هذا ما سوف اتركك تكتشفينه بنفسك .

لعلك تقدرين انني قد اصبحت في حل من اية وعود قطعتها لك ؟ " فاجابته بصوت خفيض :

- " نعم .

- " هذا على الاقل افضل من لا شيء . "

انتظرت " جان " حتى سمعت الباب الخارجي يغلق خلفه قبل ان تحاول الحركة ، لن يدهشها لو اغلق عليها باب الحجرة ، ولكنها لم تسمع مفتاحا يدار في القفل .

لاشك في انه يقدر أن معنوياتها قد تاثرت إلى الحد الذي يحول دون اية محاولات اخرى للرحيل .

وكان محقا ايضا . فقد هبطت روحها المعنوية إلى الحضيض ، كان من الصعب عليها أن تتقبل قدرته على أن يثير فيها مشاعر لم تعهدها من قبل . لو كانت وظيفة اعمال السكرتارية خفيفة لكان من غير المحتمل ان تجتذب ملاحظته إياها بما يثير الاهتمام ، كانت ستصبح بالنسبة له مجرد مستخدم إضافي .

إذا تعذر عليها أن تبلغ ماتريده فلا اقل من أن تحتفظ باحترامها لذاتها .

لأن الانصياع إلى تلك المشاعر التي اثارها فيها لن يعني إلا تحقيق اهدافه.. اخذا في الاعتبار ان عدم التجاوب معه لن يحول دون حدوث الحمل .. وليس في متناول يدها ماعساه ان يمنع حدوثه ...

كانت الشمس قد بدات تضيء الوجود بوهج ذهبي عندما استسلمت اخيرا للنوم وعندما فتحت عينيها ثانية رات دكتور " فالديس " واقفا إلى جوار فراشها بادرها معتذرا .

- " اسف لإيقاظك . " " لكن " دون فيليب " قلق إزاء استمرار نومك حتى الآن . "

سالت وهي تنهض مستندة على مرفقها في ارتباك مؤقت - " كم الساعة الآن ؟ " اعادت إليها آلام عضلاتها المكدومة ذكرى ماحدث .

ياإلهي .. قالت لنفسها وهي تترك راسها يسقط على الوسائد مرة اخرى " ماذا افعل ؟ "

- " الساعة الواحدة وخمس دقائق . بماذا تشعرين ؟ "

ارادت ان تخبره بانها في حالة سيئة للغاية ولكنها قالت :

- " اعاني الاما في راسي ، فقد سقطت . . "

" قال وهو يجلس على حافة الفراش ليمد يدا تفرق الشعر فوق صدغها وتضغط برفق منطقة الورم . - " فهمت ذلك . " لا تبدو هناك إصابات بالغة . " قال اخيرا بعد ان سلط ضوءا على كل من عينيها على حدة ، " إنك سعيدة ياسيدتي . لان السير اثناء النوم كثيرا ما تنجم عنه اثار ماساوية."

نظرت " جان " إليه بحدة ، إذ شكت في انه يتهكم عليها ، ولكنها لم تر في نظراته سوى انطباعات المهنة . لابد ان " فيليب " هو الذي اطلق هذه الكذبة التي لا يبررها سوى امر واحد هو ان هذا الطبيب يعلم بالتاكيد سبب وجودها بالقصر ، لكن هل هو مدرك انها محتجزة به رغما عن إرادتها ؟

لاحظت حركة من ركن عينها فالتفتت قليلا فرات " فيليب " يقترب منها .

- " لابد ان تكون اكثر حذرا في المستقبل . " : " ساصطحبك إلى سيارتك" إنهاء موجز لزيارة الطبيب الذي لم ير في ذلك تصرفا غير عادي .

القت " جان " بالاغطية جانبا بمجرد ان غادر الحجرة وضغطت على نفسها لتقف معتدلة مجفلة قليلا إزاء الام السحجات بجسمها .

لابد انها كانت منهكة تماما حتى تنام كل ذلك الوقت — منهكة عاطفيا وجسمانيا . شعرت ببعض الارتياح الآن . ربما لم يكن دكتور فالديس" ليسدي إليها براي عون لو كانت قد اتيحت لها الفرصة لتسر له بما في نفسها لان هؤلاء الناس مرتبطون ببعضهم ارتباطا وثيقا .

جلست تهدئ الام عضلاتها في حمام من المياه الدافئة عندما دخل فيليب " الحجرة . جذبت المنشفة .. التي كانت قد وضعتها على مقعد صغير لاستعمالها في الوقت المناسب - وامسكت بها امامها بينما اتقدت عيناها الزرقاوان بنار الغضب في وجهه عندما توقف بداخل باب حجرة الاستحمام - سالته " عرضا لاستراق النظر إليه " ماذا

تعتقد هذا ؟ "

اجابها :

- " لقد اعياني التكرار ان من حقي ان افعل اي شيء اريده . "

امسك بإحدى المناشف السميكة الكبيرة فوق المشجب المجاور ونفضها وهو يصعد الدرجتين رافعا إياها نحوها وهو يقول " اخرجي من هنا . "

لم تعرف ما الذي كان من الممكن ان يفعله لو انها قد رفضت طلبه ، ولم تهتم بان تعرف. نهضت ببطء ووهن على قدميها لتلقي عنها المنشفة المبللة وتدعه يوليها ظهره وهي تخطو خارج حوض الاستحمام مذكرة نفسها بالمنشفة الاخرى ثم رفعت صوتها وهي تقول له :

- " ارجوك .. اتركني وشاني . "

قال بنبرة اكثر رقة :

- ليست لدي الرغبة في ان اتركك وشانك ، لقد انذرتك بالا يكون هناك انتظار بعد الآن . "

تمالكت اعصابها وهي تواجهه قائلة :

- " إنني نشات في ظل مبادئ وافكار تحتم ان يكون هناك شعور متبادل بالحب بين اي شخصين يريدان ان يكونا معا . "

- "ولكنك لا تشعرين نحوي إلا بالبغض ، هذا إذا كنت افهم كلامك على الوجه الصحيح ، رغم انني احس ان بداخلك اشواقا لا تستطيعين كتمانها . "

واحست انه من المحتمل جدا ان يكون على صواب ، ولكنها كانت تدرك انها بمجرد خضوعها له فإنها لن تستطيع ان تتحرر منه مرة اخرى ، فقالت بنبرة خافتة ولكنها واضحة :

- " إذا كان الطفل هو كل ما تطلبه مني ، فلا شيء ضروري من محاولة التودد إليّ . "

- " لست حيوانا ، لماذا تسعين إلى إغضابي ؟ "

اجابت متخذة من غضبها ملاذا منه :

- " لانني لست على استعداد لان اصبح امة لك سواء في الفراش او خارجه "

ظنت انه موشك ان يلقي بها على الارض ، ولكنه سيطر تدريجيا على ثورته ، وعندما تحدث إليها كان ذلك بنبرة هادئة بشكل ملحوظ :

- " قد تكونين على صواب ، ولنترك ذلك للوقت لتصفية ما بيننا من خلاف . " وسمح لنفسه بالاقتراب اكثر منها ولكنها جفلت بعيدا عنه قائلة :

- " إن الهوة بيننا لا تزال شاسعة . "

- " نعم ، فالظروف والملابسات لم تكن في صالحنا ، ولكننا يمكننا ان نجتاز هذه الهوة . "

واحست بانفاسه تحرق وجهها ، وحاولت ان تهرب منه ولكن شيئا ما داخلها كان يتمرد عليها ويخونها ، ولكنها ظلت على عنادها وارادت ان تحتفظ بكبريائها إلى النهاية وقالت متحدية :

- " إن العقد لا يلزمني بان اعطي لك شيئا لا اريده . "

واحست عندما قالت ذلك بان التعبير قد خانها وانها قد كشفت دون ان تدري عن مكنون نفسها وانها تتوق إليه رغم كل ما تتظاهر به .

الفصل الرابع

خارت قوى " جان " عندما رفعها بذراعيه حاملا إياها إلى حجرة النوم وضعها فوق الفراش وعيناه لا تفارقان عينيها . ادارت راسها بعيدا وارتعد سائر جسدها إلى حد لم يمكنها التحكم فيه .

- " انظري إليّ . " قال امرا بعد لحظة : " ليس هناك ما يخجل في الامر . " انخفضت الحشية عندما سقط ثقله عليها ويده تمسك بذقنها ليلفت وجهها بشدة نحوه : " قلت انظري إليّ ! "

فعلت لانه لم يمكنها ان تقاوم ذلك ، إذ انجرفت الحرارة بداخلها في موجة عاتية ، تامل وجهها وهو يرقد بجانبها واضعا إحدى ذراعيه حولها بينما تتحسسها اصابعه في تان اثار احاسيس مذيبة في سائر اعضائها .

جف حلقها وتسارعت انفاسها . فقدت السيطرة على اطرافها ثم قالت :

- " امقتك ! " همست بنبرة ضارية ورات فمه وقد اضاف إليه مزيدا من التعبيرات الساخرة :

- " لكنك تريدينني ايضا . اليس كذلك ؟ "

- " لا : لااريدك ! " قالت وقد اضفى الياس قوة على صوتها . " كل ما ابغيه هو ان اتخلص من هذه اللعبة القذرة ! "

قولي لي : إنك تريدينني . "

- " إلى الجحيم ! " كان ذلك كل ما امكنها ان تنطق به من خلال اسنان مصطكة " اذهب إلى الجحيم ! "

دوّت منه ضحكة ساخرة .

- " كل قوة الروح هذه يانمرتي الصغيرة .. لكن ليست لدي النية لان اذهب بدونك إلى اي مكان كان " ..

قبلها برقة اثارت عمق روحها ، وما فعله بها كان مختلفا عن كل شيء تصورته .. مختلفا تماما إلى حد مدهش !

لم يبد اية محاولة فورية للابتعاد عنها بل احتواها بين ذراعيه ، فعرفت مشاعر الامان والرضا واحست برغبة في ان تبكي .

قال امرا برقة عندما راها تتحرك : " استرخي . " كل وقت العالم ملك لنا . "

لابد انها نامت فترة من الزمن . استيقظت فوجدت نفسها راقدة بين الاغطية الحريرية . استقر الثقل في قلبها عندما تبينت انها وحيدة مرة اخرى .

لكن ما الذي يجعله يبقى بجانبها ؟ سالت نفسها . فيما يتعلق به كان ماحدث مرحلة اولى ضرورية - مرحلة لابد انه قد شعر بالارتياح المبرح انه قد اجتازها . وعليها ان تعتبر نفسها سعيدة الحظ انه قد اهتم بها وضحى بذلك القدر من الوقت .

لم يكن " فيليب دي ريمادوس " في الحقيقة حيوانا ، شعرت بانها قريبة منه - حين ضمها إليه - من جميع النواحي لذا فعليها الا تسمح لعواطفها بالتدخل .. قالت لنفسها في ياس وهي تخفي وجهها في الوسادة .. لان في ذلك إيلاما لقلبها لن يمكنها التغلب عليه .

اعادها صوت مياه جارية إلى الوعي . تقلبت في الفراش لم يتركها ويذهب إذن ! كان بحجرة الاستحمام يغتسل . غمرها الارتياح . لم يكن ذلك ليحدث فرقا كبيرا في الموقف على وجه العموم ولكنه يعني انه لا يعاملها معاملة العلاقة المقتضبة .

جلست تحتضن ركبتيها من تحت الغطاء عندما خرج بعد فترة

قصيرة . .

" قال باهتمام وهو يتجه نحو الفراش : " هناك الكثير مما يجب أن أعلمك إياه . لكن أولا وقبل كل شيء ملأت لك حوض الاستحمام بالماء الدافئ الذي يخفف آلام الكدمات التي اصبت بها."

بدأت تقول - " لم اصب بأية كدمات - " ثم اجفلت عندما حاولت فرد ساقيها . " لقد نسيت أمر السحجات التي سببتها لي الصهوة " .

- قال :

" اعتبر ذلك مجاملة لي " لأنك لم تشعري بآلامها منذ فترة قصيرة مضت . " توقف قليلا عند مؤخر الفراش رافعاً حاجبيه عندما لم تتحرك ليسأل:" هل تفضلين أن أحملك مرة أخرى ؟ "

لم تستطع أن تطرح عنها الغطاء .

-"هيا." قال بنبرة رقيقة جدا ثم امسك بطرف الملاءة وسحبها إلى أسفل بعيداً عنها : "إنك فاتنة .. فاتنة إلى الحد الذي لايجوز معه إخفاء نفسك عن عيني " .

" اجابت " - " لن يسقط عني الخجل خلال ساعات معدودة . لم اعتد أن اكون على هذا النحو مع اي رجل . "

ابتسم قائلا :

- " لكنني لست اي رجل ! "

تنهدت :

- " لم اعنِ ذلك بالضبط . "

- " يبدو أنني لا افهم جميع الفروق التي في لغتك . سيبرد الماء عاجلا "

تطلب تحركها من فوق الفراش جهدا كبيرا لم تضن به . احست بخجل شديد اثقل حركة سيرها . توقعت أن يتبعها ولكنه بقي حيث كان .

قال وكأنه يقرأ افكارها عندما تنتهين سوف تجدينني هنا . "

- " سوف أدعك هذه المرة تغتسلين دون إزعاج . " تقلصت عضلات بطنها.. لم ينته منها بعد .. كان قد قال في وقت سابق : إنه سوف يعلمها كيف تسعده .. لم تكن لديها فكرة غامضة عما يعنيه بذلك .

شعرت بالارتياح لأنها صارت بمفردها نسبيا داخل حجرة الاستحمام .. اغلقت بابها ووقفت لحظة تستجمع قواها .. عكست

المرايا المحيطة بها وجها وشكلا بشريا مالوفين لها .. إذن فالتغيير من الداخل فقط ...

لقد اصبحت الآن سيدة بحق .. شعرت بحواسها .. تثور من جديد لذكرى ذلك الارتباط .. كلما اسرعت في الاستمتاع بهذه المياه التي اعدها لها في الحوض جدت في أن تكون معه .

كان الماء فاترا عبق العطر المنبعث في انفها . تمددت واغمضت عينيها لحظة تتصور ذلك الجسد النحيل ذا المنكبين العريضين القويين وتلك الرجولة المتكبرة . تشكل لفظ اسمه على شفتيها بشوق أن ترى شكله وتحس لمسه .. " فيليب دي ريمانوس " الرجل الوحيد في العالم الذي ... جاءت الذكرى مفاجئة لتحطم روحها .. ذلك الرجل الجالس بالخارج لا يحمل لها اية مشاعر .

اختفى شوقها إليه . وحل محله الم يفوق الاحتمال . كيف يتسنى لها ان تحمل اية مشاعر لرجل لابد أن ينفذ رغبته ؟ كان من الممكن أن يستخدم معها القوة إذا وجد ضرورة لذلك ؟ إلا أن الضرورة لم تنشأ .. اليس كذلك ؟ . لابد انه في غاية السرور على يسر انتصاره .. بل وربما كان يهنئ نفسه على ذلك في هذه اللحظة .

ربما فات أوان تلافي نتائج تملكه لها . حتى لو لم ينفذ غرضه بعد بمحض الصدفة لابد أن يفعل في وقت ما .. ولن يتركها وشانها .

بذلت ما امكنها من الوقت حتى استطاعت أن تستجمع اعصابها لتعود إلى حجرة النوم في رداء وبري مثبت حول خصرها بإحكام بواسطة حزام .

ارتبكت عواطفها إلى الحد الذي يستحيل معه تحديدها عندما رأته وقد ارتدى كامل ثيابه مرة أخرى .

قال : " إنني مضطر إلى مغادرة المنزل . " " هناك مشكلة نشأت في إحدى وحدات المصنع . " طرفت عيناه قليلا وهو ينظر إليها " الديك ماتوبين أن تقوليه لي ؟ "

هزت " جان " راسها وحلقها مسدود . تيبست عندما تحرك صوبها متماسكة اعصابها حتى لا تنبض بحركة عندما وضع يدا على عنقها وامال راسها إلى فمه .اثارتها القبلة رغم كل شيء . كان ذلك كل ما امكنها حتى تبقى ساكنة تحتها . نطقت عيناه بنظرات غريبة عندما انسحب اخيرا مبتعدا عنها .

قال بارتياح شديد " . سوف تاتيك " يولا " بالشاي بعد فترة قصيرة ."

مضى دون أن يهتم بان ينتظر إجابة منها . ولا يعني ذلك انها كانت ستجد ماتقوله له .. واضح ان احد المستخدمين قد ابلغه الرسالة وهذا يعني أن جميع اهل المنزل ربما كانوا على علم بما يجري هنا في حجرة نومها بعد ظهر اليوم. كيف يمكنها ان تواجه ايا منهم بعد الآن وهذه الفكرة تسيطر عليها ؟

تبينت ان الساعة كانت لاتزال بعد الرابعة بقليل .

تصورت وكان عمرا باسره قد مر منذ ان استيقظت ورات دكتور فالديس " بجوار فراشها . سياخذها " فيليب " مرة اخرى خلال الساعات القليلة القادمة. سوف يقابل تمنعها باحتقار . عليها ان تهرب منه - قالت محدثة نفسها في يأس - سواء كانت حاملا او لا فلابد أن يكون هناك مخرج ما !

رتبت لان تكون مرتدية كامل ملابسها قبل ان تاتي " يولا " بالشاي الذي وعد "فيليب" به لم تجد - كالمعتاد - ما تستنبطه من تعبيرات وجه الفتاة إلا انها كانت من الياس بحيث تجاهلت تحفظها .

قالت متوسلة " - " لا تمضي . " لانني اريد ان اتحدث معك ."

لاحت في عيني الفتاة لمحة حذرة وهي تجيب :

- " علي التزامات ياسيدتي ! "

قالت " جان " وهي تنظر إليها بإمعان " - " ليس هناك مالا يحتمل التاجيل برهة : اتعرفين سبب وجودي هنا يا " يولا " ؟ "

ترددت قليلا قبل ان تحني راسها ببطء :

- " انت التي ستصبحين الام لطفل " دون فيليب " .

قالت " جان " وهي تبحث عن سمات المشاركة في وجه الفتاة : - لكن دون رضاي . إنني محتجزة هنا رغما عني . " هل تعتقدين ان في ذلك عدلاً ؟ "

- " قالت بنبرة جافة : ليس من حقي ان اقرر ياسيدتي . " " إنني اعرف مايقال لي فقط . "

- " لكن هذه هي الحقيقة ! إنني سجينة هنا . حاولت الفرار في الليلة الماضية ولكنني اعدت إلى هنا مرة اخرى . "

- " سرقت " سانتينا " . سيطرد " كارلوس " من عمله ويحل اخر محله لانه سمح لذلك بان يحدث " سقط القناع قليلا " لن يستخدمه احد

في الاندلس بعد ما يعلن ان " دون فيليب " قد فقد ثقته فيه . "

- " لكن هذا ظلم . " نسيت " جان " مشاكلها الخاصة في هذه اللحظة: " إنه لم يخطئ ! انا التي اتخذت كل الاحتياطات حتى لا يسمع شيئا . "

كشفت إيماءة " يولا " عن كل شيء .. قرار السيد فوق كل مناقشة .. لكن يمكنها هي ان تناقشه في ذلك القرار .. قالت " جان " لنفسها بإصرار يجب أن تجعل " فيليب " يرى مقدار ظلم تصرفه .. يجب الا يدفع " كارلوس " ثمن خطئها .

قالت :

- " ساتحدث مع " دون فيليب " بهذا الشان " ثم اضافت بغير اكتراث اخبري " كارلوس " بان وظيفته باقية له . إنني اعده بذلك . "

بدا عدم الاقتناع في ملامح " يولا " ولكنها اومات مؤكدة :

- " سوف ابلغه بذلك . "

تبينت " جان " ان اي التماس تتقدم به لمساعدتها ان يعطي الثمار المرجوة . لان الفتاة لم تكن على استعداد لأن تقامر بوظيفتها ووظيفة والدها .. فقد حكم " فيليب " بقبضة من حديد . وعليها ان تقدر حسن طالعها في انه اختار ان يتعامل معها برقة . وإلا لكان اول عهدها بالأسرار النسائية وخفاياها مزعجا .

رغم الشمس المشرقة بالخارج قضت " جان " بقية ساعات النهار في حجرتها تتاهب ذهنيا وجسديا للقاء القادم مع " فيليب " . توجهت في الثامنة والنصف إلى الصالون في رداء من الحرير الأسود هو مفخرة خزانة ملابسها .

اخبرها "خوان" بان "دون فيليب" لن ياتي إلى العشاء وان عليها ان تتناول طعامها بمفردها. شعرت "جان" وهي تجلس وحيدة إلى المائدة الفسيحة وكانها قد صفعت على وجهها. لكن ماذا كانت تتوقع غير ذلك؟

تساءلت. لن يتعجل "فيليب" البت في أموره من أجلها.. فقد نال منها ما اشبع احتياجاته في وقت سابق وربما انه قد قرر ان ذلك كاف حاليا .

راودها الأمل في ان تقضي ليلتها بمفردها - متجاهلة المشاعر الجوفاء التي تعتمل في عمق نفسها.. وكل ليلة بعد ذلك.. قالت لنفسها.. وسوف تعرف خلال مدة تزيد بقليل على الأسبوعين ما إذا كان الحمل قد حدث أم لم يحدث. ستكون هذه أطول فترة قلق في حياتها.

بحلول العاشرة وعقب الانتهاء من تناول وجبتها بمفردها لم تستطع أن تتحمل الجو داخل المنزل أكثر من ذلك . كان الهواء نظيفا في الفناء الداخلي . سارت حتى بلغت حمام السباحة تتذوق رقة النسيم الذي حمل إليها روائح أزهار الليمون المختلطة بالياسمين .

سمعت صوت موسيقى عذبة عن بعد .. ربما كانت منبعثة من الحزام الشجري الواقع خلف حدود الحدائق . ربما كانت مجموعة من الغجر . فقد كانت الأندلس أحد الأماكن القليلة من البلاد التي لايزال الغجر يرتادون طرقها الرئيسية وشوارعها الجانبية في مجموعات متجولة . إذا كانوا هناك بالفعل فلابد أن يكون وجودهم بتصريح مسبق وإلا لما استطاعوا الإعلان عنه بهذا الأسلوب المثير .

شعرت فجأة برغبة ملحة في أن تذهب وترى .. خاصة وأنه لم تكن هناك وسيلة أخرى متاحة للتسلية إلى جانب كتاب جيد أو برنامج تليفزيوني . اعتقدت أن بإمكانها الوصول إلى تلك البقعة عن طريق أحد الممرات الموجودة على الجانب الآخر لحمام السباحة .

لم يكن الحذاء المفتوح الذي انتعلته مناسبا للسير فوق العشب ، لذلك خلعته بعد عدة لحظات وواصلت السير بقدمين حافيتين مستمتعة بملمس المروج تحت قدميها .

ارتفع صوت الموسيقى باقترابها نحو الأشجار . أمكنها رؤية الضوء المتردد المنبعث من موقد بين الصناديق . على حد علمها لم يكن أحد في أثرها - لن يدفع أحد ثمن هروبها هذه المرة لو أتيحت لها الفرصة لتكرار المحاولة . لو استطاعت أن تقنع هؤلاء الناس بإخفائها في إحدى تلك العربات يمكنها أن تنجح هذه المرة .

ذبلت الآمال بالسرعة التي نشأت بها .. لأنه بمجرد اختفائها سيكون مُخيَّم الغجر أول مكان يجري البحث فيه عنها .. يجب أن تكون أكثر رقة من ذلك ..

كان المخيم - الذي شغل مساحة كبيرة من الأرض مقطوعة الأشجار - يتألف من ست عربات ملونة . قيدت الجياد بالقرب من المكان الذي توقفت " جان " فيه مستندة إلى إحدى الأشجار في نطاق ذلك الحزام الشجري . أخذت حذرها لئلا تروعها حركة غير محسوبة .

تراقص الضوء المنبعث من لهب النار منعكسا على الوجوه السمراء الجذابة .. كان المشهد يطابق ما كان خيالها قد صوره . عزف أحد

الرجال على الجيتار أنغاما ذات وقع كئيب غير منسجم مع أذنها غير المدربة على سماع مثل هذه الألحان . وقفت فتاة لايزيد عمرها على الاثنتي عشرة سنة بجوار النار تؤدي سلسلة من الحركات عرفت حتى لـ " جان " بأنها رقصة الـ " فلامنكو " يشجعها على الاستمرار هتاف وابتسامات من حولها .

حركت " جان " إحدى قدميها فوق غصن جاف - في محاولة لأن تستريح في وقفتها . فانكسر محدثا صوتا عاليا يخترق أبلد الآذان .. صهل أحد الجياد فأثار بقيتها في حركات ضجرة . كما لو كانت قد شعرت بوجودها قبل أن تشتم رائحتها .

سألها صوت من خلفها :

- " من أنت ؟ " فالتفت حول نفسها حتى تواجه السائل الذي لم تكن قد شعرت باقترابه منها . كان قصيرا ممتلئا في سترة قصيرة مزركشة من فوق قميص قرمزي طويل الكمين . بدا عليه مع ذلك أنه الآمر الناهي في المجموعة . انعكس ضوء النار فوق ملامحه السمراء وعينيه المرتابتين .

- " سمعت صوت الموسيقى من داخل المنزل . " " إنني آسفة لأنني بدوت كمن يتجسس عليكم . "

وحل تعبير آخر من الصعب تعريفه محل الارتياب :

- " أنت ضيفة " دون فيليب " ؟ "

- " نعم "

انحنى بأدب قائلا :

- " يشرفنا إذن مشاركتك لنا . "

ترددت " جان " نادمة على تلك النزوة التي جاءت بها إلى هنا . ربما كان رفض هذا العرض بمثابة إهانة قاتلة ، ومع ذلك خشيت فكرة الخروج من مخبئها لتكون محط أنظار كل هذه العيون الفضولية .

- " يجب أن أعود إلى المنزل . "

ولكنه تغاضى عن ذلك الاعتراض بحركة من يده وهو يقول :

- " عليك أولا أن تتيحي لنا الفرصة كي نطلعك على كرم ضيافتنا . "

توقفا عن الكلام وهما يخرجان من بين الظلال . شعرت " جان " - وكانت لاتزال تحمل حذاءها بإحدى يديها - بضآلتها وعدم حصافتها تحت النظرات التي اجتمعت حولها . اصطحبها الرجل الواقف

بجانبها إلى وسط الجمع مشيرا لها ما تجلس عليه بإشارة من إصبعه

- " أحضروا لضيفتنا الطعام والشراب ، " اعزفوا نغمات الـ"جوزيه" فهي التي جذبتها إلينا . "

- قالت بينما نفذ عازف الجيتار أمر ذلك الرجل " اسمي " جان برسلي " يجب الا أطيل البقاء هنا لأن " دون فيليب " سوف يقلق إزاء تغيبي . "

- " أنت التي تلدين طفل " دون فيليب " " هكذا جاء صوت إحدى النساء .. ولم يكن ماقالته سؤالا . نظرت " جان " إليها محتدة :

- " وكيف عرفت ذلك ؟ "

أجابتها :

- لا يهم كثيرا كيف عرفت " واقتربت منها لتتخذ مجلسها بجوارها فوق جذع الشجرة الملقى على الأرض ، ثم مدت يدها لتمسك بيد " جان " دعيني أقرأ لك الكف " .

قاومت " جان " رغبة ملحة في أن تنتزع منها يدها .. يبدو أن الغجر قد اشتهروا بقراءة الطالع في جميع انحاء العالم . واضح أنهم قد علموا بوجودها في قصر "ريمادوس" - والسبب فيه - من أحد الخدم. لن يعرفوا عنها إلا القليل إضافة إلى ذلك .

كانت اليد القابضة على معصمها لامرأة في منتصف العمر .. يتراوح عمرها وفقا لتقدير "جان" ما بين الأربعين والستين عاما . بعينيها عمق لا نهائي يجلب النظر إليهما شعورا غريبا اشبه بالدوار.

وضعت المرأة اصابعها بخفة فوق يد " جان " حتى تفرد كفها تماما وبدأت تدرس الخطوط التي ظهرت فيها ثم اكتت بهدوء :

- " سيكون الطفل ذكرا يتبعه آخر ثم طفلة . ستعيشين عمرا مديدا مثل عمر " فيليب " نفسه . لن يكون الطريق سهلا في البداية ولكنك ستكونين راضية في النهاية .

- قالت " جان " محدثة نفسها بسخرية يالله من استبصار "فيليب" مهتم بإنجاب ابن واحد لا أسرة كاملة ولا يعنيه أن تكون له شريكة في الحياة !

سألت بريبة - " أيعني ماتقولين انني لن اعود إلى وطني أبدا ؟ "

ورأت ابتسامة ذابلة تلوح في وجه العرافة .

- " يمكنك أن تعودي . لكن قلبك سيبقى هنا ، وعليك بطاعة قلبك . "

جذبت " جان " يدها من تلك القبضة التي استسلمت فجأة ونهضت قائلة :

- " اشكر لكم حسن ضيافتكم . " " لابد أن اعود الآن . لم يكن من الواجب أن آتي إليكم من بادئ الأمر . "

- " لا . لم يكن من الواجب أن تفعلي ذلك . قال " فيليب " بالإنجليزية متقدما نحو ضوء النار من خلال الممر الذي افسح له على الفور .

بدا جلد وجهه مشدودا فوق عظامه وتصرف باسلوب من يكبح غضبه " سوف تعودين معي على الفور " .

لم يكن باستطاعتها أن تتحداه على نحو علني ، لذلك لم يكن أمامها إلا أن تطيع . قبضت على ذراعها اصابع كانها قضبان من الصلب ، لم ينطق أحد بكلمة واحدة بينما قادها بعيدا عن الجمع نحو الأشجار . عندما اصبحا في وسط الظلال التي حجبتهما عن الأنظار توقف ليقول لها بنبرة فاترة :

- " البسي حذاءك . لست عجرية حتى تسيري بدونه . "

- " لقد خلعته لأنه صعب عليّ السير به فوق العشب . "

وإذا كنا عائدين من هذا الطريق فسواجه ذات الصعوبة . "

- " لا يهم . منتعلة مرتدية إياه . "

- " حسنا . " وفعلت كما قال فشعرت بالأرض اللينة تهوي تحت كعبيها وهي تتوازن . " وعليك الا تدهش إذا هويت على وجهي ! "

- " لن تهوي " حتى في ذلك الظلام المخيم على المكان استطاعت أن ترى الوميض في عينيه . " لو كنت قد أملت في أن تحصلي على أية مساعدة من أي نوع من أصدقائنا المعسكرين هناك لكان أملك قد خاب . لأنهم لن يخاطروا بإغضابي . "

قررت " جان " الا تهاب أسلوبه لأي سبب كان :

- " سألت برقة . " هل تعني أنهم يخافونك ؟

- " لم أذكر شيئا عن الخوف " " إنهم على أرضي بتصريح مني . فإذا ما سحبت هذا التصريح لزم عليهم الرحيل . "

- " لم يكونوا هنا الليلة الماضية . "

أجاب وهو يهز رأسه بنفاد صبر : - " إنهم يأتون ويرحلون " " سبب ومواعيد حضورهم لا أهمية لذلك . لكن لا شأن لك بأن تذهبي إلى هناك " .

- " سمعت الموسيقى . " ولما لم يكن لدي شيء آخر افعله فكرت في ان اذهب إلى هناك لإلقاء مجرد نظرة . هذا كل ما في الأمر . "

كان رأسها مرفوعاً ، وعيناها مملوءتان بنظرات التحدي . " هل من المفروض عليّ ان اظل جالسة بالداخل انتظر عودتك ؟ "

- " نعم . " " هذا ما اتوقعه منك بالضبط . "

- " لن تفلح إذن "

انقضت يدان مثل قبضتين فولاذيتين لتهبطا فوق كتفيها ، تحدث بصوت خافت ملؤه التهديد :

- " ماذلك الذي جرؤت على ان تجيبيني به ؟ "

- " اجابته مسرعة في إصرار على عدم التراجع " قلت " لن تفلح " ربما انني اضطررت إلى قبول اوجه معينة من هذا الوضع ولكن هذا كل ما يمكنني ان اقبله . لذلك إذا كنت تخطط لأن تضربني فعليك بذلك لأنه لا يسعني إلا ان أؤكد لك ان ذلك لن يجعل مني امراة مختلفة ! "

ظل يحملق فيها فترة تغيرت اثناءها تعبيرات وجهه تغيراً تدريجيا عميقا حتى إنه عندما اجابها كان ذلك بنبرة إعجاب كاره :

- " تتمتعين بروح عالية . ضربك يشعرني بالرضا لكنه على حد اعتقادي لن يغير فيك شيئا . ستعيدينني بالا تحاولي الذهاب إلى ذلك المخيم مرة اخرى كان هذا امرا لا رجاء . لكن الغضب الذي حملها على ماقالته كان قد بدا ينقشع لتحتل مكانه من نفسها مشاعر لم ترغب في فحصها عن قرب :

- " اعتقد ذلك . "

- " هذه ليست إجابة " .

- " حسنا إذن - نعم . " ساد الصمت فترة اضافت بعده برقة في محاولة واهية اخيرة للدخول إلى اعماق نفسه " كنت في زيارة لإحدى نسائك الأخريات هذا المساء ؟ "

- " لا اتخذ لي امراة اخرى بينما انك لي . "

اجابت مؤكدة :

- " إنني لست لك . " " بل جسدي فقط . "

- " عليّ إذن ان استغله إلى اقصى حد ممكن . " " سوف نسير ببطء حتى نقتصد مجهودك . سوف تحتاجين إليه الليلة . "

تبينت " جان " وهو يحثها على السير بقبضة فولاذية على خصرها

ان ماغمرها إزاء وعده هذا كان ابعد مايكون عن مشاعر الخوف والرعب.

فقد كانت ذكريات اللقاء الماضي لاتزال واضحة في ذهنها . الليلة سوف يجعلها تتجاوب معه ثانية - هذا مالاشك فيه - لانه متمرس في هذا الفن إلى الحد الذي لايدع مجالا للخطا فيه .. قررت انه من الواجب ان تبتعد بعواطفها عن هذا الميدان . لانه من خلال ذلك وحده يمكنها ان تحتفظ بقدر من التحكم في حياتها .

" سألت بعد لحظة او اثنتين محاولة الا تضفي نبرتها اهمية على هذه المعلومة.

- " كيف عرفت المكان الذي تبحث فيه عني ؟

- " كلف " خوان " من يراقبك بناء على تعليماتي . كان يوشك ان يرسل "مانولو" في طلبك عندما عدت . "

لم يسعها إلا ان تبدي له عذرها فيما فعلت :

- " لو لم تتغيب كل هذا الوقت ، لم تكن لتتاح لي فرصة التجوال إلى هناك .

اليس في ذلك حسم للمشكلة ؟ "

- " تقريبا . " لم يبذل جهداً ليضيف المزيد " ساتاكد مستقبلا من توفير أسباب التسلية اللازمة لك اثناء غيابي " .

القت نظرة جانبية خاطفة على ذلك الوجه المتعالي :

- " هل تعني انك سوف تتغيب كثيرا ؟ "

- " لا اكثر مما تقتضيه الضرورة . لانه قلما تقضي الحاجة وجودي وعلى فترات متباعدة - في العمل على الأقل . لأن مستخدميّ قضوا في خدمتي سنوات عديدة وجميعهم اهل للثقة . "

وجدت الفرصة سانحة امامها لتطرق الموضوع وإن كان الوقت غير ملائم تماما لتتقدم بالتماسها :

- " اعتقد انك لم تكن عادلا تماما في محاسبتك " كارلوس " على الخطا الذي اقترفته انا الليلة الماضية . " " إذا فقد عمله نتيجة لذلك فسيعذبني شعوري بالذنب . "

اجابها : - " هكذا . "

لم تكن نبرات صوته مشجعة ، ولكنها لن تتنازل عن تنفيذ ما وعدت "بولا" به بهذه السهولة :

- " في هذه الحالة .. لماذا تلوم " كارلوس " على ماحدث ؟ "

- " لأن من صميم اختصاصه أن يلم بكل مايدور في الحظيرة " .

- " مع كونه مسموحا له بالنوم بالتاكيد ؟ "

توقف "فيليب" عن السير وتشكلت تعبيرات وجهه على نحو تعرفت عليه جيدا:

- " هل طلب منك التوسط له عندي ؟ "

تمسكت بموقفها علما منها بانه لن تتاح لها فرصة اخرى :

- " لا . لم اره . اخبرتني " يولا " بانه قد فصل من عمله . " توقفت لحظة قصيرة وتغيرت نبرة صوتها إلى التوسل " " فيليب " ارجوك ان تعيد النظر في قرارك . ان يستطيع الحصول على عمل اخر لو فصلته من العمل لديك ! "

لوى فمه قائلا :

- " مرافعتك عنه مؤثرة إلى حد بعيد ! "

- " لانني متحمسة جدا لهذا الموضوع . سوف اتوسل إليك لو كان هذا يجدي . جاثية على ركبتي إذا لزم الأمر ! "

كانت لمحة الفكاهة التي بدت في عينيه مشجعة رغم وهنها .

- " انصحك بالاحتفاظ بهذا الإفراط في التوسل لوقت حاجة اعظم . " قد يحين الوقت الذي تحتاجين فيه إلى ان تطلبي فضلا لنفسك . "

- " اجابت بإصرار الفضل الوحيد المحتمل ان اطلبه قد رفضت النظر فيه . ترددت قليلا قبل ان تعرض اقصى ما يمكنها . " إذا وعدتك بعدم محاولة الفرار مرة اخرى فهل تدع " كارلوس " يبقى في خدمتك ؟ "

طرفت عيناه فجاة ولكنه تمهل في الإجابة :

" سال بنبرة عادية لا مشاعر فيها . - " هل تفعلين ذلك من اجل رجل تعرفينه او لا تعرفينه ؟

- " إنها مسالة مبدا . " قالت . " ليس لدي اي خيار " بحثت في ملامح وجهه القوي عن علامة ما شبه املة في ان يرفض طلبها ويحلها من ذلك الوعد الذي صاغته لنفسها " حسنا ؟ "

- قال بدون تغيير يذكر في نبرات صوته .

" اسمح له بالبقاء طالما تبرين بوعدك لي . "

سارت " جان " مثقلة الفؤاد بجانبه عندما اتجه فجاة نحو الاضواء

مرة اخرى .

لقد ربحت لكن باي ثمن ؟ كان مجردا كلية من الرحمة تجاهها او تجاه اي شخص اخر. بقاؤها معه طواعية يعني قبولها كل ما خطط له .

وكيف يمكنها ان توائم نفسها على ذلك عندما يحين الوقت ؟

وصلا إلى القصر بعد الحادية عشرة بقليل . لم يضيع " فيليب " وقتا . امسك بيدها بمجرد ان صعدا الدرج مصطحبا إياها في الاتجاه المضاد إلى حجرة نومها .

- انتقلي إلى حجرتي " .

- " ليس عندي ثياب نوم " :

- " لست بحاجة إليها الليلة ولا اية ليلة اخرى . اريد ان اشعر بقربك مني "

لم تجد "جان" ما تجيب به وما يشبه قرع الطبول العنيف يدوي في اذنيها . لم يكن هناك ما يمكنها ان تقوله ويغير في الوضع شيئا . اصبحت ملكية كاملة له .

كانت حجرة نومه فسيحة جدا تضم فراشا يزيد عرضه على ستة اقدام واثاثا حديث الطراز على خلاف سائر القصر - مصنوعا من خشب شبيه بالساج لونا وملمسا .

قال " فيليب " مقيما افكارها وهي تنظر من حولها " - " مستورد من الدنمارك " افضل البساطة في الأماكن الخاصة بي . "

كان يحل رباط عنقه وهو يتكلم ثم ازرار قميصه الحريري قشدي اللون .

بعد ان القى بسترة حلته القاتمة في غير اكتراث فوق احد المقاعد . التفت لينظر خلفه إلى حيث لم تزل واقفة في مدخل الباب .

قال مشيرا إلى احد البابين الآخرين بالجدار البعيد " - " حجرة الاستحمام على هذا الجانب " هل تحبين ان تستعمليه اولاً ؟ "

هزت راسها غير واثقة من سلامة صوتها . ستكون العلاقة المترتبة على هذه التدابير اصعب مما يمكنها احتماله . سيعيشان الحياة الطبيعية لأي زوجين من جميع الجوانب باستثناء ذلك الجانب الحيوي .

تمكنت من ان تقول اخيرا : - " سانتظر . "

www.rewity.com

احتفظ برد فعل كلماتها عليه - أيا كان - لنفسه :

- " كما تشائين . "

أجبرت نفسها على الحركة بعد أن اختفى من خلال ذلك الباب البعيد ولم يفتها أن تلاحظ أن شخصا ما قد طوى غطاء الفراش استعدادا للنوم . إن لم يكن معلوما الآن أنها تشاركه هذه الحجرة فسيكون ذلك معروفا في الصباح لكن أي أثر لذلك على وضعها بين أفراد أهل المنزل كانوا جميعا مدركين حقيقة مهمتها .

وعلى الرغم من كل شيء وجدت أحاسيسها تهتاج لمجرد التفكير فيما سوف يكون . إذا كانت في المرة الأولى مدهشة إلى هذا الحد فكيف تكون في المرات الثانية والثالثة والرابعة ؟ لو أمكنها أن تحجب عن أفكارها فقط معرفة ما هو مُزْمَع أن يحدث .. لو كان أمامها وسيلة تجنبها حدوث الحمل في المقام الأول... لم تعلم عن وظائف جسدها سوى القدر اليسير .

أما " فيليب " فكان العارف بجميع الأمور . لم تكن النساء لغزا له . حتى أنه يمكن القول - إلى حد بعيد - أن الفته للنساء قد ولدت الازدراء في نفسه أما هي فوجودها في القصر إنما لتحقيق هدف ما . وبمجرد أن يتحقق سوف يستغني عنها دون تفكير في الأمر .

توقفت دونما إدراك أمام مرآة عملاقة . حملقت في صورتها الظليلة فيها لتجدد عزمها على الإصرار .

سوف تحارب من أجل الحصول على حقوقها إذا ما حان الوقت وتوفرت الأسباب . لن تترك طفلا لها وتمضي مهما كان المقابل !

خرج " فيليب " في " روب " قصير من النسيج الوبري . لاحظت " جان " أن شعره لم يزل مبللا وقسمات وجهه تفيض بالارتياح . نظر إليها متسائلا عندما لم تنهض من فوق المقعد الذي جلست عليه تنتظره .

- " إنه - كما يقولون - تحت كامل تصرفك . " " لن يطول صبري أكثر من خمس عشرة دقيقة ! . "

- " ألم يخبرك أحدهم أن التوقع كثيرا ما يكون أفضل مافي الأمر ؟ "

لاحت في عينيه لمحة دهشة تبعتها متعة حقيقية :

- " لا أذكر مثل هذا الشخص .. ربما لأنني لم أعرف قبل الآن شخصا من الكفاءة بحيث يمكنه أن يبدي مثل هذه الملاحظة . التوقع يا حبيبتي لا يمثل إلا قدرا يسيرا من الحديث وإني لمتطلع إلى أن أثبت

لك ذلك . "

حاولت أن تضبط أعصابها بعد أن أصبحت بمفردها في أمان حجرة الاستحمام والباب مغلق بينهما . يمكنها أن تكبح رغبتها حتى لا تتجاوب معه لكن ماذا يجدي ذلك ؟ لن يعوقه الآن شيء ، مهما كان !! .

لتكن صادقة مع نفسها .. ارتعد سائر جسدها لذكراه . وإن لم يكن من ذلك بد فلا بأس من أن تستمتع به أقصى ما يمكنها .

لكن لا . فهناك يكمن خطر فقد أو ضياع ماهو أبعد من احترام الذات . حقيقة إن " فيليب دي ريمادوس " يجمع بين القسوة والحذر ، لكن شخصيته اشتملت أيضا على بعض النواحي التي قد تمس عمق كيانها . فإذا سمحت لنفسها بالتورط فلن يكون ذلك غباء فحسب بل تفاهة أيضا .

استغرقت في الاغتسال أطول وقت ممكن مع إدراكها أن " فيليب " لن يتورع عن الوفاء بوعيده . لم تتذكر أنه ليس لديها ثياب نوم حتى غادرت حوض الاستحمام وجففت جسدها . من الممكن أن تلتف بإحدى المناشف ولكن ماذا يفيد ذلك ؟ سألت نفسها - ما عليه إلا أن يطلب منها نزعها .. كان يمكنها أن تحتفظ لنفسها ببعض المبادرة لو كان لديها ماترتديه .

عندما دخلت الحجرة أخيراً وجدتها مظلمة تماما إلا من بعض الأضواء الخافتة المنبعثة من المصابيح المجاورة للفراش . كان " فيليب " مستلقيا في الفراش وهو يراقبها تقبل نحوه . ألقى بالملاءة بعيدا عنه ليجتبها إلى جانبه بعاطفة اجتثّت عن ذهنها كل نوايا التعقل ...

وكانت ليلة لتعيش ذكراها مدى الحياة -

كان لايزال بجانبها عندما فتحت عينيها مرة أخرى بعد الفجر مباشرة راته مستلقيا على ظهره والملاءة تغطي بعض جسده .. .

مدت يدا تتحسس بأصابعها بشرة كتفه وذراعه الدافئة الناعمة التي اكتست بها عضلاته القوية . عرفته كاملا كما عرفها . حتى في أكثر أحلامها إثارة لم تقترب من تصور هذا الواقع .. لم يغير ذلك من الواقع شيئا .

وبغض النظر عما بدا لها من شدة استمتاع " فيليب " إلا أنها لم تنس أنها لم تكن بالنسبة له أكثر من وسيلة تضمن له استمرار سلسلة نسبه .

- " لماذا توقفت ؟ " .

سال برقة فافزعها لانها لم تكن تدري انه مستيقظ . تقلب لينام على الجانب المقابل لها باسطا ذراعه ليضمها قائلاً : ضميني إليك . "

بحثت شفتاه عن فمها سالبا إياها كل إرادة تبقت لها ، وهو يرتقب بها ثانية إلى آفاق بعيدة .

الفصل الخامس

عندما فتحت عينيها مرة اخرى كانت بمفردها في الفراش الفسيح . انسكب ضوء النهار من خلال النوافذ ورقصت الأشعة العريضة مع ذرات الغبار ، كانت السابعة وفقا للساعة التي على المنضدة المجاورة للفراش . لم تكن لديها ادنى فكرة عن المكان الذي يمكن ان يكون " فيليب " قد ذهب إليه في هذه الساعة المبكرة من النهار ، كل ما كان يعنيها انه قد ذهب .

تقلبت لترقد على ظهرها تتامل نقوش السقف بينما عاد ذهنها إلى الساعات السابقة .. شعرت بانها قد اشبعته بما يفوق توقعاته .. وان قبلته الأخيرة قبل ان يناما حملت إليها رقة من نوع خاص - او هكذا راق لها ان تعتقد .

قالت لنفسها لن تجدي الاحلام . - فقد حان وقت النهوض من الفراش .

تذكرت في هذه اللحظة قلة ثيابها . كان " فيليب " قد طلب منها ان تنتقل لتشاركه حجرته .. وماذا يجدي ذلك الآن وجميع متعلقاتها في حجرتها على الجانب الآخر من المنزل .

ليس لديها الآن سوى ذلك " الروب " الذي ارتداه في الليلة الماضية والثوب الأسود الذي تركته على ارضية حجرة الاستحمام - حتى تتحقق مما كان يعنيه على الأقل . لانه ربما كان يشير بتلك العبارة إلى الليلة الماضية فقط .

انعشها الحمام الدافئ . اغتنمت الفرصة لتغسل شعرها مستعملة بعضا من الشامبو الذي وضعت زجاجاته مختلفة الأنواع فوق الرف الخلفي .

جففت شعرها جيدا حتى إنه لم يحتج إلا إلى التصفيف باستعمال الفرجون الفضي الظهر ليتخذ شكلا جميلا .

تاكدت من عدم وجود اي خصلات من شعرها الأشقر عالقا بالفرجون قبل إعادته إلى مكانه . غالبا ماتصورت ان الرجال الإسبان يستعملون " البريانتين " في تصفيف شعورهم لكن " فيليب " لم يستعمله بالقطع ؛ لأن شعره كثيف جاف مدهش الملمس .

احضرت " بولا " صينية فطور بعد لحظات من مغادرتها حجرة الاستحمام كان موقف الفتاة متغيرا تماما هذا الصباح وابتسامتها دافئة تلقائية .

- " سوف يبقى " كارلوس " . إنه ممتن لك ياسيدتي لكل ما فعلته ."

- " لم افعل شيئا يستحق منه الامتنان ، أخذا في الاعتبار انني انا التي سببت له المتاعب . "

أجابتها مسرعة :

- " هناك الكثيرون ممن لم يكونوا ليابهوا بمتاعبه . إذا كنت بحاجة إلى اي شيء ياسيدتي فما عليك إلا أن تامريني . "

قالت " جان " لنفسها .

لقد فات الأوان . وقت الفرارقد مضى وولى .

- " هل رحل " دون فيليب " ؟ " :

- " ذهب إلى " سيفيل " . قال إنه سيعود قبل موعد العشاء ."

يوم كامل تعيشه قبل ان تراه ثانية .. هل سيكون هذا أسلوب حياتها من الآن فصاعدا ؟

كيف كانت " رين " ستتعامل مع هذا الوضع لو وجدت هي فيه ؟ هل كانت تستطيع ان تتخلص منه كلية إذا ما اكتشفت حقيقته ؟ إن موافقتها عليه في بادئ الأمر إنما هي مؤشر لذلك .. لم تهتم " رين " كثيرا بالصواب او الخطا طالما فازت في النهاية .. وزواجها من رجل في مثل حالة " الان ليستر " المالية كان لها بمثابة صفقة افضل من تلك التي تنازلت لها عنها ، خاصة وانها استطاعت ان تقتطع لنفسها من هذه الصفقة خمسة آلاف جنيه دونما مجهود يذكر .

وعلى اي حال لقد اظهرت لها هذه الظروف انها قد عرفت القليل جدا عن اختها بالتبني .. قالت لنفسها باسى .. على اي حال ليس هناك ما يهم الآن وعليها ان تتصرف بنفسها .

كانت هناك شرفة ملحقة بالحجرة من خلال باب زجاجي مزدوج تناولت فيها قهوتها مع فطور خفيف مستمتعة بهواء الصباح النقي كان المنظر من خلف القصر رقيقا نهبيا . وقفت سلسلة الجبال في خلفية لزرقة السماء الصافية ، ومن وراء تلك الجبال كانت المناطق الساحلية التي يقصدها الاف السائحين الذين ياتون لقضاء إجازاتهم في إسبانيا كل عام . كانت " جان " قد جاءت إلى " ماربللا " مرة ولكنها لم تتوغل كثيرا في المدن .. كانت عالما اخر بالكامل. تصورت انها لم تتغير كثيرا على مدى السنين . " فيليب " نفسه متمسكا بالتقاليد من الطراز الأول فيما يتعلق بالنساء .

تجري الدماء الإنجليزية في عروقه .. هكذا قال لها . تساءلت منذ متى اكتسب هذه الدماء . ربما استحق تاريخ اسرة الـ " ريمادوس " التنقيب . سوف يشغل البحث فيه ذهنها على الاقل .

مرت الفترة الصباحية متباطئة . مارست بعض السباحة بعد الغداء واستلقت تحت أشعة الشمس حتى اشتدت الحرارة عليها . وعلى عكس العدد الأكبر من بين الشقراوات لم تحمرجلدها قبل ان يسمر .. وقد بدات السمرة تظهر عليها .

كان الجو جميلا تحت المظلة العملاقة التي نصبها لها " مانولو " . بدا ان ذلك الإسباني الهرم كان الحارس العمومي للمكان . ومع ذلك كان دائما حسن المزاج . عاش في القرية - هكذا تسنى لـ " جان " ان تكتشف - حيث كان يحضر إلى عمله كل صباح راكبا دراجة عتيقة هي مفخرته وسروره .

وكانت زوجته ايضا واولاده الأربعة ضمن العاملين في الضيعة .

واسلاف " فيليب " هم الذين شيدوا القرية - هكذا عرفت " جان " من "خوان" اثناء تناول الغداء . وانه تم تسليم المنازل لقاطنيها معفاة من الإيجار ويجري صيانتها على نفقة الضيعة مع تخصيص قطعة ارض لكل اسرة لتنتج منها احتياجات مائدتها . من الواضح ان " فيليب " يهتم بمصالح مستخدميه .

غطت في النوم بفعل حرارة الشمس والهدوء الذي ساد فترة بعد الظهيرة . استيقظت ثانية مرتبكة من حلم غاب عن ذاكرتها بمجرد ان فتحت عينيها ، حيث وجدت ان شخصا ما قد امال المظلة لتتوائم مع حركة الشمس ربما كان ذلك " مانولو " . عندما ادارت راسها رات

" فيليب " جالسا بالكاد داخل دائرة الظل يراقبها .

قالت متعجبة وهي تضغط على مسند الساق ليعتدل المسند الخلفي للمقعد " لم اسمع صوت السيارة ! " . " منذ متى عدت ؟ "

- " حوالي ثلاثين دقيقة . "

- " هل جلست هنا مدة نصف الساعة ؟ "

لمست الابتسامة شفتيه لحظة وجيزة وهو يجيب :

- " ربما لم اجلس طوال هذه المدة . لا حاجة بك إلى القلق . فلم اتجاوز اية حدود " احمرّ وجهها قليلا :

- " لم يخطر ببالي انه من الممكن أن تفعل . "

- " فكرة رؤيتك وانت نائمة هي التي تقلقك إذن ؟ "

اصابت عبارته الهدف رغم عجزها عن تفسير سبب اهتمامها الشديد بذلك . ربما كان الخجل ؟

- " هذا لا يهم . " هل ذهبت إلى " سيفيل " ؟ "

- " نعم . كان لدي بعض الترتيبات التي يتعين إجراؤها . " توقف قليلا وبدا كانه يبحث عن الكلمات المناسبة لما اراد ان يقول " لقد اخطات في حقك. ولن ابدي اعتذاراً عن ذلك لانه ليس من بينها ما يكفي، هناك علاج وحيد يمكنني عن طريقه تقويم الوضع . سيتم الزواج بعد ثلاثة ايام .

اصيبت بذهول حال دون تعليق فوري من جانبها . وعندما اسعفها صوتها بدا وكانه منبعث من مسافة بعيدة :

- " اليس من شان ذلك تصعيب الأمور إذا ما حان الوقت لإلقائي خارجا ؟ "

- " هذا مالا اعنيه . " " سيكون الزواج دائما وملزما . "

حملقت " جان " في وجهه بينما اخذ عقلها يدور :

- " وما الذي دفعك إلى تغيير خططك ؟ "

تقلصت عضلة ما عند زاوية فمه :

- " ما تبينت انني فعلته . هناك اساليب اكثر شرفا للتاكد من استمرار سلسلة نسب ال " ريمادوس " . "

عادت دقات قلبها مرة اخرى إلى الهدوء . قالت لنفسها : إصلاح ولا شيء غير ذلك . وهي شبه مخدرة الأعصاب لانها كانت قد سمحت لنفسها بان تامل في سبب يحمل معنى اكبر لها . لم يمكنها ان تهتدي

إلى الدافع المفاجئ ليقظة ضميره .

- " يبدو أن جزئية صغيرة قد فاتتك " سمحت لنفسها : أن تقول له

" ما الذي يجعلك تعتقد انني على استعداد للارتباط بك بزواج دائم ؟ "

- " إنه من المحتمل جدا أن تكوني حاملة الآن طفلنا . " أما شقيقته فكان العرض مختلفا بالنسبة لها . وقد أخطأت الحكم فيما يتعلق بك رفع كتفيه وارتسم تعبير الاستياء على وجهه :

" كما قلت ليس هناك من الأعذار ما يبرر أسلوب معاملتي لك .

وكل ما بوسعي هو أن أحاول تعويضك عن ذلك . وعلى أقل تقدير إننا لسنا غير مبالين كل منا بالآخر . "

- " وماذا عن الحب ؟ " بذلت كل ما في وسعها لتخرج هذه الكلمات .

- " الحب في أبلغ معانيه عاطفة مبالغ في تقييمها . "

- " ليس بالنسبة لي . "

- " وكيف تعرفين . " " بينما انه باعترافك ، انت لم تقعي في الحب أبدا؟ " هز رأسه " إنك تبحثين عن شيء لا وجود له . الناس في جميع انحاء العالم يقولون " احبك " عندما يكون مايعنون قوله حقيقة هو " اريدك " . وانا اريدك انت يا " جانيتا " لتكوني أما لابني . "

بدا المرادف الإسباني لاسمها رقيقا على شفتيه . ابتلعت لعابها :

- " يمكننا الانتظار حتى نرى ما إذا كنت أحمل طفلا بالفعل قبل اتخاذ اية قرارات دائمة . "

- " لقد ولّى أوان ذلك . " " لقد اتخذت الإجراءات بالفعل .

وسوف يجري إتمام المراسم الدينية للزواج هنا في كنيستنا في "الاجويدا" .

- " لا يبدو انك قد تركت لي الكثير من الخيار . "

- " لم أعتزم أن اترك لك أي خيار بالتاكيد . " ثم قال " سوف تتامين من الآن بعفرنك حتى نصبح زوجين . "

قالت بنبرة انتزعت منه نظرة تساؤل :

- " الا يشبه ذلك إلى حد كبير إغلاق باب الحظيرة بعد فرار الفرس ؟ "

- " إذا كان ما تعنينه بذلك هو انك ستعانين التوتر إزاء هذا الانفصال بالقدر الذي أعانيه انا فهذا يسعدني . رغم انني على استعداد لأن أتحمل هذه التضحية " توقف قليلا ثم اضاف بصوت رقيق . " ستتم المراسم في حدود ضيقة جدا رغم أن الناس هنا سوف

يرغبون بلاشك في الاحتفال بهذه المناسبة . سيرتب " خوان " كل شيء حتى لا يبقى لك ما يقلقك . " ثم اضاف بحزم " اعتقد ان الوقت قد حان لتعودي إلى الداخل بعيدا عن حرارة الجو " .

سارت "جان" معه دون همسة واحدة . شعرت بان عقلها عاجز عن أن يستوعب ذلك بعد . لقد اتخذ مستقبلها خلال عشر دقائق منعطفا جديدا تماما . زوجة " فيليب " . حتى في أعجب أحلامها لم تبلغ شيئا من ذلك .

كانت أسباب هذا التغير المفاجئ واضحة تماما .. لأن وخز الضمير يمكنه اللحاق باكثر الناس قسوة .

تنبأت المراة الغجرية لها امس بعمر مديد معه . هل من الممكن أن تصح قراءة الطالع ؟ أم أن ذلك كان من فعل الصدفة وحدها ؟

" لن يكون الطريق سهلا " .. هذا ما قالته تلك المراة ايضا ، استطاعت "جان" أن تعتقد في هذا القدر من النبوءة .. ربما عرفت جسد "فيليب" لكن عقله لم يزل بالنسبة لها كتابا مغلقا تقريبا . كيف يمكن أن يقوم زواج على مثل هذا الأساس من النجاح ؟

قالت عندما دخلا إلى الجو الرطب الذي ساد داخل المنزل متحاشية ملاقاة عينيه .

- " من الأفضل أن أصعد إلى الطابق العلوي واستبدل ملابسي . "

لم يبذل اية محاولة ليلمسها وهو يقول :

- " وانا ايضا لدي بعض الامور التي تتطلب الإنجاز : نتعشى الليلة في "جيريز" ونشاهد الـ "فلامينكو" .. يجب أن تبدلي في تنوق فنوننا . "

لم يساعد الهدوء الذي ساد غرفتها على صفاء ذهنها بحال من الاحوال . شعرت بالعزلة . بغض النظر عما شعرت به او لم تشعر نحو "فيليب" هل تحتمل أن تعيش حياتها مع رجل لم يحبها فحسب، بل انكر ايضا وجود مثل هذه العاطفة ؟ لو كانت تحمل طفلا في احشائها بالفعل فلا مجال للاختيار امامها .. لكن إذا لم تكن تحمله ؟

تنبهت عند هذا الحد إلى أن افكارها تدور في حلقات مفرغة . بعد ثلاثة ايام فقط يصبح " فيليب دي ريمابوس " زوجا لها . وهذا موعد مبكر جدا على التاكد من حالتها الفعلية ، وإزاء عجزها عن المخاطرة بمهاجمته ، وقد ثبت لها صعوبتها : لم يكن امامها بديل للقبول الوضع على ماهو عليه .

كانت " جيريز " نفسها - أو ، ما استطاعت أن تراه منها مساء - جميلة . بدا المطعم الذي سوف يتناولان عشاءهما فيه من الخارج مثل منزل خصوصي، لم يكن من الأماكن المفتوحة لاستقبال السائح العادي - هكذا أكد لها " فيليب" عندما جلسا إلى أحد المناضد ذات الإضاءة الخافتة التي أحاطت بقطعة مرتفعة من الأرض .

كان العدد الأكبر من المناضد الأخرى قد شغل .. والنساء في أجمل الثياب مما جعل " جان " تشعر ببساطة ردائها الحريري ليموني اللون الذي ارتدته في أول أمسية لها في الأندلس . لو حكم المرء متخذا اللون مقياسا لتقييمه لوجد أنها لم تكن الأجنبية الوحيدة بين الحاضرين تلك الليلة ، فقد تراءت لمحات من الشعر الأشقر هنا وهناك .

- " التزاوج بين الأسر الأندلسية وتلك الإنجليزية التي تعمل بالتجارة يجري منذ قرون . " أجابها " فيليب " ردا على تعليقها على ذلك . كان اسم جدة والدتي قبل الزواج " ساندیمان " . وتحمل جيناتي الصفات المميزة لكل من الجنسيتين ، وهذا يضاعف من احتمالات أن يولد طفلنا أشقر . "

سألت :

- " ألا يضايقك ذلك ؟ " .

وهز كتفيه مجيبا :

- " لو كان ذلك مما يضايقني لما كنت قد اخترت أما إنجليزية لابني ووريثي "

- " لكن لا " رين " ولا أنا من الأسر العريقة . "

- " ربما كان ذلك طبقا لتقييراتك . لأن العوامل التي اعتبرها ذات أهمية كبيرة لا شان لها برفعة المنزلة . عقل سليم في جسم سليم هذه هي المقاييس الأساسية ومع ذلك .. " أضاف بكآبة . " ربما أسات الحكم بشان شقيقتك إلى حد ما . فقد كان تصرفها بان بعثت بك إلى هنا لتحلي محلها في جهل من حقيقة الأمر ، في مثل سوء تجاوبي انا مع اكتشافك الوضع . "

والتقت العينان السوداوان بالزرقاوين . " وإني أمل أن يرث ابننا القسط الأكبر من أخلاقياته عن أمه لا عني . "

- " ليس هناك ما يؤكد أن الحمل قد حدث بعد . "

- " إن لم يكن قد حدث بالفعل فسوف يحدث عاجلا . "

" قالت مذكرة إياه :

- " لقد ذكرت أن لا رغبة لك في اتخاذ زوجة لك . وشاهدت شفتيه تنفتحان:

- " من حقنا جميعا إعادة النظر في موقفنا . كل ما قلته لي كان واقعا . لكنني كنت افكر في نفسي فقط .. الطفل في حاجة إلى أم . "

قالت محدثة نفسها :

لو كانت قد علمته هذا القدر فإن الأمر يستاهل .. وربما أمكنهما معا أن يجعلا هذا الزواج ناجحا . يمكنهما على الأقل أن يحاولا ذلك .

شعرت بالجوع على غير ماتوقعت بمجرد تقديم الطعام ، وأتت على قدر لا باس به من مختلف الأطباق الإسبانية والغربية والمشهيات التي اشتهر هذا المطعم بتقديمها إلى زائريه ، حل طبق كبير من الفاكهة الطازجة محل " الحلو " ومعه الجبن والقهوة وعدد من مختلف المشروبات .

زال خجل " جان " قليلا عنها بتقدم المساء ، حتى إنها استطاعت تجاهل النظرات الفضولية التي امتدت إليها من المناضد المحيطة . اتضح لها كم كان "فيليب" معروفا . وكان من المنطق أن يتساءل الناس من حوله : من كانت صديقته لتلك الأمسية ؟ لاشك في أن أنباء زواجهما ستكون مصدراً للشائعات على مدى أيام طويلة قادمة !

سألت فجاة وهو يشعل سيجارا من ذلك النوع الذي اعتاد تدخينه عقب العشاء فقط :

- " ألا تستقبل ضيوفا أبداً ؟ "

أجاب وهو يرمقها بتعبير ينم عن عمق التفكير .

- " في مناسبات نادرة

" هل تحبين الاستضافة ؟ "

ابتسمت بحياء " - " ليس إلى حد كبير في الواقع . " أعتقد أن المجال الاجتماعي في هذه النواحي غير مشجع . "

- " هذا يتوقف على توجيه الدعوات وقبولها على حد سواء . فهناك كثيرون ممن يرحبون بعودة أيام نشاط قصر أسرة " ريمادوس " في هذا المجال فقد أصبحت المناسبات عقب وفاة والدي نادرة ومتباعدة . ولم يبق لي سوى شخصين اعتبرهما صديقين حميمين . "

كان بوسك أن يضيف شيئا عندما تغيرت تعبيرات وجهه واتجهت

نظراته بعيدا في اتجاهها وهو ينهض واقفا . شعرت " جان " بشخص ما يقف عند المنضدة الجالسين حولها .

"جاء صوت دافئ عذب محببا " .

- " فيليب ! " لم نعتد رؤيتك في هذا المكان " .

أجاب برزانة - " إنما جبلت العادات لتخترق " ثم غير اللغة الإسبانية ليقول بالإنجليزية " جانيتا " اقدم لك " ساباتين فالفيردي " .

كانت من أجمل النساء اللاتي وقع عليهن نظر " جان " ، ولم تكبرها باكثر من عام او عامين . كان شعرها مفروقا عند الوسط ومصففا إلى الخلف باسلوب لايليق إلا باجمل الملامح . رمقت عيناها المتباعدتان قليلاً بلون التوباز " جان " بنظرة انفعال غريب .

سالت :

- " هل جئت لقضاء إجازة هنا يا انسة ؟ " .

- اجابت " جان " وهي تنظر ملتمسة في اتجاه " فيليب " لا تدري ماذا يجب ان تضيف او تفعل:

" لا "

وبوجه هادئ وصوت لايقل رزانة قال :

- " جانيتا " خطيبتي " .

لو كان قد اعلنها بان موعد وفاته قد حل لما استطاع ان ينزل عليها وقعا اسوا . انقدت عينا " ساباتين " بنار خفية وتصلب عودها :

- " هل ستتزوج ؟ "

رفع حاجبا مدربا وهو يجيب :

- " إنه التتابع المعتاد على ما اعتقد . هلا تمنيت لنا السعادة ؟ "

التفتت بجهد واضح وهي تنظر إلى " جان " مرة اخرى وعلى وجهها ابتسامة جامدة .

- " اعذريني لدهشتي ؛ لان احدا لم يعرف بنبا هذه الخطبة . متى يكون القران ؟ "

وأجاب " فيليب " عنها :

- " عاجلا . احتفال صغير ومحدود للغاية . "

قال الرجل الواقف خلف " ساباتين " التي لم تبذل اية محاولة لتقديمه في غير ارتياح :

- " لنذهب إلى منضدتنا . "

بدت لحظة وكانها لم تسمعه ، إذ كان انتباهها موجها إلى " فيليب " و"فيليب" وحده . عندما تحدثت كان ذلك بالإسبانية وبصوت خافت جدا بحيث لم تتمكن "جان" من ان تعرف عم كانت تتحدث ثم تحركت بعيدا بإيماءة خفيفة من قبيل الوداع .

ساد الصمت بضع دقائق .. وكانت " جان " اول من تحدث بعد ما استعادت هدوءها :

- " بدت منزعجة بعض الشيء " .

فاجابها بهدوء شديد :

- " ليس هناك مايدعوها للانزعاج " وعندما راها تفتح فاها كي تتكلم هز راسه قائلا " : سنتحدث فيما بعد . الـ " فلامنكو " يوشك ان يبدأ " .

التفتت طائعة في اتجاه ساحة الرقص تحاول ان تبدي اهتماما حقيقيا عندما بدا الراقص في حلته السوداء ينقر النقر التقليدي بكعبيه على الارضية. كان واضحا جدا ان " ساباتين فالفيردي " لم تكن بالفتاة التي تربطها بـ " فيليب " علاقة تعارف عادية . تلقت النبا وكانه كارثة مفاجئة ... ماذا يعني " فيليب " لها ؟ ماذا تعني هي لـ فيليب " ؟ وهذا هو الأمر الأهم . لقد قال ليس هناك مايدعوها للانزعاج ..

وهذه الجملة وحدها مثار للتفكير .

انضمت إلى الراقص امراة في ثوب كثيف الكرانيش باللونين القرمزي والأسود . أخذا يؤديان حركات رسمية منتظمة اول الأمر . تطورت مع الموسيقى إلى خطوات وحركات مثيرة . شاركت " جان " في التصفيق لهما عندما انتهت الرقصة وعلى وجهها ابتسامة مجاملة لـ " فيليب " .

- " مدهش جيد لكنه ليس الأفضل . أجابها " لن تظهر " كاميللا " قبل منتصف الليل . هل تحبين البقاء ؟ "

هزت راسها :

- " لا اعتقد انني متمكنة بالقدر الذي يمكنني من الاستمتاع الكامل. "

- " ستتعلمين بمرور الوقت . " " الفلامينكو الحقيقي ينشد من اعماق الروح، سوف تجدينه غريبا عليك لفترة .. لكن الإنجليز قابلون للتكيف .. اليسوا كذلك ؟ " لم ينتظر حتى يسمع إجابتها بل اضاف

www.rewity.com

بصوت أكثر رقة " نرحل الآن قبل أن يبدأ العرض التالي ."

بدأ رحلة عودتهما إلى القصر في صمت ، كانت " جان " تود أن تعتبره أنيسا ولكنها لم تستطع . أرادت أن تعرف كل شيء عن ساباتين فالفيردي " ولكنها ترددت في أن تسأل . ومهما كانت العلاقة التي تربط بينهما فلا تأثير لها على الوضع الحالي .. هكذا طمأنت نفسها .. لتنس تلك المرأة .. فلديها ما يكفي ليشغل ذهنها دون حاجة إلى التفكير في ماضي " فيليب ".

سألت أخيرا في يأس من أمرها - " ماذا ارتدي للقران ؟ " ليس لدي من الثياب ما يناسب من قريب أو بعيد ."

" أجاب وهو يلقي عليها نظرة سريعة :

- " سوف تجدين مايروق لك في " چيريز "

- " بمفردي ؟ "

- " اتصلت هاتفيا بـ " مستر فوينتي " وزوجته . سيكونان معنا مساء غد . وستصحبك " ليدا " في رحلة الشراء ."

قالت متمتمة :

- " لابد أنهما قد دهشا لهذا النبأ ."

رد عليها :

- " لكنهما سرا لاتخاذي عروسا أخيرا . أولئك الذين يجدون في الزواج سعادة يسعون لأن يسعد الآخرون بها ." حول نظرته لحظة خاطفة عن الطريق كي ينظر إليها وعلى وجهه ابتسامة حائلة وإن كانت مؤكدة . " سوف تحبين "ليدا" الفارق بينكما سنوات قليلة . وكلاكما بلا أسرة خاصة به مثلي ."

سألت .

- " وماذا عن أبناء خالاتك وعماتك . أليسوا في الحسبان ؟ "

أجاب بهدوء .

- " أتحدث عن القرابة المباشرة ."

- " ولكنهم سوف يدعون إلى عقد القران ؟ "

قال بنبرة لا تشجع على إلقاء المزيد من الأسئلة - " لا تكاد تكون بيننا أية علاقات ." فهمت " جان " أن الضغائن الأسرية خارج نطاق اختصاصها . رأت أيضا أنه كلما قل عدد الحاضرين كان الوضع أفضل لها . يكفيها ماسوف تتعرض له من توتر عند ملاقاة صديقي

" فيليب " القادمين غدا .

وصلا إلى القصر بعد منتصف الليل ببرهة . لم يظهر أي من الخدم رغم أن الأضواء تركت مضاءة .

توقف " فيليب " عندما صعدا الدرج وعلى وجهه تعبيرات غامضة :

- " يجب أن نفترق هنا ." : " تصبحين على خير يا " جانيتا " ."

رأت " جان " أنه من غير اللائق أن تناقشه في هذا القرار تبينت أنه لن يقبلها أيضا ..

- " تصبح على خير ."

مضى دون أن يلقي نظرة إلى الخلف تاركا إياها تتجه ببطء إلى حجرتها المنعزلة .. لكنها تذكرت أنها لن تكون وحيدة على مدى مدة طويلة .. لأنه بعد مضي ثلاث ليال من الآن سيتقاسمان فراشا واحدا كزوجين .. لو أمكنها أن تقنع نفسها أنها لا تعيش أحداثا من نسج خيالها !

شعرت " جان " بالارتياح عندما تكشف لها أن " ليدا " و " جاسبار فوينتي " يتقنان الإنجليزية بمثل إتقان " فيليب " تلك اللغة تقريبا . لأنه على الرغم من تقدمها في تعلم الإسبانية لم يصل مستواها إلى حد الحوار المطول . لم يكن لها سبيل إلى معرفة ما قاله "فيليب" لصديقه من قبيل التبرير لكن "جاسبار" وزوجته احتفظا بأفكارهما عن الموضوع في طي الكتمان .

كانت " ليدا " جذابة ضاحكة العينين ، تعاملت مع " فيليب " بألفة حسدتها عليها " جان " . وكان " جاسبار " أهدأ الزوجين .. في مثل عمر " فيليب " يمتلك مزارع لأشجار الزيتون و يصدر إنتاجها إلى جميع أنحاء العالم . ومثل "فيليب" يمكنه ترك العمل في أيدي من يثق بهم من بين العاملين معه .

تم الشراء بصحبة " ليدا " دون مضايقات تذكر ، فاختارت " جان " ثوبا من الحرير قشدي اللون متوسط الطول ضيق الجزء العلوي ومتسع الجونلة مع قبعة ذات حاشية عريضة لينة من ذات اللون وحذاء مرتفع الكعبين قليلا باللون القاتم درجة أو اثنتين .

لم تتذكر ذلك المبلغ الذي كانت " رين " قد أعطته لها إلا في اللحظة التي توجهت فيها لتدفع ثمن هذه المشتريات . من حق " فيليب " الآن أن يرد إليه كامل المبلغ الذي أعطاه إلى " رين " .. لكن ماديها منه هو

www.rewity.com

نصفه فقط .. فإذا ماقدمت هذا القدر إليه كان ذلك اعترافا منها بعدم أمانة أختها . وفي ذات الوقت لم يكن أمامها سبيل للحصول على خمسة آلاف جنيه أخرى .

قالت " ليدا " وهما تتناولان القهوة التي دعتها إلى تناولها قبل العودة إلى القصر . " هل ثمة شيء نسيناه ؟ "

ابتسمت " جان " رغما عنها وهي تهز رأسها :

- " هناك ما يجب تسويته فقط مع " فيليب " . ترددت قليلا قبل أن تسأل وقد التفت " ليدا " بالنظرة الحانية عبر المنضدة ماذا قال لكما على وجه التحديد؟"

هزت " ليدا " كتفيها بما يكاد يشبه الاعتذار وهي تجيب :

- " كنا نعرف نواياه . وقد حاولت بنفسي إقناعه بالعدول عن تلك الفكرة ولكنه أبى أن يصغي إليّ . لحسن الحظ أنه حللت محل شقيقتك رغم أن الصدمة لابد كانت قاسية عليك عندما تبينت ماكان " فيليب " يريده منك " .

قالت " جان " بانفعال :

يمكنك أن تقولي ذلك . "

- " لقد كانت صدمة لـ " جاسبار " ولي أيضا عندما اتصل بنا هاتفيا ليخبرنا بأنه سوف يتزوج عاجلا . " أضافت " ليدا " مصارحة إياها " لكن كلانا يحمد الله على أن كليكما قد وجد الآخر . "

عرفت " جان " أن تلك لم تكن الحقيقة كاملة على أي حال . لكن من الأفضل أن يظل الأمر كذلك عن أن تعرف أسرة " فوينتي " القصة كلها .

قالت " جان " - " اعتقد أنه قرار سريع " وابتسمت " ليدا " :

- " يمكن أن تكفي نظرة واحدة . فقد علمت في اللحظة التي رأيت فيها "جاسبار" أنه لن يكون لي رجل سواه . "

- " وليس لديكما أولاد بعد ؟ "

مرت سحابة عبر عيني المرأة الأخرى :

- " ليس بعد .. ولابد أن نرزق ذرية في المستقبل . فقد قيل لنا : إنه ليس بأي منا مايحول دون الإنجاب . "

حاولت " جان " أن تؤكد لها ذلك :

- " أنا واثقة من ذلك . "

- " هذا مايجب أن نعد به أنفسنا . " كانت تحاول أن تجعل اللحظة

أكثر سعادة فأضافت : "ربما جاء طفلك أنت و "فيليب" إلى الحياة أولا."

- " هذا صحيح .. قالت " جان " لنفسها . مجرد التفكير في أنه ربما كان بداخلها حياة تنبض أصابها بمشاعر غريبة . منذ أسبوع مضى لم تكن حتى قد تقابلت مع " فيليب " . ولولا " رين " لما التقت به إطلاقا

- ولما عرفت معنى أن تذوب في الحب .

توجعت للمسة لها وللإحساس بذراعيه تطوقانها مرة أخرى. بحلول مثل هذه الساعة غدا ستكون زوجة له "دونا جانيتا دي ريمادوس" لا يمكنها أن تتصور ذلك .

- " أعتقد أنك على علم بأنكما المدعوان الوحيدان إلى عقد القران ؟ "

" على حد تقديري ، إن هناك ما يباعد مابين " فيليب " وأقاربه . "

قالت " ليدا " مؤكدة - " هناك بعض الحب المفقود . " لن يسعد عائلة "لوبون" سماع نبأ زواج " فيليب " لأن ذلك يقلل من احتمالات انتقال ممتلكاته إليهم . "

تعمدت " جان " الاحتفاظ بمرح نبراتها :

- "يدهشني أن "فيليب" قد أرجأ التفكير في تأمين اسم "ريمادوس" إلى وقت متأخر نسبيا رغم حماسه الشديد للفكرة ، مع أن الاختيار متاح أمامه . "

ضحكت " ليدا " قائلة :

- " في الواقع هناك الكثيرات ممن كن يقبلن عرضه بالزواج بكل ترحيب لو كان قد اهتم بأن يعرضه عليهن . "

- " بمن في ذلك " ساباتين فالفيردي ؟ "

نظفت عينا " ليدا " بدهشة لحظية وهي تسأل :

- " هل التقيت بـ " ساباتين " ؟ "

أجابت " جان " - " منذ أمسيتين ، " ثم صمتت قليلا قبل أن تضيف: "إنها جميلة جدا . "

صمتت قليلا ... " لو كان " فيليب " قد أراد لكان قد تزوجها."

وهذا يعني أن شيئا ما كان بينهما في وقت ما .. هكذا استنتجت جان " .. لكنها كانت قد رجحت ذلك من قبل . الم تفعل ؟

قالت " ليدا " مؤكدة بهدوء عندما لاحظت تعبيرات وجهها : - " ليس هناك مايدعو إلى أن تخشي " ساباتين فالفيردي " . " فانت من اختارك " فيليب " عروسا له . "

أجابتها " جان " بابتسامة وعبارة مناسبة . إن أحدا غيرها هي وفيليب " لم يعرف حقيقة الأمر وهذا مايجب أن يبقى الوضع عليه و لتعتقد " ليدا " ماتعتقد.

الفصل السادس

تناول الجميع طعام الغداء في الهواء الطلق بالفناء الرئيسي على انغام النافورة المتدفقة . بدا على " فيليب " الارتياح والاسترخاء . كان واضحا انه قد قضى الجزء الأكبر من الفترة الصباحية في ركوب الخيل مع " جاسبار " .

سألت " ليدا " مخاطبة " جان " :

- " هل انت فارسة ؟ "

أجابت متحاشية النظر تجاه " فيليب " :

- " ليس بالضبط . " كثيرا ما اسقط من فوق ظهر الفرس " .

- " يجب أن نهتم بتدريبك . " ابدى " فيليب " ملاحظته هذه بنبرة هادئة .

" سوف تشعرين بالأمان فوق ظهر " سانتينا " ما لم تحاولي الجري قبل أن تتدربي بالدرجة الكافية .

نظرت إليه عندئذ لتسجل لمحة الفكاهة التي بدت في عينيه مما ربما من معنوياتها :

قالت :

- " ساحاول دائما أن اتذكر ذلك " .

كانت فترة مابعد الظهيرة طويلة قضوها في الاسترخاء ولكنها لم تكن مملة . شعرت " جان " لأول مرة بقدر من الثقة بالنفس عندما جلست تصغي إلى الحوار الذي يدور حولها مشاركة فيه أحيانا . مساء غد تنام مع " فيليب " كزوجة له . كان هذا الواقع في حد ذاته كفيلا بان يمنحها الثقة بالنفس . ربما انه لم يحبها بالقدر الذي تمنت أن يحبها به زوجها ، ولكنه كان يرغب فيها ويحتاج إليها وهذان بديلان مؤقتان كافيان .. حتى إنها تمنت لو انها بدات بالفعل تحمل طفله في احشائها لأن ذلك من شانه ان يقرب ما بينهما .

تبعته إلى حجرة المكتب في الرابعة وقد قررت ضرورة تسوية أمر المبلغ الذي كان قد دفعه إلى " رين " .

قالت بعد ان عرفته سبب اللحاق به إلى هناك " لا استطيع أن اعيد إليك كامل المبلغ . " ولكنني لم امس خمسة الآلاف التي اعطتني " رين " إياها . "

اصغى " فيليب " بهدوء حتى هذا الحد . ثم أجاب بنبرة جافة :

- " هذا المبلغ ملوث . ولا اريد منه شيئا . "

نظرت إليه في حيرة :

- " لكن ماذا عساي ان افعل به ؟ "

- " ما تشائين . ارسليه إلى أختك إذا رأيت ذلك . " تجعدت شفته قليلا وهو يضيف " لانه يبدو أن لاضمير لها . "

لم تكن " جان " لتستطيع مناقشته في هذا الاكتشاف ولكنها لم تعتزم تنفيذ ما اقترحه .

قالت بإصرار :

- " هذا المبلغ لا يخصني " وانا ايضا لا اريد منه شيئا . "

- " لكنه معك . " أجاب بشدة " اودعيه باسمك في مصرفك . هذا هو نهاية الأمر . وبذلك ينتهي الموضوع .

لم تشك في انه كان يعني كل كلمة قالها . واي إضافة أخرى لن تسفر عن شيء سوى إثارة غضبه ، وهذا آخر ما كانت تتمنى في تلك الأمسية السابقة على زفافهما .

سألت بلهجة مرحة وراث فمه يتسع في ابتسامة علوية .

- " هل يعتبر الإسبان قضاء العريس الليلة السابقة على الزفاف بصحبة عروسه فعلا يجلب سوء الحظ ؟ "

- " لو كان ماتقولينه صحيحا فلن اشارك الإسبان معتقداتهم ابدا هذه الأمسية نقضيها جميعنا معا . وغدا بعد إتمام مراسم عقد القران تعود " ليدا " و" جاسبار " إلى منزلهما وفي تلك الأثناء نكون انا وانت في " سيفيل " .

- " سيفيل ؟ " قالت " جان " في قمة حيرتها . " هل لديك اعمال هناك؟ "

انفرجت شفتاه متسائلا :

- " أليس من حقك قضاء رحلة شهر عسل ؟ "

قالت بصدق :

- " لم يطرأ لي حتى مجرد التفكير في ذلك " ثم اضافت متلعثمة " لاداعي لأن تلتزم بالتقاليد في ذلك ايضا . ساكون في غاية السعادة بالبقاء هنا".

قال مؤكدا :

- " سنذهب إلى " سيفيل " . " بيوت الأزياء هناك تفوق اعظم الموجود في " چيريز " ".

- " آه . لقد فهمت . لأنه علي أن اظهر بما يليق بزوجة نبيل من اسرة "ريمانوس"

بدت الدهشة على وجه " فيليب " :

- " أليس شراء الملابس الجديدة هو أعز رغبات كل النساء ؟ "

ليست أعز الرغبات .. قالت لنفسها وهي ترسم ابتسامة على شفتيها وتهز كتفيها بخفة :

- " ربما إحداها . ويمكنني أن اكتفي باصطحاب "ليدا" في هذه المهمة.

- " قال انا الذي سأذهب معك . " " وإلا فإنني واثق من انك ستخفضين الاتفاق إلى الحد الأدنى بينما ستشعرين بحاجة إلى الثياب المناسبة لو استقبلنا ضيوفا لدى عودتنا . "

اندفع رأس " چان " إلى اعلى :

- " ظننت أن لا اهتمام لديك بالجانب الاجتماعي . "

هز كتفيه قائلا :

- " ستكون السرعة والسرية البادية في إتمام زواجنا مثارا للتخمينات واحتفاظي بك لنفسي بعيدا عن الجميع سوف يزيد الطين بلة . "

- " لاتزال لدينا الفرصة لإيقافه . " اجابت بهدوء غير واثقة من الإجابة التي ارادت أن تتلقاها منه .

غزا عينيه تعبير غامض فارقهما في الحال .

قال بنبرة فاترة :

- " لقد فات الأوان . " " سيتم الزواج طبقا لما أعددت له . اذهبي الآن واتركيني لأعمل . "

تركته " چان " وقد احست أن بداخله خليطا من المشاعر لن يكون هناك تراجع في اللحظة الأخيرة .

رغم عدم وجود قائمة مدعوين إلا أن الكنيسة البيضاء الصغيرة

امتلأت حتى ابوابها بالحاضرين . شعرت " چان " عند وقوفها امام المذبح ، بينما قام راعي الكنيسة بإتمام المراسم ، بعدم تركيز شديد . بدت وكأن تلك المراسم تؤدى من أجل فتاة أخرى غيرها .

لم تنتبه إلى حقيقة ما كان يجري حتى ضغطت يد " فيليب " بقوة تحت إبطها وهما يغادران الكنيسة اخيرا إلى ضوء الشمس . أصبحت الآن فردا في أسرة " ريمانوس " وبلده هذا وطناً لها مدى الحياة - كذلك أطفالهما سوف يحملون الجنسية الإسبانية بمقتضى القانون . لو كان " فيليب " يحبها لما اهتمت بشيء من ذلك . كل مافي الأمر انه لم يؤمن بالحب .. ذلك النوع من الحب الذي تراه اساسا للحياة الزوجية . عليها أن تواثم حياتها وفقا لذلك .

كان اهل القرية قد اقاموا الموائد حول المربع الأوسط وجلس العريس مع عروسه محاطين بصديقيه " ليدا " و " جاسپار " في مكان الشرف المعد لهما . قدم الطعام والشراب بوفرة . تناولت " چان " قليلا جدا من الأول وأسرفت في تناول الأخير وهي تشعر بحاجة ملحة إلى التخلص من ثوبها ذي الصدار الضيق الذي كاد يقيد حركتها تماما . شعرت بسعادة مفاجئة انهما كانا ذاهبين إلى " سيفيل " .. سعادة لأن تتاح لها فرصة الاعتياد على وضعها الجديد .. سيأتي اليوم الذي تتذكر فيه هذا الشعور بالارتياب وتضحك .. لابد أن يأتي .

كان أهل القرية لايزالون يقيمون احتفالاتهم بهذه المناسبة عندما تركوهم في وقت متأخر بعض الشيء بعد الظهر . ودعت " ليدا " وزوجها " جاسپار " العروسين بالداخل معانقة " چان " عناقا حارا قبل أن تلحق بزوجها في سيارته .

- " لابد أن تأتيا لقضاء إجازة معنا بمجرد استطاعتكما ذلك . " قالت:

- " فيليب" اعتن بها جيدا . "

أجاب بنبرة معبرة : -" هذا ما أعتزمه . "

كان المنزل في حالة هدوء وسكون تام إذ كان جميع مستخدمي القصر يستمتعون بحضور الاحتفالات بالزواج . في الحجرة التي سوف يقتسمانها لدى عودتهما وجدا الملابس التي سوف يرتديانها في رحلة توجههما إلى "سيفيل" . تصلبت " چان " قليلا رغما عنها عندما اقترب " فيليب " من خلفها ليحل الأزرار الصغيرة بظهر ثوبها أحست نفسه أنفاسه على عنقها ولمسة شفتيه رقيقة تمسد جلدها .

قال متمتما :

- " انت فاتنة . اكثر مما استحق . "

- " كم من الوقت تستغرق الرحلة إلى " سيفيل " ؟ "

وشعرت بانسحابه حتى قبل ان يتراجع مبتعدا عنها :

- " ساعتين . سنصل قبل موعد العشاء بقليل . "

وبعد ذلك ياويان معا إلى فراش الزوجية .. ارتعدت لهذه الفكرة . ربما امكنها وهي بين ذراعي " فيليب " ان تقنع نفسها اخيرا ان ما عاشته اليوم لم يكن حلما .

ارتدت حلة من الكتان الازرق للرحلة بينما ارتدى " فيليب " بنطلونا وقميصا باللون القشدي . كانت حقائبهما قد وضعت في المرسيدس الفضية المنتظرة بالخارج . نظرت " جان " إلى الخلف وهما ينعطفان من خلال البوابات فرات القصر بحجمه المهيب بمنظور جديد .. إن بيتها الآن وعلى الدوام . لكن هل ستعرف فيه السعادة ؟

اتجها صوب " چيريز " ليتخذا طريق كاديز / سيفيل " السريع شبه الخالي من المرور اقتصادا للوقت . كان المنظر كئيبا بالاقتراب من سيفيل " حيث كثرت المصانع ومشروعات الإسكان المتواضع على جانبي الطريق . وعلى مدى عدة كيلومترات اتسع الطريق فجاة حيث ظهرت المتنزهات والميادين والعمارات العالية الرشيقة على احد جانبيه . بينما جرى على الجانب الآخر منه نهر "جوادالكويفير " ومن فوقه الجسور القوسية المشيدة من حجارة رمادية اللون .

كان الفندق الذي يقصداته في الجزء القديم من المدينة صغيرا . لكنه فاخر الرياش حيث حيًا مستخدموه في زيهم الرسمي " فيليب " بالاحترام الذي بدات " جان " نفسها تعتقد انه اهل له . غطي الجناح المخصص لهما بالواح الماهوجني . اما الفراش فكان سريرا ضخما من النحاس الاصفر تعلوه الحشايا الوثيرة والوسائد الانيقة . وتكسوه الأغطية الفخمة . اما حوض الاستحمام فكان مطليا بالمينا ويتسع لثلاثة اشخاص على الاقل .. ذهلت "جان" لكل هذا .

وجدت المنظر من الشرفة إفريقيا اكثر منه اوروبيا تكثر فيه المنارات والاقواس . ونخيل البلح ذو الحفيف الشاعري . طلت اشعة شمس الغروب الحجارة البيضاء باللون الذهبي لتؤكد ارتفاع برج الچيرالدا في سماء بدات تتحول من اللون الازرق إلى اللون البنفسجي . بينما

تسلل الليل يغزو المدينة .

سال " فيليب " عندما عادت إلى الحجرة اخيرا : " اتحبين ان تتناولي العشاء في الخارج ؟ أم تفضلين ان تبقي هنا ؟ "

قالت بعد انقضاء لحظة : "هنا . إذا كان هذا يناسبك ؟ "

- " ياله من ادب جم . " قال ساخرا بمرح " انا لك لتامريني يا زوجتي العزيزة . "

قالت محدثة نفسها عندما اتجه إلى الهاتف يرفع سماعته: "هذا هو اليوم . تم إحضار العشاء إلى الجناح وقدمه لهما نادلان شابان على سلوك مدهش .

دهشت "جان" حين وجدت نفسها جائعة إلى ذلك الحد، ولكنها تجنبت تناول المشروبات لان مجرد التفكير فيما سوف يكون مثير بالدرجة الكافية. ارتعدت سائر اعضاء جسدها عندما تذكرت مشاعر ان تكون بين ذراعي "فيليب".. رجل وزوجته .. لم يبد لها الأمر حقيقة بعد.

جلسا بناء على طلبها في الخارج في الشرفة يستمتعان بمناظر واصوات "سيفيل" ليلا . جاء الهواء عليلا رطبا على البشرة . والنسيم الرقيق لايكاد يحرك شعر " جان " . كان من المقرر ان يصطحبها فيليب " غدا في جولة تشاهد فيها معالم المدينة . ثم يعرفها ببيوت الأزياء التي تحصل منها على ماتريده من ثياب من الآن فصاعدا. لن تتردد بعد الآن على بيوت الأزياء التي اعتادت عليها في وطنها الاصلي. لابد ان يكون مظهرها من الآن فصاعدا لائقا بمكانتها الجديدة.

نهضت في قلق تشاهد المنظر من زاوية مختلفة فاسندت يديها بخفة فوق الدارابزين بينما وقفت تطل على المدينة المضاءة .

قالت بصوت خافت :

- " إنها جميلة جدا ! " " لا اكاد اصدق انني هنا بالفعل. "

- " قال " فيليب " وقد وقف خلفها بالضبط .. " كلانا هنا . كانت حركته من الخفة بحيث لم تدرك " جان " انه قد غادر مقعده .. اتجهت يداه لتطوقا خصرها . " بدت لي الأيام الثلاثة الماضية وكانها الدهر . "

قال هامسا في اذنها " كم افتقدتك يا " جانيتا "

لم يكن ذلك كل ماتمنت ان تسمعه منه ولكنه اقرب إليه وهو مايكفي مؤقتا . القت بثقلها عليه فخورة بقوة جسده النحيل .. زوجها .. ذلك الرجل الذي سوف تقضي معه كل ليلة من حياتها اعتبارا من الآن

وحتى آخر العمر . مجرد لمسه لها جعلها تتحرق شوقا إليه .

لفتها لتواجهه ، وقد اتقدت عيناه بوميض داخلي في سمرة وجهه الجذابة . فاض فمه باحاسيس جذبت قلبها وروحها إلى حرارة العناق ، ودون كلمة اخرى امسك بيدها عائدا معها إلى الحجرة .

مرت تلك الأيام القليلة الأولى مثل حلم . رأت " جان " أن " فيليب " هو الزوج الذي تتمناه اية امراة . وإن لم يكن لكلمات الحب الصريحة مكان في حياتهما إلا أن ذلك كان كل ماينقصها .. فقد اشبع جميع رغباتها من سائر الجوانب الأخرى .

كانت زيارتها لبيوت الأزياء ابعد ماتكون عن تلك المحنة التي تصورتها عليها . لأن مجرد ذكر اسم " ريمادوس " جلب الاهتمام الفوري المفعم بالاحترام .

لو كانت " جان " قد تركت لقدراتها لما استطاعت ان تعرف ايا من الثياب التي عرضت امامها تختار لكن " فيليب " كان واثقا من اختياره لم تستطع أن تتصور تكلفة المشتريات ، إذ لم تذكر اسعارها أو على الأقل لم يرد ذكرها على مسمع منها .

كانت مصارعة الثيران هي الشيء الوحيد الذي احجمت عنه ، معللة انها لن تذهب لمشاهدة حيوان اعجم يعذب بانتقام حتى الموت باسم الرياضة . لم يبذل " فيليب " اية محاولة للضغط عليها كما لم يبد عليه اي ضيق إزاء وجهة نظرها . قضيا بدلا عن ذلك إحدى فترات مابعد الظهيرة يفحصان بعضا من الاف الخرائط والمخطوطات والمستندات الأخرى التي تصف ما عثر عليه المكتشفون الإسبان عند اكتشافهم العالم الجديد الذي يتالف من جزر الهند والأمريكتين .

لكنها عاشت لياليها معه ، لأن ممارسة الحب مع " فيليب " ليست بالأمر الذي يمكن أن تكل منه ابداً . فهو شديد الرغبة قاسي القلب لكن له لحظات من العطف والرقة اوجدت في قلبها املا حقيقيا في تعميق المشاعر بينهما في وقت ما . حتى في غياب مايؤكد تحقيق هذه الآمال شعرت بسعادة اكثر من اي وقت مضى .

لم تات عودتهما إلى القصر بالتغيير غير المحبب فقد تحولت من عشيقة الرجل إلى سيدة القصر خلال اسبوع واحد فقط ولم يكن ذلك بالتقدم البطيء هكذا رأت " جان " متغاضية عن محاولتها المختصرة لتجعل " يولا " تتركها تفرغ حقيبتها بنفسها .

امتلأت خزانة الملابس الخاوية بما ابتاعته مع " فيليب " من الثياب الفاخرة التي كان بينهما مايلائم كل مناسبة ووقت مع الكماليات المتعلقة بكل منها . كانت السحابة الوحيدة التي تلوح في الأفق القريب هي فكرة الالتقاء بجميع قاطني عالمها الجديد هكذا - فكرة مواجهة الفضول الذي لايمكن اجتنابه . احد الأسئلة المتوقعة على وجه التاكيد هو كيف التقى كل منهما بالآخر اول مرة .

- " قال لها " فيليب " عندما واجهته بهذا الاحتمال " كنت تقضين إجازتك هنا " كنت اتهمك بسيارتي . اصطحبتك لتناول العشاء معي من قبيل التعويض - والبقية - كما يقولون - مجرد رواية معادة . "

كانت ابتسامته ساخرة بقدر طفيف " لم اخضع ابدا للتقاليد في عاداتي "

صدقته " جان " فيما قال :

- " لكن الخدم هنا يعرفون حقيقة ماجرى . " قالت " لو فرض ان احدهم باح بما يعرف ؟ "

- " إنهم يقدرون اوضاعهم هنا إلى الحد الذي يحول دون مثل هذه المخاطرة اضيفي إلى ذلك انك قد فزت بوفائهم لك بإنقاذك " كارلوس " من غضبي . "

- " قالت بمرح ورأت التهكم المالوف ينهض في عينيه مرة اخرى . " على حساب حريتي " .

- " حرية زائفة في احسن صورها . لقد اصبحت ملكا لي منذ اللحظة التي وضعت اسمك فيها على ذلك العقد الأول . ولن اقول شيئا عن العقد الثاني . "

- " قالت " جان " معترضة بقدر من الحدة : " ليس باستطاعة احد امتلاك شخص آخر . " لقد انتهى ذلك بانتهاء العبودية ! "

- " انت ملك لي . " جاءت عبارته واضحة لالبس فيها " كما سيكون ابناؤنا بدورهم . تذكري ذلك دائما ! "

رأت " جان " ان مناقشة هذا الراي سيكون مضيعة للوقت والجهد ، فاحتفظت بإجابتها لنفسها عرفت منذ البداية مقدار اختلاف مثلهما من بعض الوجوه . الوقت والصبر قديساعدان على سد هذه الفجوة ، لديها المتسع من الوقت ، وسوف تروض نفسها على الصبر .. قالت لنفسها .. لأن زواجهما لابد ان يكون ناجحا .

تلقت اقتراح " فيليب " بعد يومين بإقامة اول مناسبة اجتماعية بقدر من الرتيبة . قال : مجرد حفل عشاء صغير كبداية - وستكون الفرصة سانحة بعد جمع المحصول لإقامة حفل على نطاق أوسع .

واصبح الحفل الصغير يعني توجيه الدعوات إلى مالا يقل عن اثني عشر زوجاً ترافقهم زوجاتهم . لاحظت " جان " دونما تعليق من جانبها وجود اسم "ساباتين فالفيردي" بالقائمة التي اعدها " فيليب " بنفسه كارهة الاعتراف باية شكوك متبقية لديها فيما يتعلق بتلك المراة الإسبانية لانه كما قالت " لبدا " لو كان قد رغب في الزواج بـ"ساباتين" لكان قد تزوجها ...

ومع ذلك لم يمكنها ان تغفل مقدارالعداء الذي كمن في عيني تلك المراة عند لقائها بها هذه المرة الأخرى . كان الرجل المصاحب لها هو ذاته الذي راته معها في المرة الأولى . يدعى " لويس فرنانديز " يصغر " فيليب " بقليل وإن بدا عليه انه من ذوي الموارد المعقولة . اختيار موفق جدا على حد رؤية " جان " .

خضعت معرفتها للغة الإسبانية إلى الاختبار من قبل الشريك الجالس عن يسارها على مائدة العشاء ذلك الذي - لم يعرف من الإنجليزية إلا القليل على غير عادة اهل المنطقة - . لمحت بين الحين والحين نظرة " فيليب " إليها من راس المائدة وطمانتها إيماءات استحسانه .

ستتمكن بمرور الوقت من الاعتياد على هذه المناسبات وإن كانت الى تبذل جهدا واضحا نحو السلوك السليم . كانت الأجنبية الوحيدة بين الحاضرين .

لم تقدم الوجبة قبل العاشرة مساء تمشيا مع التقاليد الإسبانية .

ويحلول الحادية عشرة والنصف شعرت " جان " بالوهن . من غير المحتمل ان يبدا الحاضرون في مجرد التفكير في الانصراف قبل الواحدة صباحا .

كيف يمكنها الاحتفاظ بعينيها مفتوحتين ؟ والأكثر كيف تشترك في الحديث على مستوى من الذكاء ؟ هذا مالم تجرؤ على أن تفكر فيه .

ساعدها تقديم القهوة في الصالون قليلا . حملت " جان " نفسها على التنقل من مجموعة من ضيوفها إلى الأخرى تجيب على التعليق الماكر والسؤال التخميني .

استطاعت ان تنسحب عند نقطة مالتصلح زينة وجهها في حجرة تبديل الملابس بالطابق الأرضي ولكنها لم تدهش لرؤية " ساباتين " تتبعها إلى هناك . بدت أجمل ما يمكن ان تكون عليه في ثوب قرمزي . نجحت " جان " في أن تبتسم لها آملة الا تكتشف المراة الأخرى حقيقة مشاعرها نحوها :

- " الجو يكاد يكون حارا هناك نظرا لازدحام المكان . أليس كذلك ؟ "

تجاهلت " ساباتين " هذا التعليق :

- " لابد أن " فيليب " كان يائسا إلى الحد الذي جعله يعرض الزواج على امراة من الواضح انها غير مهياة لاسلوب حياتنا . " قالت دون مقدمات " لن تكوني ابدا الزوجة التي تناسب رجلا في مثل مركز فيليب " ووضعه الاجتماعي . ارجو ان تكوني مدركة ذلك . "

استغرقت صياغة " جان " إجابتها لحظة او لحظتين . وعندما تحدثت كانت متحكمة في اعصابها محتفظة بهدوئها :

- " هل من الممكن ان يكون ذلك غيظا لان " فيليب " تزوجني بدلا منك؟"

تجعد الفم الأحمر الممتلئ تعبيرا عن الازدراء :

- " كان من الممكن لي ان اصبح زوجة له لو كنت قد وافقت على إنجاب الابن الذي يتطلع إليه . " فيليب " يبخل على نفسه باي شيء في مقابل ضمانه استمرار اسمه - حتى لو كان ذلك الشيء هو احتياجاته العاطفية .

قبضت العينان الزرقاوان على عينيها رافضتين التحول عنهما :

- " لماذا لم توافقي إذن ؟ "

- " لأنه لا رغبة لي في الأطفال . "

- " من النبل أن تصدقي القول في ذلك . " أمكنها ان تجيب وشعرت بتاثير البريق الغاضب كاملا .

- " لا تخطئي " قالت المراة الأكبر سنا بصوت خافت " إنك هنا من اجل هدف محدود . وبمجرد أن يحصل منك على مايريد سوف يطرحك جانبا . "

- " لننتظر ونر . " قررت " جان " الا تكشف عن عمق مشاعرها لاي سبب كان " لو تانذين لي . " اضافت بادب جم " يجب ان اعود إلى ضيوفنا الآخرين " .

كان التعليق الحاقد :

- " جميعهم يتسلون بك . " " غير ملائمة إلى حد يستحق الرثاء . هذا هو رايهم فيك . "

- قالت "جان" وقد بلغت باب الحجرة بالفعل " لن اكون كذلك طويلا لانني اتعلم سريعاً . "

حملت نفسها على ان تهدأ عندما غادرت الحجرة . إذ رات انه من الحماقة ان تدع حقد " ساباتين " الواضح يؤثر عليها . ومع ذلك نالت كلماتها منها ، إذ كانت الاخرى خير من يفي بمتطلبات هذا الوضع التي تصارع هي من اجل تحقيقها . من الواضح ان " فيليب " قد راى ذلك ، ومما لاشك فيه انه لايزال يراه. لكن استمرار اسم " ريمادوس " هو الذي احتل المكانة الاولى في لبه على الرغم من اي اعتبار اخر واستحوذت الفكرة عليه بالكامل .

وجدت نفسها تراقب " فيليب " عن غير قصد اثناء ما تبقى من تلك الامسية اللامنتهية تسجل مرات انجذابه إلى " ساباتين " .

تبادلت اكثر من نظرة مع " لويس فرنانديز " مدركة تقمصا عاطفيا في ابتسامته المكتئبة . لو كان يحب " ساباتين " فهو مستحق الرثاء لأن حب امراة غير جديرة بمبادلته مشاعره امر لا يجدي .

رات أن " فيليب " و"ساباتين " يجتمعان في نوعية واحدة وان ذلك في غير صالحها بالتاكيد . ليس بإمكانها ان تعطيه سوى ذلك الطفل وربما لن يمكنها ان تعطيه إياه ايضا .. اي مستقبل ذلك الذي يمكن ان يتطلعا إليه معا لو حدث انهما لم ينجبا ؟

انصرف اخر المدعوين في حوالي الثانية صباحا . شعرت " جان " بالعطف نحو الخدم الذين كان عليهم إتمام نظافة المكان قبل ان يأووا إلى مخادعهم رغم انه قد بدا عليهم تقبل العمل حتى هذه الساعة المتاخرة كامر متوقع دائما لم يتحدث " فيليب " إلا قليلا بينما كانا يستعدان للنوم فتزايدت شكوك "جان" في انه لابد يفكر في صديقته الإسبانية . لم تعرف ما إذا كانت تشعر بالسعادة ام بالاسف عندما لم يعطها اكثر من قبلة رمزية قبل ان يستقر لما تبقى من تلك الليلة . لن تعرف من الآن فصاعدا ما إذا كانت هي من يضم بين ذراعيه ام انه يضمها لانه يتخيلها " ساباتين " .

لازمها الاكتئاب حتى بعد ما استيقظت صباح اليوم التالي ، ولم يخفف من وطاته سوى دعوة " فيليب " لها بان تذهب معه لزيارة

مصنعه إذ راى ان الوقت قد حان لان تعرف شيئا عن ذلك العمل الذي اقترن باسم " ريمادوس " تلك الشهرة الواسعة .

رحلا في العاشرة صباحا حيث قطعا مسافة العشرين كيلو مترا إلى "جيريز" في اقل من نصف الساعة بالسيارة العملاقة . امتدت في المدينة مباني المصنع العملاقة بنوافذها ذات القضبان المتصالبة التي نفذت من خلالها رائحة المشروبات لتعبق الجو من حولها - تلك المباني التي اطلق عليها مجازا اسم المخازن .

فتحت بوابتان من الحديد المشغول تحملان شعار العائلة وهي إشارة معدة مسبقا ليدخلا منها إلى الفناء الذي تزينه النباتات المزهرة . كان المبنى المخصص للمكتبات بالداخل رطبا هادئ الإضاءة بالنسبة للشمس الساطعة على الحجارة البيضاء . تقدمها " فيليب " إلى ساحة استقبال فاخرة الاثاث ومنها إلى حجرة لاتختلف عن حجرة مكتبه في القصر .

لم تكد " جان " تتخذ مجلسها فوق الأريكة الجلدية الوثيرة حتى ظهر رجل كبير السن يحمل صينية مثقلة بالقوارير والكؤوس والاطباق الصغيرة الملأى بما يشبه الخبز المحمص المغطى بالجبن ، بدا يضعها فوق منضدة جانبية .

وما إن غادر الحجرة حتى التفت " فيليب " إليها قائلا :

- " قبل ان اصطحبك في جولة إلى ارجاء المصنع سوف اعرفك بعادتنا في تناول هذه المشروبات . " قال وهو يضع بعضا من الزجاجة الأولى في كاسين .

احضر لها كاسا مع احد الاطباق المحتوية على الكعك الصغير ثم نظر في وجهها بعينين طارفتين :

- " تبدين على غير المعتاد هذا الصباح . هل كانت الليلة الماضية متعبة جداً؟ "

- كم اتعود بعد على طول ساعات السهر . " قالت محاولة ان تبدو مرحة " غالبا ما ننتهي من تناول العشاء في بلادنا بحلول الساعة العاشرة على الاكثر لا ان نبداه في هذه الساعة . "

اجاب بلهجة قاسية :

- " هذا هو بلدك الآن . " " لذا يجب ان تعتادي اسلوبنا . وفي عطلة نهاية الاسبوع القادم نحن مدعوان إلى ضيعة " موريللا " . يعمل

"دومنجو" بتربية الثيران المصارعة . أرجو أن تحتفظي بمشاعرك نحو هذه المخلوقات لنفسك ونحن هناك ."

- " سابذل مافي وسعي . ولكنه لا يمكنني التحكم في مشاعري هذه"

بدا الضيق في عينيه وهو يقول :

- " انتم الإنجليز تبالغون في عبادة هذه المخلوقات احيانا ! "

أجابته مسرعة :

- " الاهتمام بالأعجم العاجز لايعد خطا جسيما . " " لكن لا تقلق على اي حال لانني لا اعتزم مناقشة الأمر مع اسرة " موريللو " كما لا اعتقد أن رايي سيكون ذا اهمية لهم ."

رفع " فيليب " شفة ساخرة :

- " بصفتك زوجتي فإن رايك يستحوذ على اهتمام الغالبية العظمى يجب الا ترتابي في ذلك ابدا . هل انت متاهبة لتجربة الصنف الثاني الآن ؟ "

كانت " جان " قد احتست الكاس الأولى بالكامل دون أن تنتبه إلى ذلك اللهم إلا للدفء المشتعل في احشائها :

سالت بغير اكتراث :

- " ولم لا ؟ " " فهذه إحدى العادات الإسبانية التي لا اعتراض لي عليها ."

سار إلى المنضدة ليضع بعضا من محتويات الزجاجة الثانية لكل منهما .

احتست نصف المقدار الذي يكاسها في جرعة واحدة متذوقة الفرق مابينه وبين الصنف الاول .

- " لابد أن تاكلي شيئا . " قال " فيليب " مشيرا إلى ذلك الطبق الذي كان قد تركه فوق المنضدة التي امامها . " وإلا تاثرت به جدا ."

كانت قد بدات تتاثر بالفعل . تمنت لو انه اتخذ مقعدا لان وقوفه بهذا الأسلوب اشعرها بانه يحلق من فوقها . حقيقة انه زوجها ومع ذلك فهو غريب عنها بكل ما تحمل الكلمة من معان تقريبا . ماذا كانت تفعل في هذا المكان - في هذا البلد ؟ إنها لا تنتمي إلى هناك ولن تنتمي ابدا ... فهو ينطوي على الكثير مما لا يستقيم ، وأفكارها .

تعاملت مع كاسها الثالثة بحذر شديد .

- " إذا كنت تعتزم ان تصطحبني في جولة بالمصنع ، فالافضل أن

يكون ذلك الآن بينما انني مازلت استطيع السير باتزان . " قالت بنبرة مرحة ؛ لانه لن يليق بزوجة الرئيس ان تسقط ارضا امام جمهور العمال ! "

قال برقة :

- " ساكون بجانبك لمساندتك . " " لانه كما تقولين يجب أن نحافظ على المظهر الذي يليق بمركزنا ."

بحلول وقت الظهيرة كانت حرارة الجو قد بلغت ذروتها . وكان من دواعي ارتياحها ان دخلا احد المخازن المعتمة . رات الحاويات موضوعة في صفوف افقية وراسية تتخللها بعض الممرات . اخذ " فيليب " يشرح لها كيف ان هذا الصنف إنتاج مصنعه لايعتمد على سنوات معينة من التعتيق . وان وضع حاوياته على هذا النحو يضمن تجانس الأوعية والمذاق اللذين اشتهر بهما اسم هذه المنتجات. زودها " فيليب " بتفاصيل كثيرة عن هذه الصناعة إلا انها لم تستطع أن تستوعبها جميعا على ضوء ما كانت قد احتسته في وقت سابق . رات باكتئاب أن لا فائدة لها في هذا النوع من المعرفة .. لانه ربما كانت هذه هي المرة الأخيرة التي تزور فيها موقع عمل " فيليب " .

اختصر " فيليب " الجولة بعد المخزن الثاني كما لو كان قد استشعر عدم قدرتها على التركيز . ورات " جان " ان الامر كله لايعدو أن يكون إشارة رمزية من جانبه . لانه لاشك لم يتوقع تقديرها لذلك العمل الذي اشتهرت به اسرته كما لم يكن في حاجة إليه خصوصا وان مهمتها قد سبق تحديدها بإنجاب الابن الذي يؤول إليه كل ذلك يوما ما .. على اعتبار ان تكون لذلك الابن ذات ميول والده .. لكن بدمائها في عروقه ربما جاءت افكاره مغايرة .. وهذا امر جدير بالاعتبار وإن كان في المستقبل البعيد .

عادا إلى القصر في الواحدة والنصف ظهرا وقدم لهما الغداء بالخارج في الثانية . ضغطت " جان " على نفسها لتاكل قدرا ضئيلا من كل صنف قدم لها مع الإسراف في الاحتساء من ذلك الشراب الذي أصر " فيليب " على أن يملأ به كاسيهما . رات ملامحه النحيلة بينما تعيد كاسها إلى المائدة فشعرت بتمزق مشاعرها إلى الحد الذي لم يثر دهشتها عندما فارق ذلك السؤال شفتيها رغما عنها :

- هل صحيح أنك عرضت الزواج على " سابانتين فالفيردي " ؟ "

سكن الراس الاسود لحظة خاطفة لكن عندما رفع نظره إليها لم تد عليه أية علامات للارتباك .

- " نعم . " قال معترفا .

ابتلعت لعابها بصعوبة نادمة على انها طرقت الموضوع .

- " وهل كان إنجاب الابن أكثر اهمية عندك من حبك لها ؟ " سأل ولاحظت ظلا يلوح في عينيه :

قال بنبرة فاترة :

- " لا امر لمشاعري علي . " " اعتقد انك قد لاحظت ذلك . "

- "فيما يتعلق بي ربما." رفعت راسها ونظراتها خالية من اي تعبير

" رغم أن وخز الضمير من المشاعر على حد اعتقادي .

كانت " ساباتين " ستكون الزوجة الانسب لك .

وجاءت هزة كتفيه كطعنة سددت إلى فؤادها :

- " ربما اصبت القول لانها محنكة في مجال المجاملات الاجتماعية التي لاتزالين في طور تعلمها . :

- " وهي فاتنة جدا بالإضافة إلى ذلك . "

جاءت ابتسامته خالية من اي مرح :

- " لاحظت ذلك . وبما انك لابد أن تكوني قد استقيت هذه المعلومة من "ساباتين" نفسها فهلاّ اخبرتك ايضا باسبابها في رفض الزواج مني ؟"

- " مادمت قد جعلت عرضك عليها مشروطا فلا غرو في انها قد رفضتك . معظم النساء كن يرفضن . " لمحت السخرية في نظراته فاحمر وجهها قليلا وهي تضيف : " انا لم تتح لي فرصة الاختيار اليس كذلك ؟ "

- " بلى قال معترفا دون أن يبدو عليه اي رد فعل كما لم اترك لنفسي فرصة الاختيار في النهاية : "إنها العدالة الشاعرية .. الا تسمينها كذلك ؟"

أجابت " جان " بمرارة :

- " لا شاعرية هناك في زواج لا يظلله الحب . " إننا شخصان وقعا في فخ واحد . هذا كل مافي الامر . "

رفع حاجبيه بسخرية حادة :

- " لكن هناك تعويضات . "

- " ولكني لم اقدم لك تعويضك بعد . وربما لن استطيع ابدا . "

- " إذا لم تفعلي فلن يكون ذلك راجعا إلى نقص في الجهد المبذول لتحقيق هذا الهدف." قال واعدا بنبرة متجهمة : " لقد ولى وقت الندم."

"نعم بالفعل" قالت " جان " لنفسها "وعليهما أن يستثمرا مايتقاسمانه إلى أقصى الحدود"

لو امكنها أن تقنع نفسها فقط بانه لم يصبح لـ"ساباتين فالفيردي" أي مكان في خططه في المستقبل .

الفصل السابع

كانت مزرعة " موريللا " الواقعة في السهول الساحلية تجاه "تاريفا" على مسافة ساعتين بالسيارة . بمجرد انعطافهما عن الطريق الرئيسي سارا بين المراعي المسيجة لتقع عيناهما بين الحين والحين على ثور وحيد يستظل تحت الأشجار من حرارة الشمس القاسية . بدت تلك الثيران رغم ضخامتها ، ورغم القرون الجارفة التي تكلل رؤوسها هادئة مسالمة ، حتى إنه بدا من المستحيل الموازنة بينها وبين الات الموت الثائرة التي ترى عادة في حلبات مصارعة الثيران .

قال " فيليب " موضحا تعقيبا على ما قالته " جان " :

- " إنها ثيران الاستيلاد . "

تحفظ الثيران الأكثر جسارة وجراة لأغراض التناسل ، ولا تخدعنك مظاهرها: لأنها قلما تهاجم في حرارة النهار مالم تستثر ، ولكنها مع ذلك خطرة ، بل وربما اشد خطورة من اي مخلوق على وجه الأرض . لانه من المعروف أن الثور الجريء يمكنه أن يصرع فيلا ." صمت لحظة ليضيف : سيقيم " دومينجو " سباقا تجريبيا بالمزرعة في عطلة نهاية هذا الاسبوع بغرض اختبار صغار ماشيته . وهذا يتيح الفرصة امام الراغبين في الاشتراك في مصارعة الثيران".

رمقته " جان " بنظرة سريعة متسائلة :

- " انت تتحدث على سند من الخبرة ؟ "

قال معترفا :

- " لقد سبق لي الاشتراك . "

www.rewity.com

- " ولماذا المخاطرة ؟ "

تدارس السؤال مركزا بصره على الطريق الضيق امامه ثم اجاب بعد طول صمت :

- " التحدي . " " المقامرة بذكاء المرء امام حيوان بهذه السرعة والقوة . ثم الخروج من الحلبة دون إصابة بخدش واحد يعطي شعورا بالرضا من نوع لايقدر اهميته إلا القليلون . "

- " وهل تشترك في هذه المباراة أيضا ؟ "

- " نظر نحوها بحركة فم ساخرة " " ربما ... هل لديك اعتراض ؟ "

قالت متلافية النظر إليه :

- " لا سلطة لي على تصرفاتك . "

-"ولا الاهتمام لدرجة تصل إلى ان تحاولي منعي - هذا امر واضح" ثم اضاف بنبرة اكثر حدة " لانه لو حدث ان قتلت فستتخلصين من اية التزامات . اليس كذلك ؟ "

قالت بحدة :

- " لم يخطر ذلك ببالي ! " " انا لا اريد موتك . "

- " ربما اردت عجزي إذن ؟ لانه في هذه الحالة لاتكون بك حاجة إلى كبت رغباتك . " فاجابته بخشونة :

- " لا اعتقد انني افهم ماترمي إليه بما تقول . "

- " هل تتصورين انني من الغباء بحيث لا يمكنني الوقوف على الفرق بين المشاركة الاضطرارية وتلك الصادقة القلبية ؟ " هكذا كان تعليقه القاسي . " لجسدك رغباته ياعزيزتي . وهي مايعجز ذلك النفور - الذي اكتسبته مؤخرا - عن قهرها . مجرد عرضي الزواج على امراة اخرى قبلك يجب الا يكون له اي تاثير على علاقتنا . "

اجابت بنبرة اكثر حدة :

- " لكنه يوضح مدى تحجر قلبك . " " اي طفل ننجبه سيكون ملكا لي كما هو ملك لك . ارجو ان تتذكر ذلك دائما . "

" تجعد الفم القوي ليقول :

- " اشك في انه سوف يسمح لي بان انسى ذلك " .

- " على فرض ان نرزق بهذا الطفل وإن لم تكن هناك اية دلائل تشير إلى قدومه بعد " .

فاجابها بنبرة فاترة :

- " عليَّ إذا بمضاعفة جهدي " .

عضت " جان " شفتها كراهية لنفسها على هذا الاندفاع في الحديث .

لم تكن بالنسبة له سوى حيوان إنجاب . لقد قرر ان يكون هذا الزواج دائما وملزما . ولكنها ارتابت في ان يستمر هذا العهد إذا لم تفلح في ان تحمل ذلك الطفل . وكان السؤال : " كم من الوقت يمهلها قبل ان ينكث عهده ؟ "

كان المنزل المقام على المزرعة إسبانيا تقليديا مشيدا حول فناء مركزي . اطلت الحجرة المخصصة لإقامتهما على مدى الليلتين القادمتين على الشرفة المسقوفة التي احاطت بالمبنى باكمله على مستوى الطابق الأول وكان ملحقا بهذه الحجرة الحمام الخاص بها . اختار " فيليب " الاغتسال بينما كانت "جان" مشغولة بترتيب اشيائها وخرج بمنشفة حول حقويه يبحث عن ثياب اخرى .

- " ارتدي شيئا مريحا مؤقتا . " قال ناصحا ردا على سؤال منها بهذا الشان . " سيكون هناك متسع من الوقت لاستبدال ثيابك قبل العشاء . "

" قالت في محاولة للإبقاء على عدم اهتمامها عندما اسقط المنشفة عنه ليرتدي ملابسه الداخلية " - يبدو ان اناسا كثيرين قد وصلوا إلى هنا . هل تعتقد اننا اخر من جاء ؟ "

- قال بنبرة عادية جدا " اشك في ذلك . " لان " ساباتين " سوف تحضر ايضا . وقد يكون هناك غيرها ممن سوف يحضرون فيما بعد . وهي و "كارلوتا" ابناء عمومة . الم تلاحظي مقدار التشابه بينهما؟"

- " لم يخطر ببالي ان ابحث عنه . " توقفت قليلا ثم استطردت " هل سباتي " لويس " معها ؟ "

قال بنبرة مقتضبة مفاجئة : - " ربما " " يبدو انه رفيقها المستمر هذه الأيام "

تبينت " جان " من خلال كلماته ان الأمر لم يعنه . لكن ماذا عن "ساباتين " نفسها ؟ هل كانت تفكر في الزواج بالرجل الآخر أم انها تتخذ منه وسيلة إثارة لغيرة " فيليب " ؟ قد يكون شعور هذا الأخير بحاجة ماسة إلى إنجاب طفل جعله يطرح كل الاعتبارات الأخرى جانبا لكن ذلك لا يعني انه قد توقف عن الإحساس . قليلون جدا من بين الرجال من لا تثير فيهم الأحاسيس امراة في مثل جمال " ساباتين " .

ارتدت حلة عادية - رغم ارتفاع ثمنها إلى حد الجنون - باللون الأبيض المحبب لها ، وشعرت بالارتياح ان رات السيدات الأخريات في مثل هذه الملابس المريحة .

التقت خلال نصف الساعة التالي بالعديد من الشخصيات لم تتذكر من اسمائهم إلا القليل . سرها ان ابدى بعضهم الإعجاب بمدى إتقانها الإسبانية لانها كانت قد بدات اخيرا تحب تلك اللغة .

ظهرت " ساباتين " والنهار يتجه مسرعا نحو الليل يتبعها " لويس". راتها "جان" - من حيث كانت جالسة بمفردها لحظة على حافة النافورة الرئيسية - راتها تحيي " فيليب " ناظرة في عينيه كما لو كانت لا ترى من الحاضرين غيره . تركهما " لويس " وشانهما ليتجول في مسار انتهى به بالقرب من مجلس "جان".

- " انا سعيد لان التقي بك مرة اخرى .. "

وهزت " جان " راسها :

- " اشكرك . " ثم ابتسمت إلى الرجل الذي لم يبد اية محاولة لمواصلة السير . " هل تشترك في هذه التجربة غدا يا "لويس"؟"

هز كتفيه بخفة قائلا :

- " الشجعان من بيننا هم الذين يفعلون ذلك . "

- " او المتهورون . "

- " اعتقد انك لا تحبين رياضتنا القومية هذه ؟ " ..

- " باختصار لا تعجبني . " ومع ذلك لدينا في انجلترا من الألعاب مايطلقون عليه اسم الرياضة ، وينطوي على استغلال الحيوانات . ولا اوافق عليها ايضا . بحثت عما تغير به موضوع الحديث مدركة انه من الممكن ان يؤول رايها ليثير الفوضى . " هل عرفت " ساباتين " طويلا ؟ " طرا لها هذا السؤال عن غير قصد .

- " عدة اسابيع .. " قال وعادت نظرته إلى حيث لم تزل صديقته واقفة إلى جوار " فيليب " - رغم انضمام اخرين إليهما الآن - وقد بدا فيها كابة كتلك التي كانت " جان " قد لاحظتها في نظراته ليلة حفل العشاء " واضح انها وزوجك تربطهما صداقة طويلة . "

- " نعم . " لم تثق في إمكانها الإجابة باكثر من ذلك ولكنها اضافت بنبرة مرحة " الساعة تقترب من الثامنة وهو الموعد المناسب في تقديري لاستبدال ملابسي بما يليق بالعشاء .

في الواقع ، إنني لم اتعود بعد تلك الساعات الطويلة التي تقضونها في السهر ليلا . لانه في بلدنا نفكر في الذهاب إلى الفراش في الوقت الذي تستعدون فيه لتناول هذه الوجبة ! "

سال " لويس " بنبرة تنم عن الفضول - " هل ما زلت تعتبرين انجلترا وطنك؟" " الا يتعين على الزوجة ان تقبل وطن زوجها وطنا لها؟"

رفعت " جان " كتفيها في هزة مقتضبة :

- " هذا يتطلب وقتا . " نهضت محتفظة بالابتسامة فوق شفتيها . "معذرة يا "لويس" " .

لم تكن الوحيدة التي تركت المجموعة ، إذ سبقها إلى ذلك عدد من النساء اغلب الظن لذات الغرض . كان الثوب الذي اختارته " جان " لترتديه لذلك العشاء رقيقا ازرق اللون ، ذا صدار ضيق وحمالات كتف رفيعة ، و معه "صندل" نو كعب مرتفع رقيق وحملت حقيبة مساء مناسبة له .

فتحت خزانة جواهرها لتتامل العقد والاسورة المرصعين بالماس والياقوت الأزرق اللذين اهداهما " فيليب " إليها بمناسبة الزواج . كانت لاتزال تشعر انهما لها من قبيل الاستعارة فقط . لقد وفر لها زوجها هذا من الناحية المادية كل شيء تستطيع اية امراة ان تحلم به ومع ذلك لم يمكنه أن يعوضها عما كان ينقصها .. ولا شيء يمكنه ان يعوضها .

كانت تحاول وضع قفل العقد عندما دخل " فيليب " الحجرة .. لقد حضر ليفعل ذلك لها . لم يبد على وجهه المنعكسة صورته على المراة إلا القليل مما كان يدور في ذهنه .

" قال وهو يترك العقد يستقر في مكانه الطبيعي حول عنقها - " تبدين متوترة . " لا حاجة بك إلى ان تنزعجي إزاء نواياي في هذه اللحظة . اؤكد لك ذلك."

قالت نافية وقد فشلت في الاحتفاظ بنبرات صوتها هادئة فاترة كما تريدها - " لم يخطر لي ان انزعج . " " لانك على الاقل لن تقدم على تمزيق ثوب دفعت كل هذا المبلغ ثمنا له ! "

تعلمت تعبيرات وجهه :

- " لا يهمني ثمنه . "

- " شكله إذن .. لانني قد احضرت ثوبا واحدا لكل امسية ، ومن

المستحيل ان ارتدي الثوب الواحد مرتين في حضور الصحبة الحالية الا ترى ذلك ؟ "

قبضت يداه بشدة على كتفيها حتى كادتا تخترقان عظامها .

- " إذا كان هدفك هو إثارة غضبي فانت في طريقك إلى نجاح مؤكد... ما الذي تريدينه مني ؟ "

أجابت على الفور - " ما ليس باستطاعتك ان تعطيني إياه . " اللهم إلا إذا سمحت لي بان ارحل " .

لاح شيء مافي العينين السوداوين من خلفها :

- " يجمع بيننا عقد واجب التنفيذ . " قال بنبرة فاترة ثم تركها ملتفتا بعيدا عنها على نحو مفاجئ . كان اكثر إيلاما من قبضة اصابعه " انتظريني " .

ظلت " جان " واقفة حيث كانت دون ان تتحرك حتى اغلق باب حجرة الاستحمام من خلفه. عندئذ فقط استطاعت ان تريح عضلاتها المتوترة مرت بها لحظات اثناء إقامتهمافي "سيقيل" اقتنعت فيها بان شيئا ما ذا قيمة يمكنه ان ينشا مما اقتسماه معا . لكن ذلك ثبت وكانه حلم لا جدوى منه . لا يمكنهما ان يتقاربا في اي من النواحي التي يعتد بها

كان العشاء وليمة من سبعة اطباق متتالية . جلست " جان " بين لويس " ورجل آخر يدعى " كارلوس " وجعلت من الحوار عذرا لئلا تتناول إلا اليسير من كل من الاصناف التي قدمت إليها . اما " فيليب " فاتخذ مقعدا بجوار "ساباتين"- لم تستطع " جان " ان تعرف ما إذا كان ذلك مصادفة أم بتدبير مسبق . قررت الا تسمح لنفسها بان تهتم .

لانه طالما اضطرت إلى هذا الزواج وكل ما يترتب عليه فليس بوسعها إلا ان تقبله على علاته . وربما تركها " فيليب " وشانها إذا ما ثبت حدوث الحمل .

اقلقتها هذه الأفكار .

لو كانت هناك شكوك مماثلة تراود " لويس " فيما يتعلق بتخصيص الأماكن على المائدة فقد نجح في إخفاء ردود فعلها عليه . عرفت " جان " انه من " مدريد " وربما صاحب مشروع خاص وانه قد حضر إلى "جيريز " أصلا لزيارة بعض الاقارب .

قال بصراحة :

- " كان ابن عم والدتي يامل في توثيق الروابط بين اسرتينا

بتزويجي ابنته " " لو لم اكن قد التقيت بـ " ساباتين " ربما كنت قد سمحت لنفسي بالتورط في خطبتها وكانت "إلينا" شغوفة بي إلى حد كبير" .

- " افهم من ذلك انك لا تقيم معهم الآن ؟ " .

- " رايت انه من الحكمة ان ارحل . لانه بعد لقاء " ساباتين " لا يمكنني مجرد التفكير في الزواج بغيرها . "

سالت " جان " وقلبها يخفق بشدة :

- " هل ستتزوجها ؟ "

- " لقد عرضت عليها الزواج ولكنها لم تجبني حتى الآن . " بدا صوته مكتئبا فجاة وهو يضيف " لا يمكنني تاجيل عودتي إلى "مدريد" اكثر من ذلك " .

- " ربما .. اضافت " جان " بقلق " إنها باختصار شديد لا تريد مغادرة "جيريز". هل يمكنك انت الإقامة هنا ؟ "

هز رأسه ذا الشعر الاسود الناعم قائلا :

- " مدريد " هي بلدي الذي انتمي إليه - حيث تاتي اهمية اسم " فرناندير " . اما في " جيريز " فلست شيئا. لانه لا دور لي في صناعة المشروبات . ولو لم تدعُني " ساباتين " لقضاء عطلة نهاية الاسبوع هنا لما نلت هذا الشرف "

شعرت بنوع من التقارب يجمع بينها وبين الرجل الجالس إلى جوارها .

لانها هي نفسها فرد في هذا الجمع رغما عنها .

قالت بنبرة ملطفة .

- " يمكنك معالجة الأمر بوسيلة او باخرى . "

لاحظت باسى عدم اهمية هذا الأمل عندما رات انتباه " لويس " يتجه إلي شريكته الأخرى . لو تمكن من إقناع " ساباتين " ان تذهب معه إلى " مدريد " فهذا من شانه ان يبعد عن حياتها احد مصادر القلق .

حل منتصف الليل وولى دون ان يلحظه احد غير " جان " . شعرت بجفنيها يتثاقلان وعقلها يرهق من الاسترسال غير المنقطع للاحاديث حول تلك المائدة العملاقة .

شعرت بارتياح طفيف - عندما تحرك الجميع إلى الصالون في حوالي الواحدة صباحا . لكنه لم يدم طويلاً . اضطرت اخيرا بدافع من

شدة ياسها ان تنسحب خارجا طلبا لبعض الهواء الطلق .

قالت مؤكدة لنفسها وهي تستند بامتنان إلى الحجارة الدافئة تصغي إلى صوت النافورة المريح " لن يفتقدها احد لمدة بضع دقائق " حتى لو كان هناك من يفتقدها فلم يكن ذلك بالامر المهم . من الأفضل أن تكون بمفردها مرة اخرى يفصل بينها وبين من بالداخل الابواب الزجاجية التي خلفها . لن تكون ابدا عضوا في هذا المشهد ولا بانقضاء مليون عام. واقع الامر انها لم ترغب في أن تصبح جزءا منه. لان هؤلاء الناس مختلفون عنها تماما .

فتح الباب من خلفهاليخرج منه شكل بشري لرجل ما . انطلقت الاصوات من الداخل ثم خفتت ثانية عندما اغلق الباب مرة أخرى .

- " رايتك تخرجين إلى هنا " قال " لويس " بدا لي انها فكرة ممتازة. وعلينا ان نواجه مخاطر البعوض . "

قالت بنبرة لطيفة حتى لا يعتقد انها ترفض اقتحام هدوئها - " لا يبدو اي منه هنا " " وعلى اي حال فإن عدة لدغات تعد مقابلا قليلا لانفراد المرء بنفسه بعض الوقت . " اسفة . لم اقصد ان الوح بما نمت عنه عبارتي . كل ما في الامر انني شعرت بالاختناق هناك بالداخل . "

قال وقد بداعلى وجهه الاسترخاء مرة اخرى .

- " ليس اكثر مما شعرت انا . "

" كلانا مختلف في نواح كثيرة غير ذلك . " رفع إحدى يديه يربت بها على احد الجيوب الداخلية لسترة السهرة البيضاء التي كان يرتديها . " هل يضايقك ان اشعل سيجارا ؟ "

" قالت بصوت رقيق - " لا على الإطلاق . " سوف يساعد على إبعاد الحشرات . "

ساد الصمت لحظة بينما شغل بعلبة السيجار والقداحة . لم يتحدث حتى اشعل سيجاره وسحب منه نفسا عميقا :

- " كيف تزوجت رجلا فاترا مثل " فيليب " يا " جانيتا " ؟ "

ضحكت رغما عنها :

- " اليس هذا بالسؤال الجريء بعد تعارف قصير ؟ "

- " ربما " . قال ولم تبد عليه اية علامات للاهتمام ومع ذلك يهمني ان اعرف الإجابة عنه . لا اعتقد انك تكنين له اية مشاعر حب . "

تقلصت عضلات ماحول قلبها وهي تقول :

- " لانه مانسميه في بلادنا بالصيد الثمين . اليس ذلك بالمبرر الكافي ؟ "

- " للكثيرين . " قال موافقاً " إلا انه بالنسبة لك كنت اظن ان الحب ايضا مهم إلى حد كبير . "

- " إنك لا تعرفني . " " فكيف يمكنك ان تعرف مايمكن ان يكون مهما بالنسبة لي ؟ "

تنهد بعمق :

- " إنك محقة بالتاكيد . لا ثقة في الغرائز . فمثلا اعرف ان ساباتين " هي الوحيدة المناسبة لي لكن مشاعرها لاتزال خافية عليّ . كل ما املة ان تتضح لي حقيقة مشاعرها نحوي . "

اجابت " جان " مسيطرة على اعصابها :

- " إنها لم ترفضك بالفعل بعد . كل ما عليك هو ان تظل تامل . لديك الكثير مما تقدمه يا " لويس " . "

- " لكن ليس بالقدر الكافي على ما اخشى . "

وخشيت " جان " ايضا ذلك . لانه بالمقارنة بـ " فيليب " لا يمثل لويس " إلا صيدا ثمينا . ولو منحت " ساباتين " الوقت الكافي والفرصة المناسبة لكانت قد تراجعت في رايها ورحبت بإنجاب ذلك الطفل الذي يتطلع إليه " فيليب " ، مقدرة ان ذلك إنما هو مقابل ضئيل لما عساها ان تربحه . لكن رفضها جاء متعجلا، وغير مدروس - ربما لانها افترضت عدم استطاعته التحكم في مشاعره نحوها .. وكان ذلك بدافع من غرورها .. وايا كانت الأسباب والنتائج لم تكن على استعداد لان تفقد الامل في استعادة ماقد ضاع منها .. هذا واضح لا ريب فيه !

- " اعتقد ان من الأفضل ان اعود إلى الداخل . ارى انه من المحتمل ان تمتد السهرة إلى وقت اطول بكثير . الا تعتقد ذلك ؟ "

رفع " لويس " كتفيه :

- " لا يزال الوقت مبكرا . ربما لن يبدا الناس في الانصراف قبل ساعة اخرى . "

ارتسمت على وجهها ابتسامة ساخرة وهي تقول :

- " لا اعتقد انني سوف احتمل ! سرني الحديث معك يا " لويس " . اتمنى لو امكنني ان اساعدك . "

- " إصغاؤك إلى مشاكلي كان مساعدة كبيرة لي . ليس من بين

الحاضرين هنا من يمكنني ان اثق به ."

تمنت " جان " لو انها لم تستقبل آماله واحلامه ، خاصة وانها تتعلق بـ"ساباتين فالفيردي" لانها كانت تستخدمه في الوصول إلى اهدافها ولا شيء غير ذلك .

بقي ليدخن سيجارة بينما عادت هي إلى الداخل . كان " فيليب " في مواجهتها مباشرة على الجانب الآخر من الصالون عندما نفذت من خلال الباب ولم تكن " ساباتين " - للمرة الأولى - ضمن المجموعة التي ضمته . لم يعلق باكثر من رفع أحد حاجبيه قليلا .. لكن لم يكن هناك محل لأي تعليق لأنها لم تقترف خطأ بتركها المجموعة لعدة دقائق .

جذب شخص آخر انتباهها فسمحت " جان " لنفسها بان تنزلق في الحوار في محاولة لمقاومة الملل . قالت لنفسها غدا سوف تستفيد من وقت القيلولة بالنوم حتى تتمكن من البقاء حتى ذلك الوقت المتأخر من الأمسية التالية . وسوف تحمد الله من اعماق قلبها عندما تنتهي عطلة نهاية الأسبوع التي توترت فيها اعصابها لأسباب أخرى غير ذلك ."

كان ظهور " فيليب " إلى جانبها مفاجأة لها إذ حسبته مشغولا بالمناقشات على الجانب الآخر من الحجرة ، بدا مدهشا في سترة السهرة ، إذ أكدت أناقة إعداد ذلك النسيج الأبيض قشدي اللون عرض منكبيه . شعرت عندما التقت بعينيه بتقلص مفاجئ لأحشائها من اثر نظرته الحائلة عديمة النفاذ . رجل قاتر .. هكذا وصفه " لويس " والوصف ينطبق عليه تماما في هذه اللحظة بالذات .

- " اعتقد انه من المناسب ان ناوي الآن إلى حجرتنا . تعالي لتستأنفي مضيفتنا ."

بدا من عدم اعتراض " كارلوتا " على انسحابهما انها تعتبر ان الوقت قد حان كي ياوي الجميع إلى فراشهم . بدا آخرون يحذون حذوهما . لم يحاول "فيليب" ان يلمسها وهما يصعدان الدرج العريض ومع ذلك استطاعت ان تحس التوتر بداخله - كان مثل زنبرك معبا في انتظار الانطلاق .. " ساباتين " هي التي لفته - قالت لنفسها متهكمة حسنا يجب الا يتصور هذه المرة انه سوف يستعملها كبديل عن تلك المرأة!

كانت الستائر قد أسدلت في حجرتهما والفراش معد للنوم . ترك

مصباحا واحد امضاء ليخلق جوا من الالفة على الرغم من اتساع الحجرة . قالت باستحياء :

- " سوف استعد للنوم أولا الليلة إذا لم يكن في ذلك ما يضايقك ."

" لانني متعبة جدا ."

التفت " فيليب " ببطء ليواجهها ملقيا بالسترة التي كان قد خلعها على مقعد قريب. أكد الحزام الأسود نحوله الزائد مما افقدها توازنها.

- " قبل اي شيء آخر " " اريد ان اعرف كم من الوقت قضيته في الخارج هذه الليلة مع " لويس فيرناندين " ؟ "

حملقت فيه ماخوذة بحدة النبرة التي طرح بها سؤاله حتى إنها لم تستطع لحظة الإجابة عليه . عندما تحكمت في صوتها اخيرا اجابت بتحد لم تتعمده بالفعل :

- " لو كنت تراقبنا فلابد انك تعرف ."

- " رايتك تدخلين . " " وتبعك " لويس " إلى الداخل بعد لحظات قليلة ."

بدت عيناه غير المفتوحتين تماما وفمه مثل فخ فولاذي . " ولم اكن الوحيد الذي لاحظ الواقعة على اي حال ."

اجابت مسرعة :

- " وربما لست الوحيد الذي حملها اكثر مما يجب ايضا ."

" تحدثنا معا . هذا كل مافي الأمر ."

- " كان من الممكن ان تفعلا ذلك دون ما حاجة إلى التوجه إلى الخارج معا."

- " لم نفعل . " قالت اعني نتوجه إلى الخارج معا . كنت هناك قبل ان يأتي " لويس " ."

- " تريدين أن تقنعيني انه اختار ان يستنشق بعض الهواء في هذا الوقت بالذات من قبيل الصدفة البحتة ."

- " لا . ليس بالضبط . عرف انني بالخارج ... " توقفت " جان " عن الحديث تهز راسها في نفاد صبر " هذا غريب جدا ! ليس ثمة شيء بيننا . لم نكد حتى نتقابل ! "

-كان واضحا تلك الليلة الأخرى ان كلا منكما قد انجذب إلى الآخر."

" حتى إنني في كل مرة نظرت فيها في اتجاهك رايتكما تبتسمان لبعضكما وهو ماحدث هذا المساء ايضا ."

- " هذا ليس صحيحا . " .

- " تريدين ان تشككيني فيما راته عيناي ؟ "

- " اريدك الا تبالغ فيما تراه عيناك إلى هذا الحد . " بمن انت مهتم إلى هذا الحد يا " فيليب " - بنفسك ام " ساباتين " ؟

تجاهل السؤال تماما :

- " اريدك ان تعديني بالا تسعي إلى مجالسته مرة اخرى اثناء إقامتنا في هذا المكان . "

اجابت بإصرار .

- " لم اسع إلى ذلك ابتداء . "

" ولا اعتزم مراقبة كل خطوة اخطوها لئلا اجد نفسي قريبة منه مرة اخرى!

ربما وجب على " ساباتين " ان تزيد من اهتمامها به لانه على الاقل قد حضر إلى هنا كضيف لها . "

اجاب بنبرة حادة :

- " لا شان لك بما تفعله " ساباتين " ومالا تفعله . "

" ولتفعلي ما اطلبه منك ! "

كزت " جان " على فكيها :

- " مالم يكن ذلك غير معقول . إنني إنسانة يا " فيليب " ومن حقي ان اقول لك لا عندما ارى ذلك ! "

لاحت امارات شدة الغضب في عينيه :

- " كزوجتي لا حقوق لك غير تلك التي اهتم بان امنحك إياها . متى تتعلمين ذلك ؟ "

- " عندما يتجلد الجحيم ! " قالت وقد حمى غضبها إلى الحد الذي لم تتنبه فيه إلى إشارات التحذير . " ربما انك قد فرضت هذا الزواج على كلينا ولكنك لن تستطيع إجباري على قبول تعاليك ! "

" قال بصوت هادئ - " لم استخدم معك القوة ابدا . وهنا يكمن الخطر الحقيقي . " وهذا خطئي . كان من الواجب أن اعرفك منذ البداية من هو السيد. "

اتخذت " جان " خطوة لا إرادية إلى الخلف عندما مد يده ليمسك بها ولكن اوان تلافي إمساك تلك الاصابع النحيلة بمقدم ثوبها كان قد ولى تلا ذلك صوت تمزق النسيج الثمين الذي صنع منه الثوب عندما

انهارت حياكته الجانبية وخلعت الحمالتان الكتفيتان الرفيعتان وهوى الثوب إلى الأرض .

جذب " فيليب " " جان " إليه ليحملها بين ذراعيه طابعا قبلة ضارية على فمها.

كانت مذهولة إلى حد لم يسمح لها بالمقاومة ، وإن كانت تشك في انه كان من الممكن التغلب على كل قوته هذه . كان يؤلمها باكثر من أسلوب إذ حملته شدة غضبه على تجاوز كل حدود الاعتبارات .

عندما طرحها إلى الفراش بقيت هناك مثل قطعة من الخشب بينما كان يخلع ثيابه . تذكرت عندما رات تعبيرات وجهه القاسية اول مرة مارس فيها الحب معها . تذكرت طول الأناة والرقة التي اظهرهما لكن الآن واضح انه لا يابه بمشاعرها .

- " همست ترجوه رغما عن إرادتها . لا . " ليس هكذا ..! "

لم تتغير تعبيرات وجهه وبدت الحياة مرة اخرى في اطرافها ، اخذت تضرب الكتفين العريضتين بقبضتيها وهي تتلوى تفاديا للتعذيب الذي كان يوقعه بها . امسك بمعصميها وثبتهما تحت الوسادة على كلاجانبي راسها فاصبحت لاحول لها ولا قوة ، ولا تستطيع ان تحرك عضلة واحدة .

وانتهى كل شيء سريعا . جف حلقها وبقيت حيث تركها .. " ساباتين " هي المسؤولة عن ذلك كله - هكذا رات - لان " فيليب " يستعملها كوسيلة لتحرير رغباته المكبوتة .. هذا كل مافي الامر .. وما عداه ليس إلا مجرد عذر .

- " إني امقتك . " قالت هامسة بصدق إحساس عميق . " إنك حقير ! "

- " انا زوجك . " قال بصوت اجش " ولن اسمح لك بان تتحديني ! "

- " وكان من المفروض ان يحملني ذلك على احترامك ؟ " دوت منها ضحكة منفرة " .

" مازال امامك الكثير مما يجب ان تتعلمه عن النساء الإنجليزيات ! "

مرت عدة لحظات قبل ان يجيبها على ذلك وعندما فعل كان بنبرة هادئة للغاية:

- " يبدو ان كلينا عليه ان يتعلم الكثير . ومع ذلك لنتعلمه لئلا يكون هناك تغيير في هذا الوضع . "

تساءلت " جان " بمرارة "هل يغير رايه إذا ما اخفقت في تنفيذ

التزاماتها بموجب التعاقد " . لانه لا شيء آخر يربط بينهما ... بل لا شيء آخر أصبح يربط بينهما ...

الفصل الثامن

كانت حلبة مصارعة الثيران أصغر مما توقعت . تحفها الجدران البيضاء التي تخللتها في أماكن متفرقة إلى داخلها الملتجأ الخشبية التي توفر الحماية اللازمة عند الحاجة .

كان الحكم على الثيران الصغيرة السن - التي أطلقت من حظائرها واحدا تلو الآخر لتواجه رجالاً على صهوات جياد مسرعة - يتم على أساس مدى تجاوب كل منها لهذا التحدي على الا يستبقى منها سوى تلك التي تبدي مستوى لائقا من الجراة والحماس ، ويجنب ماعداها لأغراض التسمين وإنتاج اللحوم .

- " قالت " جان " لنفسها : " كلا المسارين ينتهي إلى ذات المصير .

سالت " دومينجو " الذي جلس يتابع الإجراءات بين ضيوفه .

- " لماذا يجرى الاختبار من فوق صهوات الجياد ؟ "

أجابها : - " لأن الثور الذي يشترك به في المصارعة يجب الا يكون بصره قد وقع على رجل مرتجل حتى لحظة بدء المصارعة " و" هذا هو سبب اندفاع الثور نحو الكاب لأن الكاب يتحرك . " القى إليها بنظرة وقد توترت ملامحه الأرستقراطية قليلا : " الم يصطحبك " فيليب " بعد لمشاهدة المصارعة ؟ "

ابتلعت " جان " التعليق الذي اوشكت أن تتفوه به .. و"دومينجو " مضيفها فمن غير اللائق أن تقول اي شيء تعبر به عن وجهة نظرها على مسمع منه .

- " لم يتوفر لنا الوقت بعد . " .

- " لا . " حملت نظرته إليها هذه المرة معاني الاستحسان " تتعلمين التكيف على أساليب حياتنا ؟ "

قالت بابتسامة متوترة .

- " بعضها .. "

- " ليس من اليسير أبدا على شخصين ينتميان إلى حضارتين مختلفين التفاهم الصادق . " " عليك بتدريب نفسك على قوة الاحتمال "

ربما كان من حسن الحظ انه لم يتح لها فرصة الإجابة عن هذا الرأي إذ التفت يرد على تعليق أبداه الجالس على جانبه الآخر . اتجه نظر " جان " إلى الحلبة حيث جدت مطاردة آخر الثيران الصغيرة ليعود إلى حظيرته . الحديث عن قوة الاحتمال شيء جميل ، لكن ماحدث الليلة الماضية قد فاق كل الحدود . تعامل " فيليب " معها طوال الفترة الصباحية بأدب بالغ الفتور كما لو كانت هي التي قد اخطات في حقه وليس العكس . حتى إنه كان يتجنبها الآن واقفا عن بعد مع رجلين آخرين . لم تكن " ساباتين " إلى جواره في هذه اللحظة على الاقل ، وهذا لا يعني بالتاكيد انه غير مرحب بصحبتها !

مرت لحظة هدوء بعد ما تم إخلاء الحلبة بالكامل . وساد جو من التوقع جمهور الحاضرين عندما فتح الباب المؤدي إلى حظائر الثيران مرة أخرى . ورغم صغر حجم الحيوان الذي اندفع إلى الحلبة بالمقارنة بمقاييس المصارعة. إلا انه بدا خطيرا بدرجة كافية بلونه الأسود الداكن . توقف يوازن نفسه مؤرجحا راسه من احد الجانبين إلى الآخر لاشتمامه روائح الحاضرين المختلطة وقد تقوس قرناه إلى حافة في مثل حدة الشفرة .

كان " فيليب " قد غاب عن بصرها برهة وقفز قلبها رعبا عندما راته يدخل الحلبة من الجانب البعيد وبيده " موليتا " يلوح بها . على الرغم مما قاله كله لم تتوقع أبدا أن يقدم على ذلك بالفعل . بدا نحيلا رشيقا في الزي الأسود المكون من بنطلون وقميص. هب نسيم رقيق ازاح الكاب القرمزي فكشف عن البطانة الصفراء له .

ذكر لها " دومينجو " في وقت سابق أن جميع الماشية لا ترى الالوان وأن من شانها أن تهاجم أحد وجهي " الكاب " الآخر . بدا أن الثور لم يكن منتبها حتى هذه اللحظة .

خشيت " جان " عندما شاهدت المصارع يتقدم إلى الأمام بجراة ملوحا بالكاب الذي بيده - أنه يفتقر إلى الحنكة والحذر . اطلق الحيوان صوتا عاليا ضاربا الأرض بظلفه ثم انطلق في حركة مفاجئة مخيفة يخترق الحلبة بكل السرعة والهدف الراعد كما يحدث من قطار سريع .

بدت المهارة والرشاقة التي وجه " فيليب " الثور بها بعيدا عن جسده امرا معجزا لا اقل . لابد ان طرف القرن لم يبعد عن فخذه إلا بمقدار ملليمترات معدودة ! ادى في اللحظات التالية عدة نقلات اجتذبت كل منها هتافات وصيحات التشجيع من جمهور المشاهدين - وكانت " ساباتين " متهللة حتى إنه كان من الممكن ان يظن المرء - هكذا اعتقدت " جان " - انها المعنية بهذه التهاني لا " فيليب " بينما كانت " جان " الوحيدة من بين الحاضرين التي كاد يغشى عليها خوفا مما قد يحدث لو انزلقت قدمه فجاة ، او احدث خطا ما . هذان القرنان كفيلان بان ينزعا احشاء اي رجل بمثل سهولة تقطيع كعكة !

وكان ارتياحها عظيما عندما قفز اخيرا ليحتمي خلف إحدى الملتجات الخشبية ، استطاعت لاول مرة منذ عدة دقائق ان تتنفس بعمق . عندما التفت الثور من تلك النقلة الاخيرة فوجد غريمه قد اختفى ، بدا يجوب الحلقة مطلقا خوار التحدي .

- " من ينزل بعده ؟ " .

سال احدهم بصوت عال جعل الضحكات والتعليقات البذيئة تجيب عن سؤاله .

قوبل ظهور " فيليب " بين الحاضرين مرة اخرى بنوبة جديدة من التصفيق الحاد . تمالكت " جان " نفسها حتى لا تتاثر عندما وضعت " ساباتين " ذراعا تملكية في ذراعه وابتسمت في عينيه قائلة بصوت عال :

- " المصارع الشجاع ! " ثم اضافت شيئا بصوت خافت جعل شفتيه تميلان فجاة .

اتجهت الانظار إلى " جان " التي كانت لاتزال واقفة في نفس المكان . بدا وجه " فيليب " وكانه منحوت من الصخر لا تعبير عليه .

- اداء مبدع . " قالت " جان " بفم متوتر .

حملت إيماءة ذلك الراس الأسود اكثر من لمحة من السخرية اللاذعة

- " إنني على قيد الحياة لاصارع مرة اخرى يوما ما . "

اعلنت " كارلوتا " اثناء فترة الصمت الموجزة - " نعود الآن إلى المنزل لتناول الغداء . " " هيا بنا . "

اتجهت " جان " لتسير ضمن الحركة العامة للجمهور ، وشعرت بقلبها يقفز فجاة عندما هبطت يد " فيليب " على كتفها .. شعرت

بالغضب يستولي عليه .

- " الم تعلمك الليلة الماضية شيئا من الدبلوماسية ؟ " سالها بصوت خافت واجابته دون ان تنظر إليه :

- " اهذا ما كان من المفروض ان تعلمني إياه ؟ "

كاد تنهده لا يسمع :

- " انت التي تدفعينني إلى هذه التصرفات . "

- " لانني ارفض ان اسمح لك بان تملي علي جميع تصرفاتي ؟ " من حيث اتيت يكتسب الاحترام ولا يؤخذ ماخذ الحق . ثم إن نزولك الحلبة مع ذلك الثور لم يؤكد رجولتك على الاقل ليس في نظري . اشعر بمزيد من الاحترام نحو من لم يحذ حذوك . " ثم اضافت بدافع من الكراهية وحدها " مثل " لويس " على سبيل المثال . واضح انه لا يشعر بحاجة إلى ان يؤكد ذاته . "

كان الآخرون قد وصلوا إلى اسطول السيارات الصغير الذي كان قد اقلهم من المنزل . احكم " فيليب " قبضته على كتفها إلى حد الإيلام لحظة ثم خففها دون ان ينزع يده من كتفها . " لم ابدا بعد إثبات ذاتي. " قال بحدة وهو يدفعها نحو الامام " خذي حذرك " .

كان الغداء غير رسمي ، قدم في الهواء الطلق واوى بعض الحاضرين في فترة القيلولة إلى حجراتهم لقضائها بين الهدوء والراحة تاركين من سواهم يمضون الوقت وهم يتجاذبون اطراف الحديث . فضلت " جان " ان تذهب إلى حجرتها لان البقاء كان مجهدا لها إلى حد بعيد .

استلقت فوق الفراش في الرطوبة المعتمة تتناقش مع نفسها مستقبلا لا ضمان فيه . لم يكن تهديد " فيليب " لها غير جاد ولن يقنع إلا بإخضاعها له تماما . ربما اقتنعت تحت ظروف مختلفة بان تتقبل اراءه إلى حد ما . لكن رغم كل شيء كانت لاتزال تكن له بعض المشاعر وإن لم تكن من العمق بحيث تبرر هذه التضحية من جانبها . سوف تقاوم وستظل تقاوم كي تحتفظ بشخصيتها المستقلة .او تتركه .. كانت الفكرة .. الآن بينما لاتزال الفرصة متاحة .. هل هي متاحة بالفعل ؟ ربما حدث الحمل الليلة الماضية على حد علمها . حتى لو ، لم يحدث فلن يسمح " فيليب " لها بان تنسحب من الموضوع برمته . لن يسمح على الاقل حتى يفقد كل امل في الوصول إلى هدفه من خلالها .

لم تستطع أن تظل مستلقية في الفراش بعد الرابعة . ومن ناحية أخرى لم تتوفر لديها الرغبة بعد في أن تنضم إلى المجموعة بالطابق السفلي مرة أخرى . خرجت إلى الشرفة وسعدت أن وجدتها خالية كما كان الفناء من أسفل.

كانت حرارة الجو قد بدأت تنخفض . استنشقت نفسا عميقا أدركت فيه رائحة الرياحين التي امتلأت بها الأحواض المحيطة بالمكان .

ترامى إلى مسامعها صوت مقعد يجذب فوق الحجر تحت قدميها تقريبا تبعه صرير إعادة أحد الأكواب إلى منضدة ذات سطح رخامي جلس من كان هناك - أيا كان - تحت المظلة التي كونتها الشرفة بعيدا عن رؤية الناظر من فوق إلا أن الصوت عندما جاء كان واضحا بدرجة كافية .. سمعت " فيليب " يقول بالإسبانية بنبرة متحفظة :

- " لا فائدة من الندم . "

- " لم يفت الأوان بعد . " كان هذا صوت "ساباتين" الذي تعمدت أن يكون خافتا إلى الحد الذي جعل من الصعب على "جان" أن تسمع كلماتها بوضوح . " إذا تخلصت منها فسوف أنجب لك الطفل بنفسي . "

ساد الصمت برهة . وعندما تحدث " فيليب " كان صوته فاترا خاليا من المشاعر .

- " ليست لديك الرغبة في أن تحملي طفلا . "

كادت " جان " - في إصغائها وسكونها حيث كانت - تشعر بهزة كتفي "ساباتين":

- " ربما تسرعت جدا في اتخاذ ذلك القرار مع أنه لم يكن ليكلفني سوى بضعة أشهر من المتاعب . " رق صوتها مرة أخرى وأضافت بنبرة مثيرة " لقد خلق كل منا للآخر يا " فيليب " وأنت تعرف ذلك . لن يكون باستطاعتها أبدا أن تكون الزوجة التي أنت بحاجة إليها . "

لم تبق " جان " لتسمع المزيد . تحركت بهدوء عائدة إلى حجرتها .

الارتياب في مشاعر " فيليب " نحو " ساباتين " كان شيئا ، لكن سماعها تأكيده ذلك بنفسه أمر مختلف تماما . لو كان قد تمهل قليلا لحصل على مايريده . رغم افتقار " ساباتين " إلى غرائز الأمومة الحقيقية البادي حتى هذه اللحظة ، من ذا الذي يستطيع أن يقطع بأنها لن تهتم بطفلها بعد ولادته ؟ وبفرض عدم اهتمامها بالطفل فهل كان ذلك يقلق " فيليب " ؟

هذه جميعها أسئلة افتراضية لم تجد عندها الإجابة عنها . فقد تزوجها "فيليب" وهذا واقع لا مفر منه . حتى لو استجاب إلى توسلات " ساباتين " وتخلص منها فإن ذلك لا ينهي الزواج . وإذ لم تكن لديها أدنى فكرة عن القانون الإسباني فيما يتعلق بالطلاق . لم تعرف كم من الزمن من الممكن أن تستغرق إجراءاته . إلا أنها كانت واثقة على الأقل من أنها لا تتم على الفور .

كانت قد استبدلت البنطلون والقميص اللذين كانت قد ارتدتهما ذلك الصباح "بجونلة" من الكتان و " بلوزة " مناسبة عندما ظهر " فيليب " أخيرا في حوالي الخامسة .

سأل وهو يتفحص وجهها - " هل نمت ؟ " " تبدين متعبة . "

- " حلمت بالبيت . " لم أضافت بعدم اكتراث " ببيتي أنا لا بيتك . "

- " هذا هو بيتك الآن . " أضاف بنبرة حادة " يجب أن تنسي ذلك الأخر . "

التفتت إليه عندئذ بعينين متقدتين :

- " لا أستطيع التحكم في أفكاري - ولا حتى مشاعري . إنني أحتقرك يا "فيليب" ! لأنك عديم الشرف . "

ابيضت العضلات حول فمه ووضع قبضتيه على كلا جانبيه . بدا لحظة وكأنه يوشك أن يضربها . ولكنه ضبط أعصابه بجهد واضح وأجاب برقة :

- " ربما أستحق ذلك إلى حد ما ، لذلك لن أحاسبك عليه . "

دخل حجرة الاستحمام وأغلق الباب من خلفه قبل أن تستطيع "جان" أن تتحرك . كانت تعتزم مواجهته بالحوار الذي استرقت السمع إليه. ولكن الكلمات لم تسعفها .. وأي فرق يمكن أن تتوصل إليه من ذلك على أي حال ؟ لم تكن واهمة إلى أي حد فيما يتعلق بدورها في حياته.

غادرا المزرعة في الرابعة من بعد ظهر اليوم التالي وسعدت " جان " أثناء ابتعادهما بالسيارة بمشاهدتها البعد الخلفي لذلك المكان .

ستتحرر على أدنى تقدير من تلك العيون التي دابت على مراقبتها وذلك الجهد المطلوب للإبقاء على هدوئها المعتاد .

لم يبذل " فيليب " محاولة للاقتراب منها الليلة الماضية . ابتعد مرة أخرى تحتويه أفكاره . ودعته " ساباتين " سرا أو هكذا ظنت " جان " لم يكن هناك أثر لوجودها عند رحيلهما مع أن " لويس " كان على مرأى

منهما . لم تكن "جان" واثقة من أن " فيليب " لم يقل له شيئا لأنه كان واضحا أنه يتجنبها .

غير أن منظر مجموعة من الشبان جلسوا فوق رقعة غنية بالعشب داخل أحد الأسوار يفترشون أغطية الرحلة بألوانها الزرقاء والبيضاء اضطر "فيليب" إلى أن يوقف السيارة فجاة ، وبحدة وسط سحابة من الغبار عندما استخدم المكابح غريزيا .

غادر السيارة قبل أن تتمكن " جان " من تحريك ساكن واتجه مسرعا نحو السياج ليقول بصوت مرتفع شيئا لم تتمكن من سماعه . رفع أحد الشباب يده في مرح إلى " فيليب " وهو يقول بالإسبانية :

- " لا افهم ما تقول " . جاء ذلك بنبرة اوضحت أن تلك المجموعة كانت من الأجانب .

مما حدا بـ " فيليب " أن يعيد ماقال باللغة الإنجليزية :

- " إنني اتساءل عما إذا كنتم قد نظرتم جيدا إلى ماتحت هذه الأشجار قبل أن تتسلقوا السياج . "

- " آه .. هل تعني ذلك الرفيق الذي يقضي قيلولته في ظل الأشجار؟" بدا في نبرته عدم الاهتمام . "إننا لانسبب له مضايقة من اي نوع" .

- " واضح أنه لا يابه بوجودكم حتى هذه اللحظة . " أجاب " فيليب " بنبرة جافة " لكن عندما تشرعون في جمع متعلقاتكم ربما اختلف الوضع ... انصح بان تتركوا السلة والأغطية وأن تهربوا من هنا طالما انه مازال يمكنكم ذلك . "

- " لا ! " قالت إحدى الفتاتين اللتين في المجموعة بنبرة ساخرة " إنك تحاول أن تخيفنا فقط . أليس كذلك ؟ لم يتحرك هذا الحيوان على مدى نصف الساعة الماضي ! "

- " ومع ذلك " اضافت زميلتها بنظرة عصبية مفاجئة إلى موضوع المناقشة "أرى أن نجمع اشياءنا ونمضي . لاننا ربما نكون منتهكين نظاما ما على اي حال . "

" قال " فيليب " وقد بدا صبره ينفد" : " الأمر لا يحتمل " ربما " إذا هاجمكم الثور فلن يكون ذلك راجعا إلا لخطئكم . "

لكن الفتاة الأخرى ضحكت قائلة :

- " ليس له من القوة ما يمكنه من أن يهاجم شيئا . هذا أمر واضح للجميع! "

وقفزت مسرعة لتلتقط قطعة النسيج المفترشة غير آبهة بما تبقى من مهمات الرحلة المتناثرة حولها . بسطت ذراعها تحرك النسيج في اتجاه الثور محاكية مصارع الثيران باسلوب تهكمي وهي تصرخ : " هيا إذن " .

رأت " جان " من خارج السيارة التي كانت قد غادرتها تلك الكتلة الضخمة تتحرك فجاة في صحوة مفاجئة مخيفة . منذ لحظة فقط كان ذلك الحيوان واقفا هناك بهدوء وفي اللحظة التالية اندفع إلى الساحة الخالية مرعدا وقرناه يومضان في ضوء الشمس مثل جناحي الشيطان . رأت "فيليب" فوق السياج بما يشبه القفزة الواحدة ثم شاهدته يعدو مسرعا ليختطف قطعة القماش من بين يدي الفتاة .

قال صارخا :

- " اخرجوا من هنا جميعا ! على الفور ! "

لم يتوقف واحد من الرفاق الأربعة ليلتقط شيئا مما كان على الأرض.

راقبت " جان " - ويدها على فمها - الثور يهاجم الرجل الذي لم يزل يستعمل قطعة النسيج ذات اللونين الأزرق والأبيض في مواجهته . كان يسحب الثور بهذه الحركة بعيدا عن مجموعة الشباب ليتيح لهم فرصة تسلق السياج والوصول إلى الأمان .. لكن كيف يتاتى له أن يخرج من هناك دون أن يصيبه أذى ؟ لم يكن هناك حتى ذلك الملتجا الخشبي الذي يحتمي خلفه .

كانت التقلة الأولى عن قرب شديد حتى بدا أن الرجل والثور قد تلاحما . بلغ حجم هذا الحيوان ضعف ذلك الثور ذي العامين الذي كان " فيليب " قد صارعه في اليوم السابق وكان يوحي بخطورة مضاعفة أيضا بالنظر إلى السرعة الوحشية الصارخة التي ارتسم بها انعطافه وهجومه المتجدد . حبست " جان " انفاسها بينما انحدر الراس الضخم بضراوة نحو اليمين . إلا أن "فيليب" تمكن بحركة معجزة من تلافي اختراق القرن جسده موجها الحيوان بعيدا عنه ليلقي بقطعة النسيج على الفور ويقفز إلى السياج قبل أن يتمكن الثور من الاتجاه مرة أخرى نحوه . فعل ذلك قبل الهجوم الحاسم بما لا يزيد على ثوان معدودة قافزا على ارتفاع خمسة أقدام ليستقر بقوة كادمة على الجانب الآخر من السياج وسط الغبار المتصاعد في الطريق الضيق

نخر الثور غيظا واخذ يضرب السياج بقوة لمجرد العرض فقط لأن

منتهكي حرماتمملكته كانوا قد غادروها تاركينها تحت سيطرته مرة أخرى ومع ذلك بقي الثور حيث كان يضرب الأرض باظلافه ويحملق متحديا إياهم محاولا ذلك مرة أخرى .

بدا الجزع على السائحين الأربعة .

- " شكرا لك " قال الشاب الثاني بصوت أجش " كل مافي الامر اننا لم نتبين ان هناك خطرا يهددنا . "

قالت الفتاة المتشبثة بذراعه وهي ترمق " فيليب " بنظرات الإعجاب

- " لقد كنت مدهشا . " " هل انت مصارع ؟ "

تجاهل السؤال إذ كان يتنفس بصعوبة من اثار الإجهاد :

- " يجب الافترضوا شيئا فيما يتعلق بالتعامل مع الحيوانات . لان لها شفرة التوازن الخاصة بها . "

- " وماذا عن متعلقاتنا ؟ " سالت الفتاة التي كانت قد اهاجت الثور بنبرة منكسرة حتى السلة ليست ملكا لنا . "

أجابها زميلها نيابة عن الجميع :

- " إذا اردت ان تعودي إلى هناك لإحضارها فعليك ان تفعلي ذلك على الفور علينا ان ناتي بغيرها هذا كل مافي الامر . لحسن الحظ اننا قد تركنا امتعتنا في السيارة .

عاد " فيليب " إلى حيث كانت " جان " واقفة ، وقد خلا وجهه من كل تعبير وهو يلتقي بعينيها . انزلقت إلى مقعدها ولاتزال الصدمة التي اصابتها من جراء سرعة الأحداث تسيطر عليها ، فلم تستطع إبداء اية ملاحظة او تعليق . بينما بدات سيارتهما تسير ، كان الرباعي الذي كتب له النجاة يستقلون سيارتهم تاركين وراءهم السلة وقطعة النسيج وكل ما تبقى من وجبتهم لذلك الحارس الذي لم يزل واقفا لحماية السياج .

قالت " جان " بعد فترة من الصمت " - " اتصور " أن اكتشاف تلك الأشياء المتبقية هناك سيكون مثارا للرعب . "

أجاب " فيليب " بنبرة كئيبة :

- " لو صاحبتها اربعة اجساد لكان الرعب اعظم . " " سوف يظن ان شخصا ما قد اسعده الحظ بالهرب . ليست هذه بالمرة الأولى التي يخطئ فيها السياح اختيار اماكن التنزه . خاصة وان مراعي "موريللو " تجتنب الجماعات المارة بها بسبب قربها من الساحل . "

قالت " جان :

- " هناك الكثير من الأراضي غير المسيجة . " " من المفروض ان يكون لهم من حسن التفكير ما يملي عليهم الا يقتحموا سواها ! "

- " اي نوع من الحواجز هو بمثابة التحدي لبعض العقليات . " ضغط شفتيه بشدة " ربما فكروا جيدا في المرة التالية . "

صمت تماما بعد ما قال ذلك . استرقت " جان " النظر إليه بين الحين والآخر فلاحظت تصلب إحدى عضلات فكه . هل هذا ما سيكون عليه الحال بينهما من الآن فصاعدا ؟ أم ان توقه إلى المراة التي فارقها منذ وقت قصير شديد إلى الحد الذي لا يمكنه معه الاستمرار في التظاهر ؟

قالت اخيرا متلمسة اي حديث تغير به جو الرحلة " - " كنت جسورا إلى اقصى الحدود هناك . " هذا الحيوان اشد شراسة من ذلك الذي صارعته امس . "

اجاب بنبرة جافة :

- " لانه اكبر سنا . " " وعلى ذلك اسرع ثورة . كان من الضروري ان افعل شيئا . ولم يكن هناك وقت للخوف . "

فاجابت بصوت رقيق :

- " لا اعتقد انك تعرف معنى الخوف . "

- " لانني احاول ان امتحن نفسي بوسائل لا تفهمينها ؟ " هز كتفيه " فضلت ان ترى الأمر بما يمكن ان تطلقي عليه " الاستعراض " على ما اعتقد " القى بنظرة في اتجاهها عندما لم تتمكن من الرد وعلى فمه تعبير تهكمي " الم تفعلي ذلك ؟ "

اجابت بنبرة حادة :

- " إذا كنت تريد ان تعرف حقا - نعم إذن اعتقد انني فعلت ذلك . "

" كان من الممكن ان تلقى مصرعك ! "

- " ماذا كان يعود عليك من وراء ذلك ؟ هل هذا ما كان يقلقك ؟ "

قالت نافية قوله بشدة :

- " لا " لا يهمني ابدا ان اكون ارملة لك . لا اريد شيئا مما لك ! "

- " موقف لا عقلاني لكنه لا اكثر مما اتوقع منك . كبرياؤك في غير موضعها يا حبيبتي . "

لم يكن قد خاطبها بلفظ التدليل هذا منذ مدة طويلة . كانت مقتنعة بان ذلك مالم يكن يعنيه الآن ..

- بدأت تجيب :

" كبريائي - " ثم توقفت فجأة عندما رأت علامات الألم تلوح في ملامحه . "فيليب" ؟ هل أصبت ؟ "

قال نافيا :

- " إنه لاشيء . " مجرد خدش . "

مرت ببصرها على الجانب المجاور لها من جسده لترى المزق الذي في بنطلونه والرقعة المعتمة الآخذة في الاتساع فوق فخذه .

- " إنه أكثر من مجرد خدش : لماذا لم تخبرني ؟ "

تجعدت شفتاه :

- " وما الموجب ؟ ساجعل " دكتور فالديس " يلقي نظرة عليه عندما نعود . "

- " بهذا المعدل من النزف لا يمكن الانتظار حتى نعود ! " خلعت جان " السترة البيضاء التي كانت ترتديها وطوتها على هيئة ضمادة سميكة ضغطت بها على المنطقة كلها . " تشيكلانا " أقرب . ولابد أن يكون بها طبيب . "

- " إنك تهولين الموضوع . "

- " حسنا إذن . امنحني فرصة التدخل مرة واحدة . " قالت بتصميم على ألا تخضع لرأيه في ذلك . " لا خطأ في توخي الأمان . "

تنهد لما يفيد الخضوع لرغبتها :

- " طالما أنك مصممة على ذلك . "

- " إنني مصممة بالفعل . " قالت ثم أضافت مسرعة " من الأفضل أيضا أن أتولى قيادة السيارة حتى تتمكن من الضغط على الجرح بنفسك . "

بدأت السترة تتحول إلى اللون القرمزي . تحرك " فيليب " من جلسته ضاغطا مرة أخرى على فكه لحظة :

قالت بنبرة مرحة :

- " لدي مواهب لم أكتشفها أنا نفسي بعد " ولم تخبره بأنها قد اجتازت اختبار القيادة في إنجلترا قبل مجيئها ببضعة أيام . كلما استخدم ساقه تدفقت الدماء من الجرح . كانت تعلم من فن قيادة

السيارات ما يمكنها من الاحتفاظ بالسيارة على الطريق على أقل تقدير .

ثم تبادلا المقعدين دون مامعوقات . اللهم إلا أن السترة قد تشبعت بالدماء تماما . وقبل تشغيل السيارة مرة أخرى بحثت " جان " في حقيبتها وأخرجت "الروب" الوبري الذي ترتديه عادة فوق ثوب السباحة والذي كانت قد أحضرته معها عندما عرفت أن بالمزرعة حماماً للسباحة .

لم يعترض " فيليب " عندما أعطته له ليضغط به على الجرح .

قال بنبرة حزينة :

- " أعتقد . " " أن سترتك قد تلفت تماما . "

- " بإمكانك دائما أن تشتري لي غيرها . " أجابت وهي تجلس خلف عجلة القيادة بدعاء صامت أن تستطيع التعامل مع تلك السيارة غير المألوفة لها أدارت المفتاح في المشعلة . كانت عملية نقل الحركة أوتوماتيكية . حمدا لله

كانت مسافة نصف الميل الأولى أسوأ ما في الطريق .

بدأت تعتاد السيارة عندما بلغا الطريق الساحلي الرئيسي . غار قلبها مثل حجر ثقيل عندما أبصرت كثافة المرور المتجه إلى " كانيز " ولم يكن هناك شيء آخر يثير قلقها . على الأقل لم تكن مضطرة إلى أن تخترق المسار بالجانب القريب من هذا البلد كي تتجه يمينا .

تحينت الفرصة وسارت تزيد من سرعتها لتساير السيارة التي أمامها . كانت " تشيكلانا " على بعد كيلومترات قليلة أمامها لا يتطلب قطعها أكثر من خمس عشرة دقيقة . أسند " فيليب " رأسه على المسند وأغمض عينيه . شكلت ذرات العرق ما يشبه الغشاء فوق شفته العليا. شد المشهد تفكيرها .. لا تمت.. أرجوك لا تمت ! هكذا تدافعت الأفكار في ذهنها ..

ضمت البلدة التي تحفهامزارع أشجار الزيتون وكروم العنب واحدة من أكبر الكنائس التي يرجع تاريخها إلى القرن الثامن عشر . وكان في أحد الشوارع الضيقة الواقعة خلفها . لم يكن هناك بالتأكيد في مثل هذه الساعة من بعد ظهر الأحد مجال لإجراء العمليات الجراحية إلا أن

الطبيب المسؤول كان يقيم في المنزل المجاور تماما لمقر عمله . لم تبدأ تشعر بالهدوء إلا بعد أن تأكدت من أنه موجود بالمنزل وعلى استعداد لمعالجة المريض .

كانت الجراحة طبقا للمقاييس البريطانية بالغة الخطورة ، ولكن الجرح كان على درجة عالية من النظافة . استلقى " فيليب " كارها فوق نضد الفحص الموجود باحد اركان الحجرة .

كان بنطلونه البني قد غرق في الدماء في المنطقة ما بين مفصل الفخذ والركبة ولم يستاهل الاحتفاظ به . لم يضيع دكتور "مندوزا" وقتا في الاستعانة بالمقص ليفتح ذلك الجانب من البنطلون حتى اخره.

لم تستطع "جان" - التي وقفت على الجانب الآخر من نضد الفحص تراقب مايجري - كبح تعجبها عندما رات حجم الجرح الذي بلغ طوله حوالي ست بوصات امتدت من اسفل الاربية بمقدار بوصة واحدة إلى مقدمة الفخذ وتدفقت الدماء منه مع كل شهيق اخذه " فيليب "

قال الطبيب موجها " جان " إلى بقعة باعلى الفخذ من الداخل .

- " اضغطي هنا براحة يدك . " " يجب أن آتي بالادوات اللازمة . "

بدا وجه " فيليب " رمادي اللون وضحت فيه الخطوط عميقة ولكنه كان لايزال بمقدوره أن يرفع حاجبا ساخرا عندما شعر بضغط يدها :

- " ليس ثمة شيء تخشينه مني الآن . لانني معقل كما ترين . "

- " صه " اجابته ثائرة خشية ان يفهم الطبيب الإنجليزية . " ليس هذا المكان ولا الزمان ! "

عاد الرجل حاملا طبقا كلوي الشكل به كل الادوات اللازمة واستبدل قبضة "جان" بضاغط لوقف النزف . وقفت بعيدا بينما جرى تطهير الجرح وضمه من الغرز .

سال الطبيب :

- " اين كنت تصارع الثور الذي احدث بك ذلك ؟ " .

سالت " جان " عندما لم تات إجابة سريعة من " فيليب " .

- " وكيف عرفت انه جرح ثور ؟ "

ابتسم الطبيب بإيجاز :

- " لانني رايت عدداً كبيراً من مثل هذه الجروح . زوجك سعيد الحظ

لانه استطاع تلافي ماهو اخطر من ذلك بكثير . "

اجاب " فيليب " بعد برهة قصيرة .

- " لست محترفا . " " كان هذا حادثا . "

اسند راسه إلى الخلف عندئذ كما لو كانت تلك الكلمات القليلة قد ارهقته تاركا لـ"جان" مهمة إيضاح ماقد حدث .

قال الطبيب مبديا رايه بعد أن انتهت من سرد وقائع الحادث .

- " كان من الواجب أن يتركوا ليجنوا ثمار حماقتهم . " ثبت العقدة الأخيرة وانتصب متنهدا . " هذا افضل ما يمكنني عمله . يجب الاحتياط حتى لا يفتح الجرح مرة اخرى "

بذل " فيليب " محاولة كي يجلس معتدلا لكن وجهه ازداد شحوبا عندما فعل ذلك .. وهز الطبيب راسه :

- " لقد فقدت قدرا كبيرا من دمك ، لذا يلزم أن ينقل إليك قدر منه . "

سالته " جان " على الفور :

- " هل يمكنك عمل ذلك هنا ؟ "

- " لدي الجهاز لا الدم نفسه ، يجب أن تتوجها إلى المستشفى "

قال ذلك ونظر خلفه إلى حيث كان مريضه لايزال جالسا على حافة نضد الفحص يقاوم الدوار الذي كان يهدد بان يفقده وعيه " هل تعلم فصيلة دمك ؟ "

اجاب ببطء شديد .

- " " A " سلبي . "

- " من المجموعات النادرة . " قال الطبيب بنبرة تنم عن القلق . " من غير المتوقع ان تجده متاحا في غير " سيفيل " .

كادت " جان " لا تستطيع النطق لكنها قالت بصعوبة :

- " انا ايضا " A " سلبي . "

نظر الرجلان كل إلى الآخر وكان الطبيب اول من تحدث:

- " هل انت واثقة من ذلك تماما ؟ "

- " نعم لقد تبرعت منذ عامين وتسلمت بطاقة لأحملها معي دائما . "

كانت لاتزال غير مصدقة هذه المصادفة . " والتحاليل التي اجريت لي في الفحص الطبي اثبتت أن دمي سليم . ما رايك في نقل دم مباشرة ؟ "

أجاب الطبيب :

- " لا مشكلة في ذلك ؟ " " وإن كنت لا اسمح بما يزيد على الكم القياسي بالتاكيد ثم التفت إلى " فيليب " قائلا : سوف تشعر ببعض التوازن خلال ايام قلائل . "

كانت نظرات " فيليب " مركزة على " جان " بينما كانت تعبيراته غامضة :

- " ليس هناك ما يضطرك إلى أن تفعلي ذلك . " قال .

ونظرت إليه بإصرار قائلة :

- " إنه ضروري . "

ونظرا لعدم وجود اريكة اخرى جلست " جان " على مقعد بجانبه حيث أوصل دكتور " مندوزا " الجهاز بمهارة فائقة بعد عملية تعقيم متقنة . راقبت " جان " الدم يتدفق منها خلال الانابيب الشفافة واخذت تتابعه ببصرها حتى نقطة اختفائه تحت الضمادة المثبتة للإبرة بذراع " فيليب " . شعرت بإحساس غير عادي كما لو كان بعضا من حيويتها يسحب من داخلها .

التفت إليها " فيليب " قائلا بهدوء :

- " إنني مدين لك بالكثير يا " جانيتا " . لولا إصرارك على المجيء بي إلى هنا لعانيت نتائج اخطر من ذلك بكثير - ولن اقول شيئا عن هذا . "

كان العرفان بالجميل آخر ما ارادته منه لكنه كما يبدو كل ما سوف تحصل عليه . قست قلبها إزاء بصيص الالم :

- " لا شيء اكثر مما كنت افعله من اجل اي إنسان . " قالت بنبرة خالية من المشاعر . " لحسن الحظ ان دمنا من ذات الفصيلة . "

انفرجت شفتاه قليلا وهو يقول :

- " قال " فاليس " إنه احتمال بنسبة واحد في المليون . "

- " كنت تعرف ؟ "

- " بالتاكيد . لانه اعطاني نتائج جميع التحاليل والاختبارات التي اجراها . "

تركزت عيناه على وجهها مثل مرآتين توهجتين رات صورتها فيهما . " الفجر يعزون ذلك إلى القدر .

الفجر .. قالت محدثة نفسها بمرارة .. لم يعرفوا شيئا عما تحدثوا عنه حياة طويلة معا في رضا عند نهايتها . كم كان المرء معرضا للخطا ربما اصبحت يوما ما ام ولده لكن ذلك سيكون كل ما يمكن ان تعنيه بالنسبة له . هل يمكنها ان تواجه مستقبلا كهذا ؟

الفصل التاسع

اصر دكتور " مندوزا " على ان تظل " جان " مستريحة مدة عشرين دقيقة على الاقل بعد الانتهاء من عملية نقل الدم ونصح بان من الافضل لكليهما ان يقضيا تلك الليلة في " تشيكلانا " على ان يستانفا رحلتهما في الصباح بعد ليلة من النوم الهادئ .

اجاب " فيليب " :

- " لكني افضل فراشي . لو اذنت لي باستخدام هاتفك يمكنني ان ارتب لانتقالنا الليلة . "

قالت " جان " :

- " يمكنني ان اقوم بقيادة السيارة فقد وصلت بها إلى هنا . "

أجاب بنبرة جافة :

- " بحسن الحظ لا الخبرة . سيحضر " خوان " و"كارلوس" . "

رات ان مناقشة هذا الموضوع لن تكون ذات جدوى ، كما انه من الحماقة ايضا . سوف يخيم الظلام سريعا ، ولا خبرة لها بقيادة السيارات ليلا . ومع كل ذلك شعرت بانه قد استخف بها .

بدا " فيليب " بعد ان ارتدى بدلاً من بنطلونه الممزق بنطلوناً اتى به من السيارة اشبه بحالته المعتادة ، بل ولم يبد عليه عدم الارتياح إلا من خلال جذب حاجبيه معا بين الحين والحين مع كل حركة يأتيها .

دعاهما الطبيب إلى منزله حيث قدمت لهما زوجته القهوة بينما كانا ينتظران قدوم السيارة التي تنقلهما إلى القصر لان قراءة اسم " فيليب " على الشيك الذي قدمه سدادا لفاتورة العلاج جعل الطبيب يتعرف عليه على الفور . نصحهما دكتور " مندوزا " بضرورة عرض

الأمر على طبيب الأسرة في أول فرصة ممكنة . وانه سيزيل " الغرز " في الوقت المناسب كما انه من الضروري توخي الحذر حتى لايفتح الجرح مرة اخرى .

رغم تيبس الساق بصورة واضحة بمرور الوقت حتى وصول خوان " و"كارلوس" إلا أن " فيليب " رفض اية مساعدة تمكنه من الوصول إلى السيارة، لم يتحدث في طريق عودته إلى القصر إلا نادرا لكن علامات الألم حول فمه وعينيه كانت واضحة تماما في كل مرة يرتطم فيها إطار السيارة برقعة خشنة في الطريق . رات " جان " انه من المفروض ان يكون بالمستشفى ، لأن الجرح عميق ولا يمكن التكهن بما إذا كانت مهارة دكتور " مندوزا " في الحقل الجراحي تتناسب وخطورة هذه الحالة .

اضطر الى التغاضي عن كبريائه وقبول المعاونة عندما وصلوا إلى المنزل ، لانه ما كان يستطيع أن يغادر السيارة ابدا بدونها إلا انه بمجرد أن صعد الدرج بامان صرف " خوان " وتوجه إلى حجرة النوم بمجهوده الفردي تتبعه "جان" بحذر واستسلام .

- " من كان ذلك الذي قال لي منذ فترة ليست طويلة جدا إن كبريائي في غير موضعه ؟ "

قالت من مدخل الباب بينما خفض جسده ليجلس على احد المقاعد :

" لن يقلل احد من قدرك إذا ما ابديت قليلا من الضعف البشري . "

اجاب بحدة :

- " لست معتلا . وسوف اثبت لك ذلك خلال يوم او يومين . "

قالت بسخرية واضحة : " اعتقد انه من الواجب ان اشعر بعظيم الارتياح لانك تسمح لنفسك بهذه الفترة من وقت الاستشفاء لكن قد يكون للدكتور " فالديس " راي اخر . "

- " إنه مستشاري لا موجهي . وانا اعلم منه بحالتي . "

- " صحيح ؟ لست واثقة من ذلك . " غيرت اسلوبها مدركة انها لن تغير شيئا. ثم تقدمت منه راجية : " على الاقل ارح ساقك في الوقت الحاضر . يمكننا تناول عشائنا هنا - هذا لو كان لديك الاستعداد لتناول الطعام . "

- " ما كل هذا الاهتمام ؟ ! " قال متهكما : " لكن ليس باكثر مما تبديه نحو اي شخص اخر بالتاكيد . نعم انا في حاجة إلى الطعام . يجب ان احافظ على قوتي بما يمكنني من الوفاء بالتزاماتي الزوجية على الاقل " .

رات " جان " ان لا جدوى من الحديث معه وانه سوف يتصرف وفق ما يرى بغض النظر عن النصائح التي اسديت إليه . " عنيد " هذا هو الوصف اللائق به وإن لم يكن ليتقبله . كان يوشك ان يفقد رجولته التي تعني له الكثير وكانت هي شاهدة على ذلك . ولهذا السبب وحده لن يسمح لنفسه بان يظهر ايا من جوانب الضعف امامها .

رغم إحضار العشاء لهما محمولا على الصواني، إلا انه كان فاخرا للغاية . وجدت " جان " نفسها جائعة إلى حد ادهشها بمجرد ان جلست إليه . ظنت ان ذلك ربما تعويض للدم الذي فقدته .

دخل " فيليب " حجرة الاستحمام بمجرد ان انتهيا من تناول العشاء ليخرج منها بعد حوالي عشرين دقيقة يرتدي " الروب " فوق الجزء السفلي للبيجامة الحريرية الزرقاء . شهد شعره الذي كان لايزال مبللا على " الدش " الذي اخذه. بدا مجهدا لكن " جان " كبتت اي تعليق لها على ذلك .

كانت زجاجة مسكن الالم التي كان دكتور "مندوزا " قد اعطاهما إياها فوق احد الارفف الزجاجية حيث وضعتها . لم يكن من السهل ان تعرف ما إذا كان قد تناول شيئا منها لانها لم تعرف عدد الحبات التي كانت بها بدءا . قررت ان تتصل هي بالدكتور " فالديس " إذا لم تجد لديه الاستعداد لان يستدعيه . لانه جيد ان يكون المرء رزينا بالنسبة للكثير من الاشياء لكن عدم العناية الفورية بالجرح قد يترتب عليها نتائج غير مرضية .

عندما عادت إلى الحجرة ثانية وجدته مستغرقا في النوم بفعل الحبوب المسكنة للالام او بدونها. وقفت عدة لحظات تتفرس في ذلك الوجه النائم فوق الوسادة البيضاء . بدت بشرته مشدودة بشكل انيق في ضوء الصباح وتفاصيل قسماته واضحة جدا . اطلت فوق جبينه خصلة صغيرة من الشعر الاسود مدت "جان" يدها دون ما تفكير

وازاحتها إلى الخلف مطيلة لمس وجهه القوي الممتلئ بين ذراعي هذا الرجل صعدت سلم العاطفة كاملا . لم تكن واثقة تماما من اتجاه مشاعرها في هذه اللحظة- احست باهتياجها الداخلي فقط .

تقلب في غير ارتياح متمتما شيئا لم تستطع سماعه بوضوح .

ابتعدت على الفور . ايا كانت الفتاة بطلة حلمه فلن تكون هي بالتاكيد .

رأت " جان " انه لم يبد عليه من اثار الحادث في اليوم التالي إلا بعض التيبس اثناء السير . اما هي فشعرت بالإرهاق والتكاسل ، اللذين كانا راجعين في المقام الاول إلى متاعب نفسية اكثر منها جسدية .

تلقت إعلانه على مائدة الفطور بانه متوجه إلى المصنع كالمعتاد باستسلام تام .

- " ارجح أن " خوان " سيتولى القيادة عنك . "

جاء نفيه ذلك حادا ومقتضبا :

- " انا بحالة طيبة تسمح لي بالقيادة بنفسي . "

صمتت " جان " إزاء هذا الاعتراض لانه لاجدوى من النقاش !

- " ستعود إلى الغداء ؟ " كان كل ما سمحت لنفسها بقوله .

- " اشك في ذلك . " " لقد بدا قطف المحصول مع شروق شمس اليوم."

ثم نظر إليها من خلال عينين مغمضتين " الا ترغبين في البقاء بمفردك ؟ "

هزت كتفيها قائلة :

- " يمكنني القول بانني استطيع أن أجد ما اشغل به تفكيري . "

- " بدون شك . " احتسى قهوته ودفع مقعده إلى الخلف والسخرية بادية في وضع شفته العليا . " هناك العديد من الكتب الجيدة بالمكتبة."

كادت تطلب منه ان يكون حذرا عندما راته يغادر الحجرة ولكنها ضبطت نفسها في اللحظة المناسبة . لم يكن في حاجة إلى اية مشاركة من جانبها .

رأت النهار يمتد أمامها طويلا وحارا وخاليا من جميع انواع

التسلية .. حياتها هنا بلا هدف - في الوقت الحاضر على الاقل . حاولت ان تتصور التغيير الذي قد يطرأ عليها عندما يولد لها طفل تعتني به لكن الصورة لم تتجسد . كان هناك امر واحد لا يحتمل الشك وهو انها إذا اصبحت اما فلن تسمح بوجود المربية التي تتولى عنها امر الطفل .

ذهبت إلى حمام السباحة حيث مارست رياضتها المفضلة بعض الوقت إلا ان ذلك لم يزل عنها الكثير من الاكتئاب . وكان الاتصال الهاتفي من جانب " ليدا " في العاشرة والنصف موضع ترحيب منها . بدا أنها قد اتصلت هاتفيا في الليلة الماضية عقب مغادرة "خوان" و"كارلوس" القصر متجهين إلى " تشيكلانا " فعلمت باخبار إصابة فيليب " وارادت ان تطمئن على حالته .

قالت عندما اخبرتها " جان " بانه قد توجه إلى المصنع :

- " إنه احمق ! " لماذا يختار الرجال هذا الأسلوب لتاكيد ذواتهم ؟ يجب أن تصممي على أن يعرض نفسه على طبيبه الخاص يا "جانيتا". لانه من غير الممكن أن تنال هذه الإصابة الدرجة المطلوبة من العناية بدون هذه الخطوة . "

وضحكت " جان " ساخرة :

- " منذ متى اصغى احد رجال اسرة " ريمادوس " إلى نصح امراة ؟ "

ساد صمت قصير قبل ان تجيب " ليدا " وقد تغيرت نبرة صوتها .

- " إنه امر معروف لكن هل انت بخير يا " جانيتا " ؟ "

تماسكت " جان " بجهد :

- " انا على خير مايرام . حرارة الجو تضايقني قليلا. هذا كل مافي الامر . "

- " سيتحسن الجو بعد شهر اخر . "

شهر اخر ؟ لم يمكنها الرؤية حتى ذلك الوقت . لان زواجهما ينهار يوما بعد يوم . كيف يكون الحال الأسبوع بعد القادم ، لن اقول الشهر القادم ؟

بدافع من الفراغ القاتل الذي احسته بعد ان انهت " ليدا " مكالمتها اتجه تفكير " جان " فجاة إلى السيارتين الباقيتين بالجراج .. لو انها

استطاعت قيادة إحداهما تحت ذلك الضغط الذي عرفته أمس يمكنها في هذه الحالة الوصول إلى " جيريز " دون مواجهة اية متاعب . بل ويمكنها اتخاذ بعض الاحتياطات التي تمكنها من معرفة المكان جيدا . يمكنها تناول غدائها في الخارج ايضا في احد الاماكن الصغيرة غير المشهورة حيث لن يتعرف احد على حقيقة من تكون .. اي شيء تفعله سيكون افضل من مجرد الجلوس في المنزل تنتظر عودة " فيليب " .

ارتدت ثوبا من القطن ابعد مايكون عن لفت الانظار إليها مثبتة شعرها إلى الخلف بعيدا عن وجهها تاركة وجهها خاليا من المكياج باستثناء لمسة من احمر الشفاه . شعرت بالرضا عن مظهرها المناسب لقضاء يوم عطلة عندما القت نظرة إلى المراة قبل مغادرة الحجرة . سوف تنسى اليوم جميع مشكلاتها ، وتقضي وقتها مثل سائحة .

كان اول عائق تبينته هو ان مفاتيح اي من السيارتين لم تكن معها . بدا على "خوان" بعض الاضطراب عندما بحثت عنه لتساله عن مكان حفظ تلك المفاتيح .

- " لم يترك " دون فيليب " اية تعليمات بشانها . "

" اجابت " جان " بحزم :

- " لا اعتقد انه يعتبر ذلك ضروريا . " سوف استقل المرسيدس . "

سلم إليها المفاتيح على مضض . لا شك في انه سوف يخبر سيده بذلك . لكن سيكون قد تاخر جدا من الضروري ان تغادر المنزل ولو لبضع ساعات . لتعود إلى طبيعتها فقط ، خالية من اي شيء يلتقها .

كان جامعو المحصول يعملون بجد تحت اشعة الشمس الحارقة يتحركون في خطوط مستقيمة إلى صفوف اشجار الكروم حاملين سلالهم . لا تحل الميكنة محل القوة البشرية إلا بعد وضع محصول العنب في الشاحنة المنتظرة لنقله إلى المصنع . كان واضحا على ضوء حجم وكم ما تحمله كل كرمة أن المحصول سيكون هائلا .

تساءلت " جان " على نحو خاطف عما إذا كانت ستكون هناك عندما يحين وقت قطف المحصول القادم ولكنها صرفت هذا التفكير عن ذهنها على الفور من الآن فصاعدا لن تفكر في ابعد من اليوم الذي تحياه .

كانت المدينة مزدحمة . تركت سيارتها تنتظر في احد الشوارع

الجانبية وذهبت إلى المنطقة التجارية الرئيسية سيرا على قدمها . كان لايزال لديها ساعتان قبل موعد غلق المحلات التجارية لفترة بعد الظهيرة وسيكون عندها متسع من الوقت للتفكير في تناول الغداء إذا ماشعرت بالجوع . لكن في تلك اللحظة بالذات لم تجعلها شدة الحرارة تفكر في شيء آخر غير أن تجد لها مكانا تستظل فيه .

التقت بـ " لويس " صدفة بعد منتصف اليوم بقليل . كان مثلها في ملابس مريحة يسير بغير هدف ايضا .

" قال ردا على استفسار من جانب " جان " - " ساباتين " مرتبطة باشياء أخرى . " وماذا عن " فيليب " ؟ "

- " في المصنع . " ثم اضافت مسرعة " لقد بدأ اليوم قطف المحصول."

قال :

- " فترة مزدحمة بالعمل . " ثم ساد الصمت لحظة ، وبدا في عيني "لويس" تعبير مفاجئ كاد يكون ملحا " اتسمحين لي بان اقدم لك بعض القهوة يا"جانيتا" ؟ إنني في حاجة إلى مشورتك . "

قالت لنفسها :

إنها آخر من يستشار فهي غير قادرة على تقويم حياتها الخاصة .. ومع ذلك وجدت نفسها تومئ . فلا ضرر من مجرد الإصغاء .

اصطحبها إلى مقهى صغير في احد الشوارع الخلفية واختار إحدى المناضد الموضوعة في الخارج في الساحة الصغيرة . لم يكن هناك إلا القليل من الظل وحركة الهواء . شعرت " جان " بمجرد الجلوس بقطرات العرق تنحدر فوق ظهرها وأملت الا يطيل الحديث .

- " إنني شديد الاضطراب . " قال " لويس " ذلك دون مقدمات وقد بدا عليه الأسى حتى إنها لم تجرؤ حتى على الابتسام من داخلها إزاء اختياره هذه الكلمات . " عرضت على " ساباتين " الزواج ثلاث مرات إلى الآن ، ولكنها لاتزال ترفض إفادتي بردها . "

فاجابته " جان " بحذر :

- " هذا يؤسفني يا " لويس " ولكنني لا ارى سبيلا لمعاونتك . "

- " إنك امرأة وكنت أمل أن يكون بمقدورك إدراك مايدور في ذهنها " لو كان ذلك في إمكانها فلن يرضيه ما كانت ستقوله له :

أجابته :

- " إننا مختلفتان تماما . " " ولا يمكنني أن افحص اعماقها باكثر مما يمكنها أن تتفهم اعماقي. ربما يجب أن تحدد لها موعدا نهائيا ؟"

رفع كتفيه وهو يقول :

- " لقد فعلت ذلك . "

- " ربما لم تكن حازما فيه بالقدر اللازم .. يجب أن تحدد تاريخا معينا وتلتزم به . "

- "ربما ترفض عندئذ بحجة انني اضن عليها بالوقت اللازم لاتخاذ قرارها."

- " وربما تقبل لأنها لن تخاطر بإضاعتك منها . "

اخذت تتفرس ذلك الوجه الوسيم لحظة متسائلة عما إذا كان لديه اي تبصر على الإطلاق فيما يتعلق بـ " ساباتين " او انه مجرد ماخوذ بفتنتها فقط .

- سألته :

" وما رأي أسرتك في هذا الموضوع ؟"

هز كتفيه مرة اخرى :

- "لم ار جدوى في أن اخبرهم بشيء حتى يكون هناك ما اقوله لهم."

سألت بحذر :

- " هل من المحتمل أن يباركوا لك هذا الاختيار على ضوء تلك الأمال العريضة لتوثيق رابطة أسرية ؟ "

جاء رده مشوبا بالتحدي الذي يناقض عمره .

- " مجرد لقائهم بها سوف يجعلهم يقدرون مشاعري . أما " إلينا " فكانت دائما على درجة من عدم النضج لا تتناسب معي . "

و "ساباتين " تتقدمك بالكثير - قالت " جان " محدثة نفسها .. من القسوة أن تتركه معلقا على هذا النحو - وإن كان من الأفضل له أن يظل على هذا الوضع من أن يتزوج بامراة لاتبادله عمق مشاعره .

استأذنت في الرحيل بعد عشرين دقيقة من الحوار غير المثمر ، كل ما كان "لويس" في حاجة إليه في الواقع هو اذن مواسية يصب فيها متاعبه . لم يكن لديها من النصح مايمكن إسداؤه إليه سوى ان يضع

حدا لخسائره ويعود إلى بلده ، وكانت في شك من انه على استعداد لأن يفعل ذلك على اي حال فهو من النضج بحيث يستطيع أن يرتب حياته . أما هي فلديها من المشاكل ما يكفي دونما تورط في مشاكل غيرها .

قاربت الساعة الواحدة من بعد الظهر ، وكان الجو حارا إلى حد لا يسمح بإطالة البقاء في الشارع . رات بعد أن القت نظرة على بعض نوافذالعرض بالمحلات ، انه من الأفضل أن تعود إلى القصر ، خاصة وانها قد فقدت الاستعداد لتناول الغداء بمفردها في المدينة .

كانت كثافة المرور قد انخفضت إلى حد كبير ، بما يكفي لأن يزيد ثقتها بنفسها عما كانت وهي قادمة إلى المدينة . القت نظرة على خريطة الطرق التي كانت قد اتبعتها في وقت سابق ، فتبينت أن من الممكن اختصار مدة القيادة لو انها سلكت الطريق المار بالمصنع دون أن تعتزم زيارة " فيليب " هناك لأنه لن يقدر لها هذا الاهتمام .

كان " فيليب " هو الذي شغل تفكيرها وهي تنعطف يمينا عند ملتقى الطرق ، تساءلت عما إذا كان قد اتصل بالدكتور " فالديس " بعد .

شل الظهور المفاجئ لإحدى السيارات المتدفقة خلفها تفكيرها لحظة. ضغطت غريزيا بقدمها على المكبح ولفت عجلة القيادة . احست بالارتطام عندما قفزت عجلة سيارتها التي إلى جانبها إلى رصيف الشارع تبعها ارتجاج عنيف وصوت زجاج يتساقط عندما لحقت السيارة الأخرى بمؤخر سيارتها .

لم تستطع خلال الثواني الأولى التي اعقبت توقف محرك سيارتها إلا ان تظل جالسة على مقعدها تنظر في ذهول من خلال حاجب الريح.

كان قائد السيارة الخلفية اول من توجه إليها ضاربا بيده زجاج النافذة ويصيح بعبارات السباب الغاضبة على النساء ممن يقدن السيارات . ضبطت " جان " اعصابها لتفتح زجاج النافذة وتحاول ان تبدي اعتذارها بصوت مرتعد، ولكنه كان في حالة لا تسمح له بالإصغاء إليها . التفت إلى الجمع الصغير الذي كان قد التف حولهما ملتمسا من احدهم استدعاء الشرطة ، بينما ظل هو في حراسة تلك السائحة المعتوهة التي لم تعرف احد جانبي الطريق من جانبه الآخر .

لابد أن أحد رجال الشرطة كان على مقربة من المكان ، إذ ظهر على الفور تقريبا . غادرت " جان " سيارتها بناء على طلبه وظلت مستندة إلى الباب حفظا لتوازنها .. شعرت بساقيها واهنتين . سرد السائق الآخر وقائع ماحدث وصدق على اقواله عدد من المارة . عندما طلب من جان " الحديث لم تجد ماتدافع به عن موقفها ، خاصة بعد ما تبينت أنها كانت على الجانب الأيسر من الشارع ، بينما كان يجب أن تكون على الجانب الأيمن منه - سوى أن تتعلل بانها سائحة.

لم يجتنب تصريح القيادة الإنجليزي الذي ابرزته الكثير من الاحترام ، إذ إنه كان من الواجب - حسبما قيل لها - أن تحمل ترخيصا دوليا يؤهلها للقيادة في شوارع إسبانيا . طلب منها الشرطي ضرورة الذهاب معه وأن زميله سوف يحضر سيارتها .

كانت الدقائق التالية اطولها في حياة " جان " وإن كان بها ما يخفف من اضطرابها فهو التعامل الفوري مع ذلك السائق الغاضب الذي تسببت في أن يصيب سيارتها من الخلف والإذن له بمغادرة المكان .

ولما كان ترخيص القيادة الخاص بها يحمل اسمها قبل الزواج كان لزاما عليها أن تخبر المختصين بمن كانت حقيقة . وما إن فعلت حتى تغير اسلوب التعامل معها على نحو معجز . سوف يخطر "دون فيليب" على الفور بمكانها - هكذا قيل لها - لكن يتعين في تلك الأثناء أن تتناول بعض المشروبات التي تساعدها على استعادة حالتها الطبيعية بعد أن تاثرت بالحادث .

كانت تحتسي القهوة في حجرة خلفية بقسم الشرطة عندما اصطحب "فيليب" إلى هناك . بدا متماسكا للغاية من الظاهر لكن "جان" استطاعت إدراك الغضب في عينيه السوداوين .

سالها بالإنجليزية وهي تنهض واقفة .

- " هل اصابك اذى من اي نوع ؟ "

- " قالت مؤكدة " لا . اصبت بهزة طفيفة ولكنني الآن بخير . " ترددت قليلا عندما رات الضابط من خلفه ثم قالت " آسفة على السيارة."

لم تعرف ما إذا كان هز كتفيه يعني نبذا للسيارة أو لاعتذارها .

- قال " " هيا . " لأخذك إلى المنزل . "

جلست إلى جواره في سيارته الـ " فيراري " تنتظر حتى خرجا من المدينة قبل أن تغامر باختراق الصمت الذي ساد بينهما :

- " أرجو الا يكون ذلك قد ازعج شيئا مهما بالمصنع . "

تجعدت شفته قليلا :

- " من غير المحتمل أن يقعوا في اية مشاكل إذا ماتركوا يتصرفون على سجيتهم . "

- " أجابت شامخة بانفها إزاء نبرة حديثه . " " بينما إنني لست كذلك على ما اعتقد . إنني معترفة بان الحادث قد وقع نتيجة لخطا من جانبي ، ولكن من الممكن أن يحدث لأي إنسان غير معتاد على القيادة على الجانب المخالف للطريق ! "

أجاب على الفور :

- " لكنه لم يحدث لأحد . " " بل حدث لك . لم تكن لك سلطة اخذ السيارة على الإطلاق . "

قالت بنبرة ضعيفة :

- " لم اعرف انني في حاجة إلى الاستئذان . " " لكنك لم تعترض على قيادتي السيارة امس ! "

- " امس لم يكن امامي فرصة للاختيار . ورغم ذلك لو كنت قد عرفت مدى عدم خبرتك في هذا المجال فلربما كنت قد ترددت . "

- " ونزفت حتى الموت وانت تقود ! "

انحنى الراس الأسود قليلا :

- " ربما . كما كنت توشكين ان تلقي حتفك اليوم . "

- " وفي هذه الحالة كنت ستضطر إلى أن تبدا من جديد بمرشحة اخرى للامومة ! "

القى عليها نظرة سريعة :

- " هل تعتقدين أن ذلك كل همي ؟ "

- " حسنا اليس هو كذلك ؟ " سالت ولم تابه بالانتظار لتسمع إجابته " يمكنك العودة إلى " سابائين " بالتاكيد ! "

توتر الفم القوي مرة اخرى :

- " لم تخبريني بعد بالاسباب التي دفعتك إلى الذهاب إلى "جيريز".

www.rewity.com

- " الشراء . " واجتنبت نظرة ثاقبة اخرى .

- " لا ارى اثرا لمشتريات . "

" قالت مصححة إجابتها " :

- " البحث في نوافذ العرض عن شيء مناسب .

ولم ار فيها ما ارغب شراءه . "

- " ترين ان المدينة محدودة جدا ؟ يجب ان ارتب لاصطحابك إلى سيفيل " مرة اخرى . "

رغم حركة الهواء الشديدة التي سببتها سرعة السيارة شعرت "جان" بالإجهاد نتيجة لوطأة الشمس على قمة راسها . حتى " فيليب " بدا لأول مرة متاثرا بشدة الحرارة حيث تبلل الشعر الملاصق لصدغيه كان لوجهه الآن من الرؤية الجانبية ملامح الصقر التي لفتت نظرها عند اول لقاء لها معه .

هل كان حقا انه قد التقى بها في مكتبه منذ ثلاثة اسابيع فقط ؟ بدا ذلك وكانه عمر باكمله ! لو كانت " رين " هي التي هنا ، اين كان من الممكن ان تكون الآن؟.. هكذا اخذت " جان " تتساءل .. ربما في مكان ما هناك رجل من الممكن لها ان تحبه بصدق وتهتم به . ربما .. لكن اني لها ان تعرف .. لن تستطيع ذلك مالم يمكنها تحرير نفسها من هذا الزواج المقيت .

كان جامعو المحصول لايزالون يكدحون رغم حرارة ذلك الوقت من النهار ، عندما مرت السيارة بهم . عندما ينتهي وقت الحصاد سيقام احتفال عظيم بالقرية " هكذا قالت لها " يولا " صباح هذا اليوم واضافت بنبرة ناكرة ان اهل القرية ياملون في مناسبتين للاحتفال لا مناسبة واحدة . بمجرد التاكد من حدوث الحمل يتقرر مستقبلها بصدق . إذا كانت تعتزم الرحيل اساسا فليكن في اقرب ما يمكن - بينما لايزال " فيليب " في حالة عجز بسبب إصابته .

صرفت عنها فكرة احتمال ان تكون قد وقعت في ذلك الفخ الذي يربطها به .

رغم إخطار الخدم بان ايا منهما لن يحضر للغداء إلا انه تم تقديم وجبة فاخرة لهما خلال خمس عشرة دقيقة من وصولهما إلى القصر .

اجبرت " جان" نفسها على تناول الطعام رغم ان ذلك كان اخر شيء شعرت بميلها إليه. حتى "فيليب" لم تكن له الشهية المعتادة ، فلم يتناول إلا اليسير . بدت علامات الإجهاد في المنطقة المحيطة بعينيه . أرادت ان تساله عما إذا كان يشعر بالألم ولكنها لم تكن واثقة من انه سيعترف بالمه . إذا لم يكن لديه الإحساس بضرورة استدعاء دكتور فالديس " فليس بوسعها ان تفعل شيئا . ولن يشكرها على اي تدخل من جانبها .

دخل حجرة مكتبه بمجرد الانتهاء من الغداء . وإذ وجدت نفسها وحيدة مرة اخرى بدلت ثيابها وتوجهت إلى حمام السباحة حيث لطفت المياه من حرارة جسدها .

استلقت بعد ذلك في احد المقاعد المريحة تحت إحدى المظلات المفتوحة. واخذت تصنف افضلياتها ، اصبحت الحياة هنا لا تحتمل.

لم تعتقد انه بمكنها الاستمرار على هذه الحال طويلا . كان ترك فيليب " املها الوحيد رغم ان ذلك ينطوي على الإنفاق من ذلك المبلغ من المال الذي كانت قداقسمت على الاتمسسه فضلا عن ان حمل " رين " على إعادة ذلك الجزء الذي استبقته منه لنفسها لن يكون بالأمر اليسير - بل ومن المحتمل ان تكون " رين " قد انفقته بالكامل . حتى مجرد مواجهة شقيقتها سوف يكون بالأمر العسير نظرا لهذه الظروف.

لتذهب إذن إلى اي مكان آخر .. هكذا راودتها الفكرة . لتسقط الماضي برمته، وتبدا بدءا جديدا .. بخمسة الاف جنيه بحسابها يمكنها ان تنتقي وتختار . ربما تقصد إلى اسكتلندا .. من غير المحتمل ان يبحث " فيليب " عنها هناك .

مجرد التفكير في عدم رؤيته ثانية جعل ما يشبه النتوء الضخم يملأ حلقها فجاة . لو وجدت تشجيعا من اي نوع لكانت قد فعلت من هذا الزواج شيئا . لكن بشرط الا تحتل " ساباتين " الخلفية فيه بصفة دائمة وهذا مالا يمكن توفره لها. لتكن تلك من تلد لـ"فيليب" الخلف المرتقب .

كانت قد اغمضت عينيها اتقاء لوهج الشمس الذي اخترق حتى النسيج القطني الذي اكتست المظلة به . شعرت بحضور شخص ما .

فتحت عينيها لترى " فيليب " نفسه متجسدا إلى جانبها وعلى وجهه علامات الغضب وعيناه في مثل سواد القار .

- " لقد كذبت عليّ . " قال غاضبا " لقد ذهبت إلى " چيريز " هذا الصباح كي تلتقي بـ " لويس فرنانديز " ! " .

جاءت إجابتها الفورية غير مدروسة :

- " من الذي اخبرك ؟ " وإذ تبينت ما اوحى به تساؤلها اجرت تعديلا سريعا عليه قائلة " لم يكن الأمر هكذا ! "

تجعدت شفته وهو يقول :

- " ما الذي تحاولين إنكاره بالضبط ؟ "

- " أن اللقاء كان مرتبا له . " اعتدلت في جلستها واضعة احد ذراعيها حول ركبتيها المثنيتين حفاظا على توازنها . " لم تكن لدي ابنى فكرة عن أن "لويس" سيكون بالمدينة . "

- " شوهدت تتناولين معه الغداء . "

قالت محاولة أن تظل فاترة وهادئة إزاء الموضوع .

- " التقينا مصادفة ودعاني لتناول قدح من القهوة معه . "

- " القهوة " .

لم تبد عليه اية علامات للارتياح :

- " لماذا ؟ "

- " من قبيل المجاملة لا اكثر . ولا خطا في احتساء القهوة في وضح النهار بالتاكيد ؟ لم نبق معا سوى نصف الساعة فقط - على الأكثر . "

- " فيم تحدثتما ؟ "

ضمت " جان " شفتيها بقوة قبل ان تجيبه :

- " لا شيء مما يثير قلقك . "

ابيض لون بشرته بشكل واضح حول فمه عندما اطبق بشدة على اسنانه :

- " انا الذي اقرر ذلك . "

قالت بصوت اشبه بفرقعة السوط : " لا . لن تفعل ! " ايا كان ما افضى " لويس " لي به فهو سر ، وسوف يظل كذلك . "

انحنى " فيليب " وجذبها بعنف لتقف على قدميها امامه جاعلا

اصابع يديه تغور في كتفيها وقال بصوت اجش :

- " سوف تخبرينني بما بينكما . "

كان غضبه مخيفا لكنها رفضت أن تجبن امامه . تفرسته العينان الزرقاوان بالمثل :

- " لا شيء بيننا ! " لويس " مجرد صديق . وانا مسموح لي بالأصدقاء اليس كذلك ؟ "

سأل بنبرة جارحة : " صديق ؟ " تتوقعين ان اصدق ان علاقتكما افلاطونية بحتة ؟ "

" قالت بغير اكتراث متذوقة مرارة ظلم الاتهام :

- " لا يعنيني ماتصدقه . لقد سئمت تصرفاتك يا "فيليب" - وسئمتك انت، إذا وصل بك الأمر إلى ذلك" لا أستطيع تحمل قربك مني! "

قال وقد تجعدت شفته بلمحة من القسوة : " هذا لسوء الحظ . "

ثم اخذتها قسوة فمه حتى إنها شعرت وكانها تختنق تحت ضغطه. قاومت قبضته عليها بضراوة عندما امسكت اصابعه بمثبت الجزء العلوي لثوب سباحتها "البيكيني" محررة نفسها من قبضته وهي تقول:

- " الخدم . "

مرت لحظة بدا فيها انه لم يكن منتبها إلى ذلك ، سيطر بعدها على مشاعره بحدة . لمعت عيناه بشدة وهو يقول لها بصوت اجش :

- " نعم . ليس هذا المكان المناسب . لنذهب إلى الداخل إذن . "

كانت اليد التي قبضت على عضدها مثل ضاغط طبي. شعرت "جان" باصابعها شبه فاترة الحس. تعثرت فوق الممر المؤدي إلى المنزل وجذبها "فيليب" لتنتصب مرة اخري دونما اعتبار لأية الام يسببها لها. تبينت انه كان يعرج قليلا ولكن من الواضح انه لن يسمح لإصابته بان تعوقه عن تنفيذ غرضه.

-"هذا لن يحل شيئا." "لا تجعلني اكرهك اكثر مما اكرهك بالفعل يا"فيليب"!".

جاءت ضحكته خافتة وقاسية :

-"هذا لا يغير من الأمر شيئا. إنك هنا لتوفي بغرض معين - ام نسيت ذلك؟"

www.rewity.com

كان الانتقال من ضوء الشمس المبهر وحرارته إلى عتامة المنزل الرطبة احد الاسباب الثانوية التي اشعرت " جان " بالارتياح لكن رؤيتها " ليدا فوينتي " واقفة في الرواق مع " خوان " كان اعظمها .

ولم يكن لسبب مجيئها الآن الاهمية الكبرى . كل ما كان يهم في هذه اللحظة هو انها قد اتت وانها هنا . توقف " فيليب " فجاة واسقط عن جان " تلك اليد التي كانت قابضة على ذراعها .

- " هل ثمة شيء اصاب " جاسبار ؟ " سال باهتمام سريع مفاجئ هزت "ليدا" راسها وبدت تعبيرات وجهها مرتابة بينما انتقلت نظرتها من " فيليب " إلى " جان " وإليه مرة اخرى .

- " لا .. إنه في حالة جيدة جدا . لكننا قلقنا عليك يا " فيليب " . وافق "جاسبار" على ان اتي لاطمئن عليك بنفسي " .

أجابها بابتسامة مقتضبة :

- " انا بخير كما ترين . ولكنني مقدر لكما هذا الاهتمام . " لم يكد يتوقف حتى اضاف " من الضروري ان اعود إلى المصنع الآن لكن جانيتا " مرحبة بصحبتك . سوف تقضين الليلة معنا بالتاكيد ؟ "

أجابت وقد تحكمت في تعبيرات وجهها واخفت افكارها :

- " هذا ما اعتزمه . هل اراك في المساء ؟ " .

- "على العشاء" قال واعدا ومضى دون نظرة اخرى في اتجاه "جان".

الفصل العاشر

كانت " جان " اول من تحدث إنهاء للصمت الذي ساد . تحاشت المواجهة المباشرة مع العينين المتسائلتين اللتين امامها .

- " لن يستغرق ارتدائي ملابسي سوى دقائق قليلة . عادة ماتحضر "يولا" شاي بعد الظهيرة في مثل هذا الموعد تقريبا . هل تحبين بعض الشاي يا "ليدا" ام تفضلين شيئا اخر ؟ "

- " الشاي مناسب جدا . " " سوف انتظرك في الشرفة . "

صعدت " جان " إلى الطابق العلوي حيث اغتسلت وارتدت اول ثوب

وقعت عليه يدها . مشطت شعرها بسرعة ووضعت بعض احمر الشفاه

رات في ذلك ما يكفي في الوقت الحاضر .. بدا لها وجهها في المراة شاحبا وعيناها ذابلتين. لقد انتهى كل شيء . يجب ان ينتهي بعد هذا الذي حدث !

نظرت " ليدا " إليها بتفرس عندما خرجت إليها ولكنها لم تبد اي تعليق على الفور . احضر الشاي وقدم . لم تطرق الفتاة الإسبانية الموضوع حتى احتست كل منهما قدح الشاي رغم انه كان يشغل جل تفكيرها .

- " جانيتا " .. ما الذي حدث لك ولـ " فيليب " ؟ لم اره من قبل يبدو على هذا الحال ؟ "

رات " جان " انه لم يصبح هناك مجال للمراوغة . استغرق سردها القصة كاملة منذ بدايتها بضع لحظات . صمتت " ليدا " بضع لحظات اخرى بعدما انتهت " جان " بدا عليها الذهول إلى حد عدم الاستيعاب .

- " كنت اعرف - كما سبق ان ذكرت لك - خطته الاصلية بشان اختك." قالت اخيرا " ولكنني تصورت انك قد غيرت كل ذلك كيف يفعل شيئا كهذا ؟ "

- " كي اكون عادلة بما يرضي ضميري - ربما لم استطع ان اقاوم بالقدر اللازم . " قالت " جان " معترفة : " إنه رجل مثير إلى ابعد الحدود . "

- " لكنك لا تحبينه ؟ "

اغلقت قلبها وعقلها حتى لايخرج من فمها مايخالف ماارادت ان تنطق به :

- " لا . "

اظهرت عينا الفتاة الأخرى تعاطفا اكثر من الإدانة :

- " فيليب " ليس بالرجل الذي تخيلته ، ومع ذلك فهو صديقنا ، ساطلب من "جاسبار" ان يتحدث معه . يجب ان يعرف مدى خطئه في هذه التصرفات . "

- قالت " جان " ببطء شديد " " اعتقد " ان لديه مبررا للغضب بعد ظهر اليوم . يظن انني على علاقة ما برجل آخر . "

www.rewity.com

- " وهل هذا صحيح ؟ "

- " لا ولكنه على غير استعداد لان يصدق ذلك . " ترددت قليلا قبل أن تضيف : " ليدا " افضل .. الا تذكري لـ " جاسبار " شيئا عن ذلك على الاقل ليس بعد . إنه امر يجب ان نتدبره معا . "

وافقت " ليدا " على الرغم منها :

- " إذا كانت تلك هي رغبتك " ثم اضافت من قبيل المجاملة " كنا سعيدين من اجلك و " فيليب " - عن اقتناع بمناسبة كل منكما للآخر . "

تنهدت " چان " :

- " ربما لم يكن من الواجب ان اخبرك . "

- " وتتركينني في حيرتي اتساءل عما عساه ان يكون قد حدث خلال هذه الفترة الوجيزة من الزمن ليترتب عليه ذلك العداء الذي شاهدته منذ برهة قصيرة؟" وهزت " ليدا " راسها " . كل ما اتمناه هو ان استطيع ان افعل شيئا. لكنك على صواب. يجب ان يجد كل منكما نفسه. ساتظاهر في وجود "فيليب" بانني لا اعرف شيئا مما اخبرتني به، وإن لم يكن ذلك بالامر اليسير."

رأت "چان" ان "ليدا" تفترض أن من الممكن ان تفعل شيئا تصلح به مابينهما مهما تازمت الامور ، لذا لم ترغب في تحررها من هذا الوهم.

كانت الساعة التاسعة تقريبا ، ولم يكن " فيليب " قد عاد وكانت چان " قد اصدرت الامر بإرجاء تقديم الوجبة إلى حين عودته .

ظهر في الطابق السفلي مرتديا ذات القميص الحريري الاسود الذي ارتداه تلك الامسية الاولى لها بالقصر او آخر اشبه به . بدا لونه شاحبا والخطوط حول فمه اكثر عمقا . "متعب" - قالت "چان" لنفسها ولكنها قست قلبها من جهته . لم يكن في حالته الطبيعية رفضت لقاء نظراته حتى لا ترى فيها الازدراء مرة اخرى .. بضعة ايام قليلة ترتب امورها وبعدها وداعا . تمنت لو انه يمكنها الرحيل على الفور .

بذلت كل جهدها كي يكون هناك حديث متصل اثناء تناول الوجبة إكراما لحضور "ليدا" اشترك "فيليب" في الحديث إلا انه كان واضحا ان ذهنه لم يكن مركزا على ما يقوله . طلب من "خوان" ان يقدم له مع قهوته شرابا مضاعف القدر ابتلع نصفه في جرعة واحدة .

قال وهو يجفف شفته العليا بمنديل المائدة :

- "الرطوبة مرتفعة الليلة . لنتحشم الا يكون هناك عاصفة . "

عرفت "چان" ان سقوط الامطار في هذا الوقت من شانه ان يدمر المحصول. لم تشعر بان الهواء مثقل بدرجة غير عادية لكن حبات العرق تجمعت مرة اخرى فوق شفة "فيليب" . كان واضحا ان الجرح يسبب له الما مبرحا ومع ذلك لم تستطع ان تحمل نفسها على الإشارة إلى هذا الموضوع . ليعاني لانه لا يستحق افضل من ذلك .

حتى "ليدا" نفسها تلقت ردا مقتضبا عندما غامرت وسالته عما إذا كان قد عرض نفسه على دكتور "فالديس" .. اجابها بان هذا الاخير سوف يزيل "الغرز" في الوقت المناسب وحتى ذلك الحين ليس هناك ما يتخذ .

- سالت "چان" فجاة عندما قرب انتهاء الامسية غير راغبة في ان ترحل صديقتها المؤتمنة على اسرارها : "هل من الضرورة عودتك غدا ؟ هل يعترض "جاسبار" على قضائك يوما اخر معنا ؟ "

التفتت "ليدا" إلى "فيليب" بنظرة خاطفة وهي تجيب :

- "إنني واثقة من انه لن يعترض . "

كانت تعبيرات وجهه غامضة :

- "إنه مرحب بك إلى اقصى حد . إنك تعلمين ذلك جيدا . "

تقدمته "چان" في صعود الدرج . عندما دخلت الحجرة اخذت تلهو بنشر ثوب نومها الذي كان قد وضع لها فوق غطاء الفراش المطوي . لم ترغب في ان تنام مع " فيليب " - لم ترغب في قربه منها - لكن إلى اين ومتى يمكن ان يسمح لها بالذهاب ؟ .

لم يتحرك من مجلسه عند مؤخر الفراش . امكنها ان تحس عينيه تنخران ظهرها وتوقعت قبض يده عليها في اية لحظة يديرها لتواجهه . عندما تحدث كان صوته رقيقا إلى حد اثار دهشتها :

- " چانيتا " .. انظري إلي " .

اجابت بصوت غليظ لماذا ؟ لقد سبق ان قلنا كل ما يمكن ان يقال . إنني هنا من اجل غرض واحد . اليس الامر كذلك ؟ "

-"ربما كان كذلك في وقت ما . ولكنه ليس كذلك بعد . " ساد صمت

قصير تبعه تغير في نبرات صوته : " اريد ان نبدأ من جديد . "

سكتت لحظة ثم حملت نفسها على ان تلتفت وتواجهه :

- " نبدأ ماذا من جديد ؟ "

- " كامل علاقتنا . اعرف انني لم اقدم ما يجعلك تثقين بي .. لكنني بحاجة إليك يا حبيبتي . "

فحصت قسماته المتغطرسة في يأس :

- " الثقة سلاح ذو حدين . منذ عدة ساعات قليلة اعتقدت انني التقي برجل غيرك . "

قال معترفا :

-"كنت غيورا . مجرد التفكير في جلوسك مع "لويس فرنانديز" افقدني لبي. صحيح انني رتبت لعقد زواج بيننا رغبة مني في ان اصحح الخطأ الذي ارتكبته في حقك. لكن ذلك لم يشكل إلا جزءا من الموضوع. لم استطع من قبل العثور على المرأة التي اكن لها مشاعر عميقة، حتى إنني اقلعت عن توقع الاهتداء إليها . "

تحسست مجلسا لها على حافة الفراش . وهنت اطرافها وارتعدت واضطرب تفكيرها ثم قالت باندفاع :

- " لكنك كنت ترغب الزواج من " ساباتين " . "

ارتفع منكباه العريضان قليلا :

-"تبينت انه لو كان لي ان انجب ابنا يرثني قبل ان ابلغ من العمر مالا يمكنني من رؤيته وهو في سن الرشد فقد حان الوقت لأن اتخذ لنفسي الزوجة. وكانت "ساباتين" انسب اختيار متاح. عندما اخبرتني بعدم رغبتها في الإنجاب تراجعت في عرضي الزواج عليها . "

واجابت " جان " ببطء :

- " لقد اخبرتني بانها هي التي رفضتك . وقد اكدت انت ذلك لي بنفسك . "

هز كتفيه ثانية :

- " كنت مدينا بذلك للقدر . "

سألت بصراحة :

- " ما الذي اوحى لك باستئجار بديلة إذن ؟ "

-"إنها اختك التي اوحت لي بالفكرة في بادئ الأمر. ولست واثقا مما إذا كان ذلك راجعا إلى انها رأت في نفسها المرشحة الأساسية لهذه المهمة، ولكنها لم تتردد كثيرا في قبول الصفقة. ثم اتيت انت و..." توقف قليلا وهو يهز رأسه : "يكفي القول بانني قد خدعت بذات الحاجة. ولم يكن الحب من العواطف التي اخذتها في الحسبان . "

بدا الدفء يسري من بقعة صغيرة بداخلها ناشرا إحساسا بالتوتر.

سألت هامسة .

- " ولماذا لم تقل لي ذلك من قبل ؟ "

- " الكبرياء . " " كعب اخيل . لم اتبين كم كان ذلك يكلفني . حتى بعد ماتركتك بعد ظهر اليوم . " اضاف ونظراته مركزة على وجهها : "اعرف انه باستطاعتي ان اجعلك تتجاوبين معي جسمانيا ولكنني اريد منك ماهو اكثر من ذلك . اتعتقدين ان بإمكانك ان تتعلمي ان تنسي سلوكي معك فيما مضى ، وان تصفحي عني ؟ "

ابتلعت ريقها لترطب جفاف حلقها واضافت برقة :

- " تصحيح افكاري فيما يتعلق بك سوف يستغرق وقتا يا " فيليب " لكن هل تقول لي حقا : إنك - تحبني ؟ "

- " وهل هذا من العسير تصديقه ؟ "

- " نعم ، إنه كذلك . ولأكون صادقة معك لا اعتقد انك تعرف ماهية الحب. "

قال متحديا :

-" حقيقة ؟ ربما أن لدى كلينا الكثير مما يجب أن يتعلمه عن المشاركة الوجدانية . " اخذ يفحصها برهة ثم سألها بهدوء : " هل تبغضينني إلى هذا الحد ؟ "

هزت راسها واتجه بعض شعرها نحو الامام ليخفي وجهها جزئيا عندما أحنت راسها قليلا لتنظر إلى يديها المتماسكتين معا :

-" اصدقك القول انني قد اصبحت لا اعرف ما اشعر به . "

-" ربما ساعدتك هذه بعض الشيء إذن . " قال وهو يتقدم منها ليجذبها إليه بيدين حانيتين هذه المرة طابعا على فمها قبلة رقيقة لم

www.rewity.com

تكد تصدقها . وجدت نفسها تتجاوب معها . إنه يحبها .. هذا هو ما أوحى لها به . شعرت برغبة شديدة في أن تصدقه .

شعرت بالحرمان عندما ابعدها عنه ثانية .. بينما بدا هو وكأنه يسيطر بإرادته على مشاعره .

قال بصوت أجش :

-لم تؤد إلا لاختلاط مشاعرك. يجب أن تتخذي قرارك فيما يتعلق بمشاعرك نحوي دون أي إجبار من جانبي . الليلة ينام كل منا بمفرده وهذا يعطيك الوقت اللازم للتفكير . " وابتسم ابتسامة واهنة وهو يضيف " ساعيش على الأمل . "

وقفت "جان" ساكنة تماما بينما ابتعد عنها. كانت تريد حبه لها كما كانت بحاجة إلى التأكد. ومع ذلك فربما كان محقا في رأيه.. لأنها بين ذراعيه لم تكن قادرة على التفكير، بل غير قادرة على التفكير على الإطلاق. يريد منها ماهو أكثر من التجاوب الجسماني.. هكذا قال لها.. وما كان عليها أن تتأكد منه هو ما إذا كانت تستطيع أن تهبه المزيد.

هجرها النوم فاستلقت وحيدة في فراشها تحاول التعرف على حقيقة مشاعرها . لا يمكنها أن تنكر كم ترغب في " فيليب " لكن الرغبة مختلفة تماما عن الحب . لم تعرف حتى مم يتألف الحب .

مجرد الثقة .. هكذا أتتها الإجابة . لقد تجاهل كبرياء رجولته ليصارحها بمشاعره . ألا يكفي ذلك لإثبات صحة مايقول ؟ قال ذات مرة .. " لا فائدة من الندم . " وهذا يعني أن على المرء أن يحيا بأخطائه وهذه نصيحة يجدر بها اتباعها . مهما كان مايعنيه كل منهما للآخر حاليا فمن الممكن لذلك أن يتغير وينمو بمرور الوقت . كل مايتطلبه هو الفرصة ..

أيقظتها " يولا " في الثامنة عندما أحضرت لها القهوة . أخبرتها أيضا بأن السيد "فيليب" قد ذهب إلى مصنعه . كان من الصعب على "جان" أن تعرف ما إذا كانت "يولا" قد تبينت أنهما قد قضيا ليلتهما منفصلين . لكن ذلك لم يهم.

اعتدلت في جلستها في فراشها ومدت يدا تأخذ بها قدح القهوة

فأخطأت يدها الهدف بينما غشيتها موجة من الغثيان . تمكنت بصعوبة من أن تصل إلى الحمام في وقت مناسب ، استندت بعد ذلك إلى الحوض واهنة تجفف بظهر يدها جبينها المبلل بالعرق وتفكر في احتمالات الإفاقة بمشاعر مختلطة .

نوبة واحدة من الغثيان الصباحي لا تمثل دليلا قاطعا .. كانت تحاول أن تقنع نفسها بذلك لكن إذا اقترنت هذه النوبة بعوامل أخرى فأنها أن تلاحظها فقد لايكون هناك احتمال للخطأ . انقبضت عضلات معدتها لمجرد التفكير فيما بدأ يتكون بداخلها .. طفل .. طفل " فيليب " الذي من شأنه أن يقضي على أي خيار تردد في ذهنها قبل الآن .. لقد أصبحت مرتبطة به تماما .

وجدت " ليدا " جالسة في الشرفة تتناول فطورها :

- " ظننت أنك تتحينين الفرصة للاسترخاء بعض الوقت عرفت أن "فيليب" قد رحل مبكرا ؟ "

قالت " جان " متحاشية أية تعليقات : "قبل أن أستيقظ ". جلست إلى مائدة الفطور تنظر إلى براد القهوة . وتتساءل عما إذا كان بإمكانها المخاطرة بأن تحاول مرة أخرى . كانت نوبة الغثيان قد تركتها لكن ذلك لا يعني أنها لن تعاودها مرة أخرى . وإذا ما كان هناك الدافع لذلك . كانت " ليدا " من حدة الذكاء بحيث لم يفتها أن تحزر سبب عدم ارتياحها في الوقت الذي لم تكن هي فيه متأهبة لإعلان النبأ.

قالت بنبرة عابرة وهي تملأ لنفسها كأسا منه : " أعتقد أنني سأكتفي بعصير البرتقال الآن . هل نمت جيدا ؟ "

- " ليس جيدا جدا " . أجابت " ليدا " : " لأنني قضيت القسط الأكبر من الليلة أفكر فيما قلته لي . "

قالت " جان " مؤكدة : " يجب ألا تقلقي من هذه الناحية . سيكون كل شيء على خير مايرام . " وقد كان كذلك أيضا " .. قالت لنفسها .. على أثر موجة مفاجئة من الثقة .. " فيليب " يحبها .. ماذا تريد أيضا ؟ " .

قالت الأخرى وقد بدا عليها ارتياح غير محدود : " هل تفاهمتما ؟ " فيليب" بحاجة إليك يا " جانيتا " . بحاجة أمس مما قد يتصور هو

نفسه " ابتسمت وتغير كل اسلوبها : " اتصلت بـ " جاسبار " هاتفيا - واخبرته بانني سوف ابقى ليلة اخرى . ماذا نحن فاعلتان بيومنا هذا؟"

قالت " جان " مقترحة " بمكننا الذهاب إلى المدينة . " ثم اضافت مسرعة " لكن بسيارتك . لانني لا احمل ترخيص قيادة معتمداً بعد . "

" أجابت " ليدا " : " بتعين " بالتاكيد . ان يتخذ " فيليب " الإجراءات الكفيلة بتامينك . "

لقد فعل ذلك .. قالت " جان " مفكرة .. وشعرت وهج الطمانينة الدافئ من جديد. لم تستطع الانتظار حتى تبلغه النبا . سيكونان الليلة معا مرة اخرى - وحتى اخر العمر .

غادرتا القصر في حوالي العاشرة والنصف - شعرت بمعنوياتها ترتفع إلى السماء .. لوحت بيدها إلى بعض جامعي المحصول القريبين من مسارهما عن رغبة حقيقية في تحيتهم واغتبطت عندما أجاب كثيرون تحيتها بمثلها .

- " يبدو السرور عليهم جميعا . حتى وهم يكدحون تحت اشعة الشمس الحارقة . "

- " لأن لهم البيوت المريحة ويتقاضون اجورا مجزية .. فضلا عن انهم قد اطمانوا على مستقبلهم عندما اتخذ " دون فيليب " لنفسه الزوجة اخيرا ، لأن اسم " ريمادوس " يعني الكثير لاناسكم هؤلاء قليلون من بينهم من كانوا يرحبون باسرة " لوبونز " لو ال الأمر إليها في النهاية . "

كانت " جان " تخبرها في تلك اللحظة ولكنها ضبطت لسانها لابد من أن يكون " فيليب " اول من يتلقى هذا النبا . لانه لا يستحق اقل من ذلك.

ازدحمت " جيريز " بالسيارات والمارة على حد سواء . حمدت " جان " الله وهي تراقب " ليدا " تسلك طريقها في الزحام انها لم تكن هي قائدة السيارة . ببعض التدريب ستصبح كفئا . لكن لن تحاول هذه المرة الوثب قبل أن تستطيع السير .

لم تجتذب المقاهي التي احتلت الأرصفة في تلك الوقت إلا القليل من

الرواد . نظرت " جان " من خلال النافذة التي بجوارها ، بينما توقفت سيارتهما للسماح لمجموعة من المشاة بعبور الطريق ، وجمدت لرؤية الرجل والمراة اللذين جلسا إلى إحدى المناضد امام احد المحلات . كان " فيليب " خافض الراس مخفيا وجهه عن الانظار وهو يصغي إلى ما كانت " ساباتين " تقوله له ، لكن "جان" احست على بعد المسافة انه كان متوترا . شعرت بالغثيان يعاودها وبقلبها يثقل مثل الرصاص . مهما كانت الدوافع لإفصاحه عن مشاعره الليلة الماضية ، فكل ذلك لا يعني شيئا طالما انه لايزال يلتقي بالمراة الاخرى . لن تقتسمه مع " ساباتين فالفيردي " مهما كان الثمن !

قالت واجمة : " أريد ان اعود . " ليدا " ارجو ان تعودي بي لانني - لانني متعبة جدا . "

ولم تستغرق " ليدا " وقتا في إجابتها إلى طلبها لكنها لم تتحدث إليها إلا بعد ان غادرتا وسط المدينة .

- " لقد رايتهما ايضا ، ولكنني واثقة من ان تفكيرك خطا في هذا الخصوص . "

ظلت " جان " ناظرة إلى الامام :

- " اشك في ذلك . إذا كان لايحتمل فراقها فلتاخذه ! "

نظرت " ليدا " بحدة ثم سالت :

- " وماذا انت فاعلة ؟ "

- " ما كان يجب ان افعله منذ مدة طويلة . سوف اعود إلى وطني . "

استنشقت بعض الهواء ثم استطردت : " علي ان احضر جواز سفري وبعض المتعلقات الضرورية . هذا كل ماهنالك . "

قالت " ليدا " بصوت ملؤه الأسى :

- " لن تفعلي ذلك ! يجب ان تعطيه الفرصة ليشرح الامر ! "

- " ليس هناك شرح يمكنه ان يقدمه . إنهما معا يلتقيان سرا . "

- " ليس سراً بالتاكيد وهما على مراى من " جيريز " باسرها . "

قالت " جان " وهي تهز راسها : " وهذا مايثبت مدى عدم اكتراثه . لا فائدة يا " ليدا " . لن اسمح بخداعي مرة اخرى .. إنني راحلة ولن تستطيعي ان تمنعيني ! "

www.rewity.com

لم تجب " ليدا " على ذلك إلا بتنهد . لكن عندما اقتربتا من المنزل سألتها "ليدا" برفق :

- " وكيف تعتزمين الرحيل ؟ "

- " جوا إذا تمكنت من الوصول إلى " سيفيل " ثم رمقت " چان " صديقتها بنظرة توسل قائلة " اعرف انني اطلب منك الكثير لكن هل يمكنك توصيلي إلى هناك بسيارتك ؟ "

تنهدت " ليدا " مرة اخرى قائلة :

- " لا يمكنني أن افعل ذلك . "

- " سوف آخذ سيارة الضيعة ويمكنهم استعادتها في وقت لاحق " .

- " لكنك لاتحملين الترخيص الذي يخول لك القيادة ! "

- " سوف اجرب حظي " .

غادرت " چان " السيارة متجهة إلى الداخل . لم يزل " فيليب " محتفظا بجواز سفرها ولكنه لابد انه يحفظه في مكان ما بالمنزل . توجهت إلى حجرة المكتب وبدات تفتش الادراج ، كان الايمن العلوى منها مقفلاً استطاعت ان تفتحه باستعمال فتاحة الخطابات .

وجدت جواز سفرها فوق تلك الورقة التي كانت قد وقعت عليها ذلك الصباح المشؤوم . كم كانت حمقاء ساذجة لتثق فيه إلى هذا الحد ! لكنها لن تكون كذلك بعد الآن وابدا !

ودون أن تحاول قراءة العقد مزقته إلى قطع متناهية الصغر نثرتها فوق المكتب . راقبتها " ليدا " في حيرة من مدخل الباب .

سألتها :

- " ماذا تفعلين ؟ " .

- " مجرد تسوية لبعض الامور المعلقة . " ثم اتجهت إلى الباب حاملة جواز سفرها في يدها لتلتقي بنظرات الفتاة الاخرى الضارعة . ولكن حتى هذا لم يقلل من تصميمها . " اسفة يا " ليدا " ولكنه لا يمكنني البقاء هنا اكثر من ذلك."

تبعتها الإسبانية حتى الدرج وتوقفت هناك لتسألها :

- " وماذا لو كنت تحملين طفل " فيليب " بالفعل ؟ هل اخذت ذلك في الاعتبار؟"

تظاهرت " چان " بالقوة حتى لا تفتضح حقيقة الامر :

- " سوف اتصرف . "

- " لن يدعك تمضين بهذه السهولة . "

- " بمجرد أن أعود إلى انجلترا لن يكون امامه اي خيار . " ثم اضافت بصعوبة : " وإذا كنت تفكرين في الاتصال به الآن لتحذيره فلن يمكنك لانه لايزال برفقة " ساباتين " . "

كانت حقائب الملابس محفوظة بالحجرة المخصصة لها بنهاية الممر، لم تستغرق إلا عدة دقائق حتى تعرفت على حقيبتها حيث وضعت بها تشكيلة من الملابس . سوف تنفق من ذلك المبلغ لانها مضطرة إلى ذلك لحاجتها اما بقية الاشياء التي حصلت عليها من " فيليب " فسوف تتركها له لانها لاترغب في الاحتفاظ بما يذكرها بهذه الفترة الزمنية ..

لكن باستثناء شيء واحد لايمكنها أن تتركه وراءها وتمضي ولكنها لن تسمح لذلك الواقع بان يعوقها الآن .. لأن " فيليب " لن يعلم به ابداً.

عندما عادت إلى الطابق السفلي وجدت أن " ليدا " لم تزل واقفة حيث تركتها وقد بدا وجهها زاويا .

- " لقد طلبت من " خوان " الا يعطيك مفاتيح السيارة . آسفة ولكنه لا يمكنني أن ادعك تمضين هكذا . "

- قالت " چان " وقد بدات تتحرك بالفعل رافعة سماعة الهاتف لتدير رقما بإصبع واهن : " سارسل في طلب سيارة أجرة إذن . " اعطيت ثلاثة ارقام للاتصال بشركة سيارات الأجرة في " چيريز " ادارت احدها وطلبت إرسال سيارة اجرة على الفور لنقل احد المسافرين إلى مطار "سيفيل" وتلقت تاكيدا بان السيارة ستكون تحت تصرفها في خلال اقل من نصف الساعة .

قالت محدثة نفسها - لن يكون " فيليب " قد عاد عندئذ - خاصة وانه مشغول بامر مختلف تماما . من المحتمل جدا انه قد كان مع ساباتين " امس ايضا .

اقترحت " ليدا " عليها وقد وضحت عليها الحيرة لعدم توفر وسيلة إقناع اخرى : " استريحي على الاقل بينما تنتظرين . تعالي واجلسي."

هزت " چان " راسها :

www.rewity.com

- " سانتظر بالخارج حتى اعرف بمجرد وصول سيارة الأجرة . "

كان الوقت لايزال بعد منتصف النهار بقليل . اتخذت مقعدا فوق الشرفة حتى يمكنها مراقبة البوابات ، واضعة حقيبة ملابسها عند قدميها . لم تبذل "ليدا" محاولة للجلوس معها لانه لم يكن لديها ما تفعله او تقوله ليثنيها عن قرارها . حتى مشاعرها قد شلت تماما ، سيكون هناك وقت للمشاعر وإن كانت لن تعيدها ثانية .

سمعت رنين الهاتف ولم تتحرك . لن تكون المكالمة لها على اي حال . وعندما اتت " ليدا " إلى حيث كانت " جان " جالسة لم تابه حتى بالالتفات نحوها .

قالت " ليدا " بصوت متحشرج ونبرة غير عابئة : " إنه المصنع . نقل "فيليب" إلى المستشفى . "

شعرت " جان " بالالم يغزو قلبها قالت بصوت خال من اية نبرة .

- " لا اصدق ذلك . "

- " إنها الحقيقة . من المستحيل ان اكتب عليك في مثل هذه الامور . يبدو انه مريض جدا .. تسمم دموي .. هذا مايعتقدونه " ثم استطردت بالحاح : "جانيتا " .. من الممكن ان يموت ! "

- " ليس بهذه السرعة . " نفت قول صديقتها إلا ان الشك ظل يحكم تفكيرها التسمم الدموي من الامور الخطيرة . ومن هي حتى تقرر ما إذا كان قاتلا ام لا ؟ لكن السؤال الحقيقي كان : هل يهمها الامر ؟

وكانت الإجابة واضحة تماما . يهمها بالتاكيد ! إن الاهتمام الزائد هو الذي دفعها إلى ان تفعل ذلك - جعله مستحيلا عليها ان تحمل نفسها على قبول مكان لـ " ساباتين " في حياته إنها تحمل في احشائها طفل " فيليب " ، ومن حقه ان يعلم ذلك على الاقل .وكيف يمكنها الا تفكر في ذلك ؟

وقفت على قدميها في غير توازن :

- " هل تعرفين مكان المستشفى ؟ "

- " بالتاكيد . إنها عيادة خاصة . يمكننا الوصول إليها خلال عشرين دقيقة سوف يتصرف " خوان " مع سائق سيارة الأجرة عند وصوله . "

لم تتذكر " جان " فيما بعد الكثير عن رحلتهما إلى العيادة التي احتلت مبنى كبيرا ناصع البياض اقيم على قطعة ارض مستقلة على الحدود الخارجية للمدينة . توجهتا إلى مكتب الاستقبال بالداخل حيث عرفتا ان السيد " دي ريمادوس " قد نقل إلى غرفة العناية المركزة راسا وانه يمكنها الصعود إلى الطابق الذي يضم هذه الحجرة ولكن لن يسمح لهما بزيارته .

بذلت " جان " كل جهدها لتحتوي مخاوفها والمصعد يحملها إلى الطابق المذكور . لم يمض على هذه الإصابة سوى يومين وهو زمن لا يكفي لان يتغلغل التلوث في دمه .. لقد أخطا " فيليب " .. لكن جرعات مناسبة من المضادات الحيوية سوف تعيده إلى حالته الطبيعية .. من المؤكد انها سوف تفعل !

كانت صالة الاستقبال بالطابق الثاني اقل سعة من مثيلتها بالطابق الأول . دعتهما الممرضة الجالسة إلى المكتب في زيها الابيض إلى الجلوس وسالت عما إذا كانتا تفضلان بعض القهوة . اخبرتهما بان الأطباء لايزالون مع السيد "دي ريمادوس".

لم تستطع " جان " ان تحمل نفسها على لمس قدح قهوتها . شعرت بموجة خوف تغشاها .. ربما انها قد تاخرت اكثر مما كان يجب .. ربما لن تستطيع ان تخبر " فيليب " ابدا بامر الطفل .. لا اهتمام بـ " ساباتين " بعد الآن . لو قدر ان يعيش لن تجعله في حاجة إلى اية امراة اخرى .. لابد ان يعيش .. الحياة بدونه خاوية تماما بالنسبة إليها .

كان دكتور " فالديس " هو من اتى لمقابلتهما اخيرا . بدا مرهقا .

اخبرها بان مريضه قد اصيب بصدمة على اثر تلوث سام شامل وان حالته مستقرة في الوقت الحاضر ، وإن لم يكن قد تجاوز مرحلة الخطر ، وكما هي الحال في جميع حالات الصدمات الحادة كان هناك احتمال إصابة الكلى او حتى المخ إذا لم يعد ضغط الدم إلى معدله الطبيعي خلال فترة معينة من الزمن.

- " يمكنك رؤيته مدة خمس دقائق لا اكثر . " قال موجها حديثه إلى جان " " لايزال في غير كامل وعيه . لذا ارجو الا تقلقي إذا لم يتعرف

عليك ."

رغم استعدادها لرؤيته في تلك الحالة إلا ان شكل وجهه الندي الشاحب جاء صدمة لها . كان جسده موصلا بجهاز تسجيل دائم لضغط الدم وجهاز آخر مزود بانبوب لنقل الدم إلى وريد في ذراعه .. كانت عيناه مغمضتين وفمه في حالة استرخاء مستسلما .

تركتها الممرضة الملازمة له معه بمفردها . مدت " جان " يدا لمست بها الوجنة الشاحبة فشعرت بعضلاته تتقلص قليلا تحت اصابعها . فتح عينيه لم يستطع تركيز بصره لمدة ثانية واحدة او اثنتين ثم بدا يفيق ببطء . وغشيت وجهه ابتسامة واهنة ثم تلاشت :

- " كان من الواجب ان اصغي إليك يا حبيبتي . " قال هامسا : " لقد كلفني كبريائي الكثير ."

- " يجب الا تجهد نفسك بالحديث . عليك ان تحافظ على قوتك ."

وابتسم لها ثانية :

- " لقد بدات بالفعل استشعر القوة لوجودك بجانبي هنا . هل تبقين؟"

- " بالتاكيد . " سياتي الوقت الذي تخبره فيه .. ولكن ليس الآن ." لن تنتزعني من هنا اية قوة في الوجود ."

عندما حضرت الممرضة لتخبرها بان الدقائق الخمس قد انتهت كان قد غط في النوم وقد بدا لها لون وجهه افضل قليلا . استقبلتها " ليدا " بشغف :

- " كيف حاله ؟"

قالت عن اقتناع :

- " سيكون بخير ." ، ثم جلست مثقلة بالأسى تمرر اصابعها في شعرها . " ياله من يوم ! "

قالت " ليدا " محذرة :

- " يجب الا يعرف " فيليب " شيئا عما جرى . يجب الا يعرف اي إنسان . ساجعل " خوان " يقسم على حفظ هذا سرا ."

هزت " جان " راسها قائلة :

- " لا يمكنني ان اجعل الأمر يمر بهذه السهولة . لكن من الممكن

تاجيله ."

ثم بدات تتحرك : " يجب ان اخبرهم بحالته ."

" قالت " ليدا " :

- " سانولي عنك ذلك . توجد هنا حجرات متاحة للاقارب الذين يرغبون في البقاء . لماذا لاتاخذين لك واحدة منها وتسترخي فيها ؟ يبدو عليك شدة الإجهاد " اعتبرت موافقتها امرا مفروغا منه : " ساطلب من الممرضة تدبير ذلك."

كان من الممكن ان تضارع الحجرة التي ادخلت " جان " إليها بعد بضع دقائق فنادق الدرجة الأولى . لكن المكان كله كان على مستوى رفيع من الهندسة المعمارية . حتى إنه كانت هناك حجرة استحمام ملحقة بالحجرة مجهزة "بدش" مستقل وعدد من المناشف الوبرية الثقيلة . دخلت " ليدا " إليها بينما كانت قد انتهت من فحص الحجرة:

- " اتصلت بـ " جاسبار " ايضا . كان يريد ان ياتي ولكنني اقنعته بالا يفعل ." ثم اضافت قائلة : " اعتقد انه من الافضل ان اعود إلى البيت وارسل لك مع " كارلوس " ما يمكنك ان تستبدلي به ملابسك ."

قالت " جان " بامتنان صادق : " شكرا لك " " إنك صديقة وقت الشدة!"

اغتسلت بعد مغادرة صديقتها وارتدت " روبا " من النسيج الوبري كان متاحا في حجرة الاستحمام من قبيل حسن التدبير . لم ترغب في ان تفكر كم يتكلف العلاج في مثل هذا المكان .. وإن كان " فيليب " يستطيع مواجهة مثل هذه النفقات بالتاكيد . ربما يولد ابنه هنا ايضا ..

"وما الذي يجعلك واثقة إلى هذا الحد من ان هذا الطفل ذكر ؟ " هكذا اخذت تسال نفسها مستلقية بتراخ فوق الفراش . لم تهتم بنوع المولود لكن "فيليب" يريده ابنا . احبته .. إذا لم يفصح لهاهذا اليوم عن اي شيء آخر فقد كشف لها عن مدى حبه لها . اعتقدت ايضا انه يكن لها بعض المشاعر لكن "ساباتين" احتفظت بتلك الجاذبية المشؤومة

لابد ان يناقشا هذا الأمر حتى تعرف ما ينطوي عليه . يجب ان تشعره بانه من غير الممكن ان يجمع بينهما . اما بالنسبة للاخرى فما فعلاه مرة يمكنها ان يفعلاه دائما . بينما انها من الممكن ان ترغب في

www.rewity.com

إنجاب اكثر من طفل واحد .

وصلت ملابسها النظيفة في الخامسة . ارتدت الثوب الحريري ليموني اللون مصففة شعرها إلى اعلى نحو الخلف بعصابة مناسبة.. شعرت بالانتعاش .. عندما اخبروها بان " فيليب " قد استيقظ ويطلب ان يراها . توجهت إلى حجرته بخطى الشوق .

كان لايزال موصلاً بالاجهزة ولكنه جلس اكثر اعتدالا هذه المرة . عاد لونه طبيعيا مرة اخرى :

- " اخبروني بانك قد اتخذت حجرة . حسنا فعلت . اريد ان اشعر بقربك مني . "

جلست " جان " على المقعد الذي أعد لها بجانب الفراش واخذت اليد التي حركها تجاهها :

- " كيف حالك الآن ؟ "

قال معترفا :

- " واهن ولكنني اشعر بالقوة تزداد كل دقيقة . كيف اكتشفت انني نقلت إلى هنا ؟ "

توقفت وقد تبينت الآن فقط ماذا كان ذلك يعني : " اتصلوا هاتفيا من المصنع . كنت قد عدت إلى هناك إذن عندما فاجاك المرض ؟ "

تقارب حاجباه وهو يتساءل :

- " عدت ؟ "

قالت لنفسها نادمة :

ليس هذا وقته ..

قالت محاولة أن تخفي الحقيقة : " إنها مجرد زلة لسان . "

اتخذت نظرته حدة مفاجئة :

- " لا اعتقد ذلك . كنت مع " ليدا " في " جيريز " صباح اليوم ؟ "

اومات باسى :

- " نعم . لكن ذلك لا يهم . ليس الآن على الاقل . "

- " ورايتماني مع " ساباتين " . قال وكانها لم تقل شيئا : " اليس الامر كذلك؟"

خفضت نظرتها تعض شفتها :

- " نعم . "

- " وماذا فهمت من لقائي بها ؟ "

- " ماذا ايضا يمكن ان افهم ؟ "

جاءت ابتسامته ساخرة :

- " ذات السؤال الذي وجهته إلى نفسي عندما علمت بلقائك مع "لويس فرنانديز" . وقد اخبرتني ان الامر لم يكن كما بدا ان يكون . واتقدم لك الآن بذات الدفاع املا في ثقة اكبر مما ابديت انا نحوك . "

نظرت " جان " إليه طويلا وبحدة :

- " تقول إن لقاءك بها لم يكن بناء على موعد مسبق ؟ "

- " كان بناء على ذلك لأسباب تختلف عما توحي به . " صمت برهة ليستجمع افكاره على مايبدو ، واشار إليها بحركة من راسه بان تنتظر عندما راها تهم بالحديث . "يجب الا يسوى هذا الامر بيننا على الفور . إن ذلك ضروري بالنسبة لي . طلبت " ساباتين " مني مقابلتها بحجة انها تريد ان تخبرني بامر مهم . لبيت طلبها لانني اردت ان اخبرها بانها لن تجني شيئا من محاولاتها التدخل فيما يعنينا وحدنا . " احكمت تلك اليد الممسكة براحتها قبضتها عليها: " ولاقول لها إنه لن يمكنني ابدا مجرد التفكير في ان ادعك ترحلين عني."

- " حتى لو لم اعطيك الشيء الوحيد الذي تريده قبل اي شيء آخر ؟"

سالت ورات تعبيرات وجهه تتغير :

- " إذا قدر لذلك ان يحدث فسنفعل ما كنت سافعله لو فشلت كل مساعي ، وتتبنى طفلا ولكنك ستظلين زوجتي . لا اريد شيئا اكثر من ذلك ! "

لم تترك كلماته اي مجال للشك بداخلها بل سعادة تهدد بان تجاوز حد احتمالها .. لقد اصبح لها كل شيء !

عرفت من نظرات عينيه ان مشاعرها قد طبعت الابتهاج علي وجهها:

- " قوليها لي يا " جانيتا " . " قال امراً برقة بالغة : " احبك .. اريد ان اسمع تلك الكلمات من بين شفتيك . "

- " احبك . " قالت متمتمة " لم اسمح لنفسي بان اتبين ذلك إلا عندما ظننت انه من الممكن ان تتوفي .. " فيليب " .. انا ...."

www.rewity.com

مد يدا طوق بها عنقها ليجذبها إليه بقوة أثارت دهشتها ، دللها بقبلاته التي بعثت في جسدها ارتعادا تلو الآخر .

همست : " يجب ألا نفعل ذلك. من غير الممكن أن يكون في صالحك . "

- " بل هو أفضل دواء في الوجود . " قال بنبرة لطيفة وقد فارقت الفظاظة وجهه لتحل محلها تلك الرقة التي لم تحلم أبدا بأن تراها فيه " لقد غيرت حياتي ياحبيبتي حتى إنني أصبحت لا شيء بدونك ! "

جاءت ابتسامتها مرتعدة .. سرعان ما سوف تملأ كاسه حتى يفيض .. أما الآن فقد خانها التعبير ..

- " لم تخبرني بعد بما أرادته " ساباتين " منك . "هذا كان البديل الذي قالته لترى ظلالا باهتة تلوح في وجهه .

- "ألا تزالين ترتابين فيما أقول ؟"

- "أبدا .. إنه الفضول فقط . "

بدا عليه الارتياح مرة أخرى ..

- " أرادت أن تسألني رأيي في "لويس فرنانديز" زوجا لها . "

- " وبماذا أجبتها ؟ "

- " كنت قد بدأت وقتئذ أشعر وطأة المرض إلى الحد الذي يحول دون إمكان الحكم عليه . في الواقع إنه لا يهمني من تتزوج . " أضاف إنهاء لهذا الموضوع إلى الأبد " زواجي أنا هو المهم عندي ، أمامنا الكثير مما يتطلب منا أن نعوضه .. نحن معاً يا حبيبتي . "

قالت برقة : "عمر مديد ، وحياة سعيدة معا نحقق فيها كل ما نبتغيه ."ثم جلست في صمت تدعو الله أن يثيب تلك الغجرية التي كانت قد تنبأت لها بذلك المستقبل .

(تمت بحمد الله)